مجلة كامبريدج للبحوث العلمية
CAMBRIDGE SCIENTIFIC JOURNAL

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

CJSP
ISSN-2536-0027

رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام
الدكتورة حفصة محمد الغريب

العدد 11
2022

www.camb-magazine.com

مجلة كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات

ISSN-2536-0027

www.camb-magazine.com

رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام

الدكتورة حفصة محمد الغريب

اللجنة العليا

أ.د. محمد أبو زياد الأمير

أ. د هلا العريس

أ.د. عبد الملك الدناني

أ.د. حسن فضاله موسى التميمي

نائب رئيس التحرير

أ.م.د عباس يوسف جابر

اللجان العلمية

ت	الاسم	مكان العمل	البلد
1.	أ.د ألفت إبراهم جاد الرب	جامعة الأزهر الشريف	مصر
2.	أ.د جهان عيسى أبو راشد العمران	جامعة البحرين	البحرين
3.	أ.د رقية أحمد العاني	الجامعة العراقية	العراق
4.	أ. م .د محمود كاظم الغزي	جامعة الامام الكاظم	العراق
5.	أ.د. رشيد حميد زغير	جامعة البلدة	الجزائر
6.	أ.د. هاشمية حمد جعفر	جامعة الكوفة	العراق
7.	أ.د رامز عمار	كلية العلوم السياسية	لبنان
8.	أ.د فائزة عباس حميدي	أستاذة علم الدلالة في الجامعة المستنصرية	العراق
9.	أ.د رائف غنيمات	الكلية الجامعية العربية للتكنولوجيا	الأردن
10.	د عايد الظفيري	المعهد الأسترالي العربي للشؤون الاستراتيجية	أستراليا
11.	أ.د وفاء عمر السبيعي	جامعة الملك فيصل	السعودية
12.	د. هدى دياب أحمد الصالح	جامعة أم درمان الإسلامية	السودان
13.	د. فواز موفق ذنون	جامعة الموصل	العراق
14.	أ.د سلمى عبد الرزاق عبد لايذ الشبلاوي	جامعة كربلاء	العراق
15.	أ.د حازم جري الشمري	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق

شروط النشر في المجلة:

1. أن يكون البحث أكاديمياً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
2. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتزود هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية.
3. أن لا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة، مطبوعة بحجم الخط 14، ونوع الخط Simplified Arabic للغة العربية وخط Times News Roman للانكليزية.
4. يكتب الاسم ومكان العمل باللغتين العربية والانكليزية.
5. يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، وتدرج الكلمات المفتاحية بعد كل ملخص.
6. يدخل البحث نظام كشف الاستدلال الإلكتروني على وفق برنامج (Turnitin).
7. يُفضل أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة (11) سم.
8. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استعمال المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث .
9. ألّا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
10. تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
11. ترسل البحوث على الايميل: KKrz55@yahoo.com.
12. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة .
13. يدفع الباحث دولاراً واحداً عن كل صفحة إضافية تزيد عن 25 صفحة.

14. لا يجوز الاعتراض على التقويم، ولا يجوز المطالبة بكشف اسم المقوم.

15. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

في هذا العدد		
كلمة العدد	بقلم رئيس التحرير	7
الأساليب الانشائية في شعر المتنبي	الباحث : مطلق عماش الحبردي	36–9
أبعاد جماليات المكان في شعر عديّ بن الرِّقاع.	الباحث : فيصل بن محمد المطيري	130–37
الوسائلُ التكميليَّة لتعويض المخاطر الطبيَّة	1- م.د كرار ماهر كاظم / كلية الكوت الجامعة الاهلية– قسم القانون جامعة م.م أوس طارق عبود / كلية الكوت الجامعة الاهلية- قسم القانون. م.م محمد احمد شطب/ كلية الكوت الجامعة الاهلية- قسم القانون	164–131
أثر منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول	م.م ضياء عاتي حمود م.م سجاد كاظم حسين م.م حسين علي حميد	195–165
دور البنوك الإسلامية في تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة	علاء ثابت جاسم العيساوي: جامعة الجنان ALAA THABIT JASIM ALISAWI: University of Jinan, Lebanon	221 –196
الأقلية الإيغورية في الصين حتى عام 1976 The Uyghur minority in China until 1976	م . م. أباذر راضي كريدي العامري أ.د عبد الرسول شهيد عجمي	242–222
التوزيع المكاني لزراعة اشجار الفاكهة النفضية (قضاء الكوفة انموذجا)	أ.م.د .سيناء عبد طه العذاري	279–243
أحكام الفضالة في عقد الايجار – دراسة تحليلية	أ.م. د ايناس مكي عبد نصار	280–290

كلـمة العــدد

هذا العدد الحادي عشر يأتي ونحن نستقبل سنة ميلادية جديدة مليئة بالتحديات على مختلف المجالات ففي المجال الصحي عانت الامة من وباء كورونا وقد تناولناه في البحوث التي نشرت بالعدد الاول من المجلة . وفي مجال البحث العلمي كانت الصعوبات ناتجة من العامل الوبائي ذاته حيث اصبحت اغلب مؤتمراتنا العلمية بصيغ الكترونية مما اثر تأثيرا كبيرا على عدم تبادل الافكار العلمية والمعرفية مباشرة بين علماء الامة...الامر الذي جعلنا نعوض تلك الفجوة بالجانب الالكتروني ومضاعفة الجهود في هذا المضمار واضعين نصب أعيننا الخطة التي وضعت من قبل ادارة مركزنا مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات متمثلا بسعادة الدكتورة حفصه محمد الغريب رئيسة المركز التي تبذل جهودا كبيرة في رعاية ومتابعة كل عدد يصدر من المجلة وحريصة كل الحرص ان يظهر العدد وفق ضوابط المجلات العالمية العلمية المحكمة الرصينة حيث ينصب طموحها في ان تكون مجلتنا ضمن مستوعبات سكوبس في فترة قريبة باذن الله وهذا ما ينسجم مع اللجان العلمية الكبيرة والمتنوعة وعالية المستوى التي تشرف على تقييم بحوث المجلة والارتقاء بها نحو الكمال في مواصفات البحث العلمي

ورغم كل ما حمله هذا العام استطعنا بفضل الجميع ان نصدر عشرة اعداد من مجلتنا وهذا العدد الجديد ونحن نفتخر بما حققناه ولازال طعم الفخر في نفوسنا منذ الاصدار الاول الذي حصل على اشادة من الاكاديمية البحرينية الدكتورة جهان العمران تضمنت الاشادة انها تستغرب ان تشهد الساحة العلمية مولودا جديدا يبلغ سن الرشد ...تحية لكل جهد يبذل من اجل تطوير مجلتنا تحية لجهود جميع اللجان العلمية والى كل اسرة هيئة تحرير المجلة والله الموفق ...

الأساليب الانشائية في شعر المتنبي

الباحث : مطلق عماش الحبردي

2022

ملخص البحث:

يتميز شعر المتنبي بأنه ينبعث من نفسه، يعبر عنها، وعما أودعه فيه من الحوادث التي وقعت له أو شاهدها، وما كانت تمليه عليه ميوله وأطماعه، وما كان يرمي إليه في حياته.

وهذه النفس الكبيرة الطامحة التي دفعته إلى التعبير عما يجول بها، هي التي جعلت شعره في هذه المنزلة العالية، وهي التي جعلت هذا الشعر حقيقة لا خيالًا، وصورًا من صور الأحوال النفسية لا تصنُّعًا وتعملاً. والحقيقة ـ أيًّا كان مصدرها ـ إذا اتجهت إلى القلب نالت منه وسكنت فيه؛ لأن هذه الآلام والأطماع والميول، آلام وأطماع وميول كثير من النفوس البشرية. وهي حنين مرجَّع، وأنين مبثوث في قلوب الشعراء، تكشف بها عن غيرها من النفوس البشرية، ولكن ليس كل شاعر قادرًا على أن يرسمها رسمًا جذابًا ساحرًا، يملك النفوس ويستولي على العقول، وليست بلاغة الشعر في سبك العبارة ودقة الصناعة اللفظية وحدها، بل فيما يبثه الشاعر بين عباراته من نفثات صدره.

وشعر المتنبي له روعته؛ لأنه من ذلك النوع الذي يجمع بين جودة السبك والتعبير عن النفس وخلجاتها، كما أنه زاخر بأساليب الإنشاء الطلبي، وهذا البحث عُني بدراسة وتحليل الدلالات النفسية لأساليب الإنشاء الطلبي في شعره؛ الذي استوجب ـ في البداية ـ حصر هذه الأساليب، في ديوانه؛ حتى يتسنى لنا الغوص في بحره الخضم لصيد اللؤلؤ النفيس من درس هذه الأساليب.وقد اشتمل البحث على ثلاثة فصول عني الفصل الاول بالاطار المنهجي من حيث مشكلة البحث واهميته وهدفه واختتم البحث بتحديد المصطلحات . اما الفصل الثاني تضمن مبحثين عني المبحث الاول بماهية اسلوب الامر والمبحث الثاني الدلالات النفسية لاسلوب الامر عند المتنبي وقد اشتمل المبحثان على عينات من نماذج لأبيات شعرية ثم الفصل الثالث خرج الباحث بمجموعة من النتائج والاستنتاجات لينتهي بقائمة المصادر.

Summary

Al-Mutanabbi's poetry is distinguished by the fact that it emanates from himself, expresses it, and what he deposited in him from the events that occurred to him or witnessed them, and what his tendencies and ambitions dictated to him, and what he aimed at in his life. It is this large, ambitious soul that prompted him to express what he wanders about, which made his poetry such a high position, and it is she who made this poetry a reality, not a fantasy, and images of psychological conditions that are not manufactured or worked. The truth - whatever its source - if it goes to the heart, it obtains from it and dwells in it; Because these pains, ambitions and tendencies are the pains, ambitions and tendencies of many human souls. It is a referenced nostalgia, and a moaning in the hearts of poets, revealing with it other human souls, but not every poet is able to draw it in an attractive and charming drawing, possessing souls and seizing minds, and the eloquence of poetry is not in the formulation of the phrase and the accuracy of the verbal industry alone, but in what it broadcasts The poet between the phrases of his chest puffs. Al-Mutanabbi's poetry was splendid. Because it is of the kind that combines the quality of casting and self-expression and its moods, as it is replete with the methods of demand construction. which necessitated - at the outset - to list these methods in his Diwan; So that we can dive into the sea to fish for precious pearls from the study of these methods. The research included three chapters about the first chapter with the methodological framework in terms of the research

problem, its importance and its goal, and concluded the research by defining the terms. As for the second chapter, it included As for the second chapter, it included two chapters about me, the first topic is the nature of the command style, and the second topic is the psychological implications of the command method according to Al-Mutanabbi.

الفصل الاول \ الاطار المنهجي

اولا: مشكلة البحث

الشعر بصورة عامة من أهم الاجناس الادبية التي تميز بها العرب وقد كان الشاعر المتنبي واحد من خيرة الشعراء لما يمتاز به شعره بأنه ينبعث من نفسه، يعبر عنها، وعما أودعه فيه من الحوادث التي وقعت له أو شاهدها، وما كانت تمليه عليه ميوله وأطماعه، وما كان يرمي إليه في حياته.

وهذه النفس الكبيرة الطامحة التي دفعته إلى التعبير عما يجول بها، هي التي جعلت شعره في هذه المنزلة العالية، وهي التي جعلت هذا الشعر حقيقة لا خيالًا، وصورًا من صور الأحوال النفسية لا تصنُّعًا وتعملاً. والحقيقة ـ أيًّا كان مصدرها ـ إذا اتجهت إلى القلب نالت منه وسكنت فيه؛ لأن هذه الآلام والأطماع والميول، آلام وأطماع وميول كثير من النفوس البشرية. وهي حنين مرجَّع، وأنين مبثوث في قلوب الشعراء، تكشف بها عن غيرها من النفوس البشرية، ولكن ليس كل شاعر قادرًا على أن يرسمها رسمًا جذابًا ساحرًا، يملك النفوس ويستولي على العقول، وليست بلاغة الشعر في سبك العبارة ودقة الصناعة اللفظية وحدها، بل فيما يبثه الشاعر بين عباراته من نفثات صدره.

وشعر المتنبي له روعته؛ لأنه من ذلك النوع الذي يجمع بين جودة السبك والتعبير عن النفس وخلجاتها، كما أنه زاخر بأساليب الإنشاء الطلبي، وهذا البحث عُني بدراسة وتحليل الدلالات النفسية لأساليب الإنشاء الطلبي في شعره؛ الذي استوجب ـ في البداية ـ حصر هذه الأساليب، في ديوانه؛ حتى يتسنى لنا الغوص في بحره الخضم لصيد اللؤلؤ النفيس من درس هذه الأساليب.

وديوان المتنبي [1] ، هو الرافد الأساس الذي يمكن الغوص فيه للكشف عن نفسية الشاعر الكامنة في جوف كلماته وأساليبه، ولاريب أن المتنبي له معجمه الخاص الذي ننهل منه؛ ليروي صدى الصادين، ولم يرد أحدًا من أصحاب القرائح الذكية إلا وهو ريان قرير العين، أما أولئك فقراء الفكر والقلب فلا نصيب لهم! قد يكون لهم عند غيره من الشعراء، أما المتنبي فجبل أشم صعب المرتقى أعيا من عاصره ومن جاء بعده. وفي ضوء ذلك تحدد مشكلة البحث بالاستفهام التالي ماهي اهم الاساليب الانشائية في شعر المتنبي؟

ثانياً :اهمية البحث والحاجة اليه

تكمن اهمية البحث من خلال الخوض في مجالات التنظير الادبي للأساليب الشعرية والتنقيب عن تمثلاتها في اشعار المتنبي على وجهالخصوص اما الحاجة الى البحث فتكمن في كونه دراسة اكاديمية تفيد الدارسين في الحقل الادبي والنحوي والشعري.

ثالثاً: هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على الاساليب الانشائية في شعر المتنبي.

رابعاً :حدود البحث

1- الحد الزماني والمكاني : لايتقيد البحث بحدود زمانية ومكانية واسعة بقدر تحديده بزمكانية قصائد واشعار المتنبي .

2- الحد الموضوعي :الاساليب الانشائية في شعر المتنبي .

خامساً: تحدد المصطلحات

(1) ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1944.

1- **لغة**

الاساليب : أسلوب (اسم) الجمع (أساليب) وسلب الشيء سلباً ،أنتزعه قهراً . واخذه سلبه وجرده من ثيابه وسلب ، وسلاب (السلبوت) الكثير السلب أو المعتادة (يستوي فيه المذكر والمؤنث) [1]

2- **اصطلاحا :**

الاساليب الانشائية ١هو الكلام الذي يصعب تحديد صدقه أو كذبه في ذاته وينقسم الى جملتين أحدهما طلبية يطلب فيها المتكلم من المخاطب تنفيذ أو عدم تنفيذ أمر ما واخر غير طلبية لايطلب فيها المتكلم شيئا من المخاطب .[2]

الاطار النظري

المبحث الاول

أسلوب الأمر (مدخل مفاهيمي)

اسلوب الامر هو طلب حدوث الفعل وهومن أكثر الاساليب الكلامية التي يرافقها استعلاء ، وأنه قد يدل على أصل معناه وهو طلب حصول شيء بعد زمن التكلم، وأنه قد يخرج من هذا الأصل إلى معان أخرى مجازية على النحو الذي عرض سابقًا. هذا المبحث يتجاوز أصل معنى الأمر، ويتجاوز معانيه المجازية كلها إلا ما يستخلص منه دلالات نفسية، وبهذا شواهد الأمر من شعر المتنبي هنا تكون موجهة إلى هذه الدلالات خاصة.

وقد استخدم المتنبي أسلوب الأمر في شعره (152) اثنتين وخمسين ومائة مرة، بصيغه المختلفة، وكان بعضها من الأمر الحقيقي، ولكن جُلّها من المعاني المجازية التي أولاها البلاغيون والنقاد أهمية كبرى. الشعر بطبيعته مرآة عاكسة لمشاعر وانفعالات داخل نفس الشاعر، فهو وسيلة يستخدمها للتعبير عن وجدانه، وترجمة لحياته وأفكاره وآماله وأحلامه، فيطلقها ألفاظًا موزونة مقفاة.

1- معجم المعاني الجامع https:\\www.almaany .com

2- عبد السلام هارون ، الاساليب الانشائية في علم النحو العربي ، (عمان : مكتبة الخانجي ، 2000)

إن التعامل مع النص، وفق منظور نفسي، يوفر قراءة خاصة عبر صياغته الفنية التي تحمل في ذاتها رؤية لعالم الإنسان الخفي، واستدعاءً لتجليات اللاشعور، غير أن ذلك لن يتأتى إلا بمعاناة الفنان التي تستمد قوتها من الإحساس بوجود الذات في طبيعة العمل الفني الذي أرجعه النفسانيون إلى الحالات الانفعالية، والتجربة اليومية، كما أنه ينشأ من أعماق اللاشعور، وهنا يكون الفنان قد حقق غاية ذاته بإعادة توازنه

النفسي من خلال الأثر الذي أحدثه فحرك المشاعر، وكان ذلك عونًا لنا على فهم حياته؛ لأنه يلامس الأعماق، ويتعامل معها وفق ما تقتضيه التجربة الوجدانية، وهنا تأتي مهمة التعامل مع منهج التحليل النفسي عن طريق استقصاء النصوص واستقرائها؛ لإزاحة ما خفي من تجارب الفنان، خاصة وأن التحليل النفسي يتعامل مع كثير من العناصر الأساسية في الشعر والأدب مايمكنه من كشف تعقيدات النفس البشرية.(1)

ولنتأمل بعض المعاني المجازية التي خرج إليها أسلوب الأمر، وأحاول بيان دلالاتها النفسية في عرض للشاهد الشعري، ومن ثم تحليله:

المبحث الثاني \ الدلالات النفسية لأسلوب الامر

أولاً: النصح والإرشاد للوهلة الأولى، عندما نتأمل أسلوب الأمر عند المتنبي، ندرك أننا أمام نفس أبيَّة، تكشف عن وجدان ثري، مليء بالمشاعر والانفعالات، حريصة كل الحرص على أن تتجلّى في كل موقف، وتعبر عن وجودها بقوة في حد ذاتها، وكذلك المحيطين به، فلم يبخل بتقديم النصح والتوجيه من غير مواربة، ولم تتلاشَ نفسه في سياق مدحه للممدوحين، ولم ينسَها صاحبُها أبدًا، حتى في خضم مدحه ممدوحيه على اختلاف مستوياتهم، وكذا اختلاف مناسبة ذلك المديح، فمساواته بينه وبين ممدوحيه من

(1) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص7-15.

ملوك ووزراء وأمراء شاهدة على ذلك، ولهذه المساواة الافتراضية ـ من ناحية المتنبي ـ ونقول افتراضية؛ لأن الأيام أثبتت أنها لم تثبت ولم يستقر لها قرار، ولم تأخذ أية صورة واقعية على الأرض اللهم إلا في وَهْمِ المتنبي، ولها أسباب متعددة منها: رغبته في تأكيد رفعة ذاته، وتخطي واقعه الاجتماعي الذي ظلَّ يطارده طَوَال حياته يقول:

عِشْ عزيزًا أو مُتْ وأنتَ كَرِيم بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وخَفْقِ البُنُود

فَاطْلُبِ العزَّ في لَظَى ودعِ الذ لَّ ولو كَان في جِنان الخُلود(1)

يخاطب نفسَه ـ الحاضرة دائمًا ـ مرشدًا وموجهًا معتمدًا أسلوب الأمر في توصيل الرسالة؛ ليشعر المتلقي بأنه يضع لنفسه قانونها الخاص، فالعزةُ في الحياة، أو الكرم بالممات في ميادين القتال، هي الحياة بالنسبة إليه، والمعيار الذي يليق به، وهذا اعتراف صريح بأن العز هو مأربه الذي سيكسر قيد الإحساس بالضعة الذي طالما أعاق تحقيق آماله، وإذا ما علمنا أنه قال هذه الأبيات في صباه، وجدنا أن ذلك الشعار لازمه حتى فارق الحياة. فالأمر هنا خرج إلى معنى النصح والإرشاد؛ لأن نفسه عزيزة عليه، فهو يوجهها إلى ما يراه صوابًا. والنصح عادة ما يوجه للآخرين، ولكن المتنبي يرشد نفسه بهذه الخصال؛ لإيصال رسالة إلى المتلقي هدفها الباطن بيان صفاته العظيمة للمتلقي. وعندما تتبع مسيرة حياته كلها. تجدها بين هذين القطبين العظيمين: حياةٍ عزيزة، أو موتٍ كريم! وحلُّه وترحاله شاهدان على أنه سعى في الأرض، يحمل بين ضلوعه قلبًا أبيًّا. وما أكثر ما حل! وما أكثر ما ارتحل!

(1) الديوان، ص 15

فالنفس التي لا تقبل الدَّنيَّات يجب عليها الإقبال نحو الحِمَام؛ لأن الحياة بغير عزة لا تليق به حسب قانون نفسه، إنما تليق بالشاة والغنم، وللتحليل النفسي وقفات أمام هذا النوع من الشخصية، منطلقين من شعره ومن أسلوب الأمر تحديدًا، وهو يستخدمه بوعي الشاعر الذي يملك ناصية البيان.

رِدِي حِياضَ الرَّدى يا نفسُ واتَّرِكي حِياضَ خَوفِ الرَّدى للشَّاءِ والنَّعمِ(1)

بدأ صراع المتنبي النفسي والمجتمعي لمَّا تفتحت عيناه، وأخذ يدرك الأمور، ويشاهد المفارقات ويتأملها بعناية وحرص. وتختزن نفسه ما يمر به من مواقف ومشاهدات، نبعت بوضوح في شعره في كل مرحلة عمرية مر بها يقول:

ودع كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصَّدى(2)

يكشف المتنبي عن مستوى الصراع الخارجي المستمر في حياته أينما حلَّ، فقد كان يعاني مشكلة في مجلس سيف الدولة وغيره، تتعلق بأصالة شعره، وشعره سر وجوده، وكل كيانه، شعره الذي هيَّأ له مكانة بين الكبار، ويرجو من خلاله تسهيل حصول ما يعتمل في نفسه من مطالب وطموحات، ولذلك يؤكد دائمًا سبقه فيه بابتكاره الأفكار والمعاني، دون غيره من الشعراء ممن يكرر شعر غيره، ويدفع اتهامات وجهت إليه، بالتعالي على قائليها، وينفي عن نفسه أن يكون في شعره ما يُعاب، ويحاول أن يظهر عدم اكتراثه بخصومه، الذين يطعن في موقفهم ويشكك في أهمية أقوالهم؛ لأنها صادرة عن الحُسَّاد، وأما هو فهو يعلو عليهم بقوة نفسه التي يصغر عندها كبير الرزايا، وإنه ليحرص على عرضه وكرامته ولا يبالي بما يصيبه من مشقة وجهد، أو خسارة مادية، وقد عبر تعبيرًا صريحًا عن مشكلته في مجلس سيف الدولة في ختام قصيدته التي مطلعها(لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)، الأمر في البيت يكاد يرقى إلى معنيين متداخلين: التحذير، والنصح

(1) الديوان، ص33
(2) الديوان، ص361

والإرشاد. وهو يخاطب سيف الدولة، الذي يَحْذرُه الشعراء الحذر الكبير، مراعين في ذلك آداب مخاطبة الملوك، وما يجب أن يظهره الشعراء من خضوع في استخدام مثل هذا الأسلوب، أما المتنبي فقد مُلئت نفسه كبرياء، وكله ثقة بأنه الأوفر حظًّا في مملكة الشعر، فهو الصوت (يعني الحقيقة)، وغيره الصدى (يعني الأثر المنبعث من الحقيقة). وقد عمد المتنبي إلى الإبانة عن ذلك بمؤكدات ومؤثرات تثبت هذه الحقيقة بالنفي بلفظ غير العام الذي يستغرق جميع الصوات، ثم ثلاثة مؤكدات: (كلّ) و (إنَّ) وتوكيد اسمها ياء المتكلم بضمير منفصل، وخبرها الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام. أما هو فقد أكده قوله(إنني) فليس هناك شك في أنه الأصل، فهو يخاطبه من وحي شعوره الخاص بالتفوق، ونظرته المستدامة إلى النفس على أنها الأفضل، كما أنها تشير كذلك إلى الشعور بالتفرد الذي يحرص المتنبي عليه؛ ليوجه اهتمام سيف الدولة إليه دون غيره من الشعراء. مثل هذا السلوك يدرسه علماء النفس في مبحث: تغيير الاتجاهات، هذا التغيير له طرق ومناحٍ عدة، منها منحى استمالة المخاطب أو المتلقي(1).

والمتنبي حريص مع نقده السابق على أن يوصي نفسه، ويوصي غيره، ويسعفه في ذلك أسلوب الأمر الذي يظهر أنه الشخص الرفيق بمن يحب، ويوجهه إلى ما فيه مصلحته؛ وبهذا المعنى يخرج الأمر من معناه الأصلي إلى معنى الوعظ والإرشاد. غير أن سياق الأمر هنا يكشف عن دلالة نفسية عميقة وهي عدم الثقة بالآخرين، فابتساماتهم ليست عن حب، بل عن مداراة كراهية مضمرة في نفوسهم، وهذا من سوء الظن الذي اعتاد أن يظهره في مواضع كثيرة وبأساليب مختلفة كما سنرى يقول:

وَكُن عَلى حَذَرٍ لِلناسِ تَستُرُهُ وَلا يَغُرّنكَ مِنهُم ثَغرُ مُبتَسِمِ(2)

(1) *علم النفس الاجتماعي المعاصر، عبد الحليم محمود السيد وطريف شوقي فرج و عبد المنعم شحاته محمود، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص 76.*

(2) *الديوان، ص513*

فاحذر من الناس واستر حذرك منهم؛ لأنك إذا أظهرتَ هذا الحذر، جاهروك بالعداوة، ولا تغتر بابتسامهم في وجهك. إلى هذا الحد يتحفظ المتنبي في علاقاته مع الآخرين، ولا يثق فيما يبدونه من ابتسامات، فيستحضر ما في نفسه من قدرة على الانتقام، ويصل إلى ذروة ما يمكن أن تناله يداه من شر، فلا مجال للصبر، نجده ينكل بمن عاداه، وخاصة بمن يقترب من سيف الدولة؛ لأن الاقتراب من سيف الدولة إعلان حرب عليه، وهو في صراعه هذا يستخدم كل ما يمتلك من أسلحة تدحر أعداءه ولذلك دلائل كثيرة متناثره في شعره، وفي ذلك تعويض عن إحساسه بالضعة التي لازمته.

ثانيًا: الالتماس. يتبين من دراسة هذا المعنى أن المتنبي يعتمد على قدراته الشعرية التي يستند إليها في مخاطبة ممدوحه؛ لاستمالته إلى وجهة النظر التي يدعو إليها، ودعوته هنا معتمدة على متناقضَين: ترك وقبول، ترك أصوات الشعراء؛ لأنها ليست حقيقية، وقبول الحقيقة وهي صوته، دون غيره. وهذه هي طبيعة تغيير الاتجاه؛ لأن الاتجاه فيه درجة من التفضيل كالتقبل والحب والتقدير، أو درجة من الاستهجان كالرفض والتجنب والكره الموجه إلى شخص أو مكان أو فكرة أو غير ذلك(1). ونظرة المتنبي إلى غيره من الشعراء باحتقار؛ كونهم أقل منهم شأنًا، كان لها أثارها المصيرية عليه، فقد ألَّبتهم عليه، وكثر حسَّاده، من الشعراء، ومن غيرهم يقول:

أَجِزْني إِذَا أُنْشِدتَ شعرًا فإنما بِشِعْري أَتَاكَ المَادِحُونَ مُرَدَّدا(2)

إذا كان هو الأصل فقد استحق العطاء السخي، ويرسم المتنبي صورة فريدة بريشة فنان بارع لنفسه التي عبَّرت خير تعبير عنه، فالأمر هنا لبيان معنى الدوام والاستمرار، أي أيها الممدوح، ماسمعت من جنس

(1) نفسه.
(2) الديوان، ص361

الشعر، فهو لي، وتجدر الإشارة إلى أهمية بيان مكونات الصورة المرسومة بإحكام، بالإضافة إلى الأمر تنكير كلمة "شعر"، واستخدام القَصر بـ" إنما".

يستحق صاحب هذه المناقب أن يكون أولى بالتكريم والإجازة في كل وقت، فشعره منهل الشعراء وموردهم، وهذه السمة من وجهة نظر التحليل النفسي تعدُّ مبالغة الشخص في مهاراته قدراته وإنجازاته بطريقة غير واقعية. فكل شعر قيل وسيقال في بلاط هذا الممدوح من معينه الشعري. وهو كذلك هو السابق حتمًا، وأنه فوق حسد الحاسدين؛ فهو مَن أعجز البرق في أن يلحق به، يقول:

فَأبْلِغْ حاسِدِيّ عَلَيْكَ أنّي كَبَا بَرْقٌ يُحاوِلُ بي لَحاقَا(1)

فهذا الأمر يكاد يخرج إلى التحذير، وهو من الانفعالات التي تجيش بها النفس، عندما يشعر المرء بمرارة الظلم، هذا إن كان الممدوح أقل من الآمر، أما مع مَن هو أكبر منه فيعد خروجًا عن آداب الخطاب، ولذلك احتاط المتنبي وخفف من حدته، فاستخدم (عليك) أي أن حبي لك، وقربي منك، هما ما سبَّب حصول هذا الحسد.

والمتنبي يبرهن على أنه ليس سببًا في قلة ماله، فَلَهُ تفسيرُه الذي يسوقه للتعويض النفسي لرقة حاله، ونراه يؤكد رأيه مجددًا في الناس من حوله، لقد جمعوا بين المتناقضات، والمتناقضات هنا في مجال الكرم والجود؛ لأن حديثه عن المال، وقد ترى هذه المتنافضات في سياق آخر ذات مظاهر مختلفة، وهذه السمة التي يعبر بها مستخدمًا أسلوب الأمر، كأنه يقول للائمِهِ على فقره: ارفق بي و لا تلمني ولُمِ اللَّيالي، ولُمِ الناس، تأمل الأمر التالي الذي يلتمس فيه من لائمه تتبع الأسباب الحقيقية وراء تردي حاله، ولا يلقي باللائمة جِزافًا :

(1) الديوان، ص 282

لمِ اللَّيالي التي أَخْنَتْ عَلى جِدَتِي بِرقَّةِ الحَالِ واعْذُرنِي ولا تَلُمِ

أرى أُناسًا ومَحصُولي عَلى غَنَمٍ وذِكْرَ جُودٍ ومَحصُولي على الكَلِمِ(1)

و(رقة الحال) هذه قد تكون من أهم أسباب نرجسية المتنبي، التي طالما حاول الفكاك منها، وجعلته يصارع الحياة صراعًا مريرًا.

ثالثًا: الدعاء. المتنبي الخبير بالنفس يطلب من ممدوحه إزالة حسد الحساد، ومن واقع خبرته الطويلة بنفوس ذلك النوع من الناس، يعرف ترياق السُّم، وهو الكبت، بعدم إعطاء الفرصة للتقرب، وليس أقدر على ذلك الفعل من سيف الدولة الذي يتهيبه الجميع، ولذا يدعوه إلى تلبية طلبه بإلحاح، يقول:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبتِهِم فأنتَ الَّذي صيَّرتَهم لي حُسَّدا(2)

وفي هذا من شدة الدلال على ممدوحه مافيه، وهو يدلل بصراحة من غير مواربة على نفسية المتنبي التي ترى أنها حققت الإنجاز الذي لا يمكن لأحد أن يدانيه فيه، فلا أمل لهم في أن يكونوا مثله، فقد أعجز البرق في اللحاق به! وهناك ملمح نفسي آخر، وهو تكرار مادة (حسد) التي تكشف عن أنه مُتَرَبَّصٌ به، ومقصود لذاته؛ نظرًا إلى تعدد نجاحاته في كل مضمار، فهو أهل لأنه يُحسَد. ويستمر في تحذيره لممدوحه وهو هنا بدر بن عمَّار الذي وَشَى الأعور بن كروس عنده بالمتنبي، فيهدده بهجرانه، أو بقطع مدحه له، فيقول:

وانهَ المشيرَ عليك فيَّ بضَلّةٍ فالحُرُّ مُمْتحَنٌ بأولاد الزِّنا(1)

(1) الديوان، ص32
(2) الديوان، ص361

وهو المنافح عن حياض سيف الدولة، فمن المفاهيم التي تبدو بجلاء في شعر المتنبي، مما يذكره بكثرة، مفهوما الحسد والوشاية، وهذان المفهومان هما اللذان عاناهما المتنبي في علاقاته كلها، ويغرق المتنبي في تحليل أثر هذين الخلقين في التأثير في العلاقات التبادلية، ولعلم النفس باع في دراسة هذا النوع من الاضطراب ويسمى بالرُّهاب الاجتماعيّ: ويُسمّى أيضاً القلق الاجتماعيّ، ويُطلَق هذا المُسمّى على الشّخص الذي يشعر بقلقٍ وتوتّرٍ شديدين في المواقف الاجتماعيّة، فيكره أن يكون مُراقَبًا من قِبَل الآخرين، أو أن يتعرّض للانتقاد، وغيرها من الأفكار غير السارّة، وله أسابه : منها الوراثة، ومنها التشريحي الطبي، ومنها البيئي وقد يكون هذه سبب ما كان يطارد المتنبي ويقض عليه مضجعه، وهو انعدام الشعور بالأمان في الطفولة ؛ لأن الشعور بالأمان من الحاجات الأساسية للطفل فإذا لم يشعر به تنعدم ثقته في المحيطين(2). ونجد أن إضافات المتنبي في هذا المجال عميقة جدًّا وأصيلة، فقد بالغ الحساد في الوقيعة بالمتنبي حتى غيروا قلب سيف الدولة نحوه فأعرض عنه؛ لأن تقريب سيف الدولة له، وإعجابه به، حرمهم من مزايا عينية ومادية، فجعلهم ينصبون له شباك المكائد، ويتفننون فيها، وفي نسجها، وفي الحقيقة لم يقتصر حساده على فَلَك سيف الدولة وحده، بل تعداه إلى كل مَن رغب المتنبي في مدحه، وكان أبرزهم مقامًا ـ في مجلس سيف الدولة ـ أبو فراس الحمداني، الذي يجاهر بذلك ويحاجج سيف الدولة في شدة تقريبه المتنبي، ويلومه على مِنَنه الكثيرة التي لا يستحقها، فنجد المتنبي، غير المهادن، يرسم خطة الدفاع، فمن يتجرأ يجد لسانًا لاذعًا يرده عن غَيّه، ويورده صريعًا ذليلاً، والمتنبي يستثمر تلك الملكة فيما يجد فيه المنفعة، واستمرار الطريق؛ لتحقيق مطامحه يقول:

---

(1) الديوان، ص141

(2) الاضطرابات السلوكية والانفعالية، مصطفى القمش وخليل المعايطة، دار المسيرة، عمَّان، ط1، 2007م، ص 223.

انصرْ بجودِك ألفاظًا تركتُ بها في الشرقِ والغربِ مَنْ عاداك مَكبوتا(1)

فهو يوائم بينه وبين ممدوحه(2)، هذا الأمر الذي يخرج عن معناه ليؤدي معنى الالتماس، فلا بأس فهو ندٌّ له، فإذا كان الممدوح يملك المال، فهو يملك سلاح الكلمة النافذة التي سارت في الآفاق شرقًا وغربًا، وتناقلها الناس لتبلغ الأعداء فتصيبهم بحالة من فقدان القدرة على التصرف، فهو يحكم مسبقًا بأن ألفاظه ذات أثر بعيد في أعداء ممدوحه، بدليل استخدام الفعل الماضي(تركت)، وإذا كان الممدوح قادرًا على النصر بالمال، فالمتنبي قادر على النصر بالكلام، وهو هنا يؤكد لممدوحه أنه كبت أعداءه، ما يبرر طلبه السابق أن يكبت له حساده (أزل ... بكبتهم). وهذه السمة تؤكد ما وقر في نفسه من أنه إنسان ذو إيمان شديد بعصمته وحصانته، أو أنه لا حدود لأثر قوله بدليل كلمتي: الشرق والغرب. وهذا الشعور الغالب عليه يدفعه لأن يخاطب من هم فوقه بطريقة لم يعتادوها، ولم يدرج عليها الشعراء، فالممدوح غير القادر على الحماية والصد، ليس أهلاً لهذا الميل النفسي تجاهه.

رابعًا: التبكيت والتوبيخ فالمتنبي يحمل قلبًا محبًّا، يغدق الحب على الكل، ولكن ليست هناك عدالة في طرفي الحب؛ لذا نال القلب حظه من التوبيخ، وهناك التبكيت للطرف الثاني من المعادلة وهو المحبوب الذي لم يصرح باسمه وذكره بطريقة توحي بالازدراء، يقول:

---

(1) الديوان، ص35

(2) جنون العظمة في المتنبي، مرض نفسي، عبد الرحمن صدقي، مقال، مجلة الرسالة، القاهرة، ج10، السنة 43، 1935، ص 1180

أَقِلَّ اشْتِياقَاً أَيُّها القَلْبُ رُبَّما رَأَيْتُكَ تُصْفِي الوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا(1)

وتميُّز طريقة المتنبي في مخاطبة ممدوحيه، ليست شيئًا غريبًا؛ لأنه كفؤٌ لهم، يرى نفسه منهم، بل قد يزيد، وابتدع مدرسة أصيلة خاصة به في ذلك(2).

وفُؤادي مِنَ الملوكِ وإن كَا ن لسانِي يُرَى من الشُّعراء(3)

من كان شديد الاعتداد بالنفس، والاعتزاز بها، كالمتنبي، كان في حاجة إلى هذه التبصرة والتذكرة، حيث وضع نفسه موضعها الذي تستحق؛ بسبب ما يجشم نفسه من معاناة الحياة والناس معاناة فوق معاناة القنوع التي لابد منها، فهذا الاعتداد بالنفس بما يفيض به من حنكة وخبرة وبيان وآلام وآمال، أهَّله لأن يكون متفردًا، فلم يُكره نفسَه الأبيَّة على افتتاحيات القصائد كالنسق القديم، بل أعطاها الحرية في أن تنتج لنا اللفظ الكاشف عن هواجسه النفسية، فيلقي باللوم الذي يرقى لمستوى التوبيخ لقلبه الملتاع المشتاق لرؤية وتذكر الممدوح ـ وهو هنا سيف الدولة ـ وكأنه يقول لقلبه: أنت قلب المتنبي! فلِمَ هذا الحب الكبير؟ الحب الذي أصفيتَه رجلًا لا يكافئ بقدر الإحسان إحسانًا. فعد أيها القلب واتئد، ناهيك أنه قيل في قصيدة يمدح بها كافورًا، فنفسه منشغلة في كل الأحوال بحنينها وشوقها لمثله الأعلى سيف الدولة الذي لم تغب صورته التي تسيطر على أفكاره رغم بُعد الديار، ونراه يخلق سببًا لإقناع نفسه بأن رحيله كان أمرًا لازمًا، ويلتمس لها العذر، والسمة النفسية السائدة أن له عالمه الخاص من العظمة، وأن أوهامه تتجسد في أقواله.

---

(1) الديوان، ص440

(2) انظر: مطالع الكافوريات، وكيف تصور نفسية المتنبي، يوسف خليف، مقال، مجلة المجلة، القاهرة، عدد16، 1ابريل1958، ص88

(3) الديوان، ص445.

خامسًا: التحدي والتعجيز المتنبي منذ نعومة أظفاره يرى نفسَه أمة وحدَه، فلا داعي من البحث عن كنهه، وهو عالَم بأسره، وإعجابه بنفسه وهو ما زال صبيًّا صغيرًا، يدعو للعجب، من استمرار هذا الشعور وملازمته له طوال حياته، فكأنه يتحدى كلَّ مَن يصل إليه هذا التعبير (أمط...) ويطلب منه عدم تضييع الوقت في البحث عن مثيل له؛ لأن ذلك سيعجزه والنتيجة محتومة، ودعم الصورة بسلسلة متتابعة من الأوامر(ذرني، انظرن)، كلها رسمت صورة مثالية لرجل يملأ الدنيا، يقول:

أمِطْ عَنكَ تَشْبِيهِي بما وكأنَّهُ فَما أحَدُ فَوْقي ولا أحَدُ مِثْلي

وَذَرْني وَإيّاهُ وَطِرْفي وَذابِلي نكنْ واحدًا يَلقى الوَرَى وَانظرَنْ فِعْلي(1)

فالبيت الأول شغل الناس، ووقفوا أمامه كثيرًا؛ لتفسير تلك التركيبة اللفظية، وتفصيل هذا تجده في شروح ديوانه، ولكن ما يعنينا هو دلالة الأمر النفسية؟ والمشاعر والانفعالات التي دفعته إلى مثل هذا التعبير الذي ينفي بقلب تملؤه الثقة، أو إن شئتَ فقل النرجسية، أو العظمة وجنونها التي تعطي المتنبي قوة هذا التعبير الذي إن ردده بينه وبين نفسه حتمًا سيقول لها: أمعقول هذا؟ أيها اللسان اربع وعد! أيتها النفس هل صحيح ما قلتُه؟ أيجدر بي أن أصف نفسي هذا الوصف؟ ناهيك عن أن هذا القول كان في صباه، والمناهج الحديثة وخاصة المنهج النفسي، أولت هذه المرحلة من حياة الإنسان قيمة كبيرة لاسيما وأن هذه المرحلة تُعد من المحددات الأساسية لتكوين الشخصية وبنائها. فالمتنبي أحس بتفوقه وسط محيط كان يشعر فيه بنقص اجتماعي، ومن ثم أصبحت نرجسيته تعويضًا عن هذا النقص(2)، وتعويضًا عن الإحساس بالاضطهاد، فالذات تمعن في احتضان ذاتها كلما أوغل الواقع في إحباط النزعات الفردية. وقد جاء المتنبي ليجسد شخصية نرجس الأسطورية في أرض الواقع العربي. وأن هذا التجسيد الذي أفضى بالأنا إلى حد التضخم لَيُعدُّ جانبًا مهما لإضاءة نفسية المتنبي.

---

(1) الديوان، ص7

(2) معنى الحياة، ألفريد آدلر، ص77

وتلك سمة أخرى تتكشف لنا من شعره، فهو الشخص الذي لا يحتاج إلى الآخرين، فهم أحوج إليه؛ لِما يمتلك من قدرات ومواهب. وهذه السمة جعلته يضع معايير للتحدي في كل مجال، ففي مجال اللغة والغريب تجده ذا باع وقدم راسخة، والنقاد قد درسوا هذه الظاهرة بعناية، ونسوق دليلًاعبَّر فيه عن التحدي اللفظي؛ لبيان مقدرته اللغوية يقول:

أقِلْ أنِلْ أقطِعِ احمل علِّ سلِّ أعدْ زِدْ هَشْ بَشَّ تفضَّلْ أَدنِ سُرَّ صِلِ(1)

توضيح المعاني: أقل من الإقالة في العثرة، وأنل من الإنالة، وأقطع من قولهم اقطعه أرض كذا، واحمل من قولهم حمله على فرس، وعل معناه ارفع جاهي، وسل من التسلية وهو إذهاب الغم، وأعد أي أعدني إلى موضعي من حسن رأيك، وزد زدني على ما كنت أعهده منك، وهش أمرٌ من قولك هششت إلى كذا أهش، وبش من قولهم بششت بالرجل أبش.

ولمَّا انتُقِدَ في ذلك، ورأى الجالسين يعدون حروفه قال بيتًا آخر، وهذه سمة من سمات المتنبي المميزة لشخصيته، فشعوره بالتفرد يجعله لا يأبه بهم، بل يستمر في التحدي لمشاعرهم؛ لأن نقدهم ما هو إلا حسد من وجهة نظره.

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِ فِ اسْرِ نِلْ (2)

غِظِ ارمِ صِبِ احْمِ اغزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثنِ نُلْ

(1) الديوان، ص332
(2) الديوان، ص332

توضيح المعاني: عش من العيش، وابق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وقد من قود الخيل، وجد من الجود، ومر من الأمر، وانه من النهى، ورِ من الورى، وفِ من الوفاء، واسر من سرى، ونل من النيل، اسر إلى اعدائك وأدرك منهم إرادتك، غظ حسادك، وارم من يكيدك، وصب من صاب السهم الهدف يصيبه، واحم حوزتك، واغز اعداءك، واسب أولادهم، ورع أعداءك أي أفزعهم، وزع من وزعته أي كففته، ودِ من الدية أي تحمل الدية عمن تجب عليه، ولِ من وليت الأمر إليَّ، واثن أعداءك من مرادهم أي اصرفهم، ونل من ناله ينوله إذا أعطاه.

سادسًا: التكذيب مع التحدي فوقية المتنبي جعلته يتخذ معيارًا فوق الخيال لنقد الأشخاص، بل لا يكاد يرى لهم إنجازًا، فهم آراذل، ويثق ثقة تامة في تحقق أحلامه، تأمل البيتين التاليين تجده يبشر صاحبيه المزعومين ـ كحالة الخطاب في الشعر القديم ـ أو الحقيقيين، بأن ما وعدهم به من تحقيق الأماني والعلا أوشك أن يتحقق، ويكاد يبدي التحدي بلفظه، ولكنه اتكأ على النهي ليدعم الصورة والفكرة، وينذرهما من الاستماع للحاقدين الأخساء، فقد ظهرت تباشير الإنجاز وتحقق الآمال. ولا تأبها بمن رماني حسدًا، فهم الأخساء ويصورهم بصورة هزليَّة تدعو إلى السخرية، فما اتهموني به مردود عليهم، أو أنه كمن رمى آخر بقطعة قطن لا آثر لها يقول:

قِفَا تَرَيَا وَدْقي فَهَاتَا المَخايِلُ وَلا تَخْشَيا خُلْفًا لِما أنَا قائِلُ

رَمَانِي خِسَاسُ النّاسِ مِنْ صَائبِ استِهِ وآخَرَ قُطْنٌ من يَدَيهِ الجَنَادِلُ(1)

فهذه سمة أخرى نراها بارزة دومًا في شعره، سمة الشخص يتفحص الآخرين أو المشروعات أو البيانات أو الأحلام بشكل زائد عن الحد، ويقلل منهم، أو منها، بطريقة غير واقعية.

(1) الديوان، ص27

سابعًا: التفويض والتسليم مر المتنبي بتجربة حب تركت عليه أثارًا تظهر للعيان فأراد أن ينقل مرارة هذه التجربة، ويدع المجال والقرار لمن سيقدم على تجربة مماثلة، هذه تجربتي والأمر إليك، فقرر ما تشاء، يقول:

فَمنْ شَاء فَلْينظُرْ إلىَّ فَمَنْظَرِي نَذيرٌ إلى مَنْ ظَنَّ أنَّ الهَوى سَهْلُ (1)

نراه يحرض على الفتك بهم، وأجاد في رسم صورة الموت الذي لا يأبه بأحد، فهو ماضٍ في عزمه، ولا يقنع بما يأخذ، فهو دائمًا في حالة ظمأ! فحقد المتنبي جعله يرى في الموت الدواءَ لشفاء نفسِه من أعدائه، ويبدو أن نفس المتنبي لا تروى كالموت من القضاء على الحاسدين، وهذه سمة أخرى من أهم ما يمكن ذكره في هذا السياق، فهو لا يتسامح، ولا يتحمل النقد، وله في ذلك القصص الكثيرة المروية في كتب الأدب؛ ولذا نجده يوجه النصح والإرشاد إلى ممدوحه بأن يكون فظًّا غليظًا كالموت يقول:

وَكُن كَالمَوتِ لا يَرثي لِباكٍ بَكى مِنهُ لَيَرْوَى وَهوَ صادِ(2)

ثامنًا: التمني مأرب كل إنسان عندما تشتد عليه الحياة، وتكون قسوتها غير متحملة يلجأ إلى نفسه، يحتمي بها، وتحتمي نفسه به، فيخفف عنها بعدم الاهتمام، فكل ما تراه ليس إلا كالحلم في زواله، ونفسه هذه جدار حامٍ له، ومتراس يصد عنه ضربات الزمن، فهو يميل إلى لاجدوى الأشياء، بل عدميتها، وهذه لحظة من لحظات الاستبصار النفسي، وهكذا كل إنسان يتعرض للشدائد، فكأنه يقول: ليتك تهون مصائب هذه الدنيا، وإن كان ذلك مطلب عزيز، يقول:

---

(1) الديوان، ص79.
(2) الديوان، ص80

هَوِّن عَلَى بصرٍ ما شَقّ مَنْظَرُه فإنَّما يَقَظَاتُ العَيْنِ كَالحُلُمِ(1)

تاسعًا: التهديد والإنذار ما تزال ريشة الفنان ترسم الصورة الكبيرة للنفس الداخلية وهواجسها، ويسعفه أسلوب الأمر في الكشف عن تلك الهواجس والمكنونات، وهو يجيد نسج بنية ذلك الأسلوب، ويستخدمه ببراعة النظَّام الواعي، ويقدم نصيحته ملبسًا إياها ثوب الالتماس ناصعًا، ويرقق قلب المتلقي ويهون عليه مصائبه، فالدنيا وما حوت لا تستحق في نظره أن يعيرها اهتمامًا، وهو يخاطبها ـ بلغة القادر ـ قائلاً سأعكر صفوَك؛ فلا قيمة لك عندي، ولن آسف عليك، ولن أنقاد لك(فاذهبي، زيدي) أمر محبوك، قائم على دعم نفسي هائل من قوة ذاته، فإما أن تكوني كما أريد، وإلا عليك السلام، يقول:

كَذَا أنا يا دُنيا إذا شِئْتِ فاذْهَبي ويا نَفْسُ زِيدي في كَرائِهها قُدْمَا(2)

هو ليس بالضعيف، بل ثري التجربة، عظيم الأثر، فالتهديد بادٍ من صيغة الأمر ويعبر فيه عن قوته التي لم تختبر، وشدة بأسه، فكيف يحفل بها؟ إذا لم يحقق ما يصبو إليه، من جاه ومال، فحياة بلا مال لا تستحق البقاء فيها، وهذه عقدته القديمة في مقتبل حياته، ففقره كان سببًا في إحساسه بعدم الأمن، وهو من مسببات نرجسيته، فقد قيل إنه اتخذ على نفسه عهدًا أن يكون من أرباب الثروة والسلطان فإذا لم تتحقق الثروة، فالموت في مضمار الحرب يضمن له العزة ، فالأمر يحمل شحنة انفعالية تعبر عن ثورته على حالته، فهو يحث نفسه أو من يشبهه على التمرد على الخمول يقول:

(1) الديوان، ص513
(2) الديوان، ص162

إذا لم تجدْ ما يبتُرُ الفقرَ قاعِدًا فقُم واطلبِ الشَّيءَ الذي يبتُر العُمْرا(1)

ثمة ملمح نفسي آخر- في إطار ذمه للدنيا ـ نلحظه في شعر المتنبي، فهو يدعو نفسه ويحثُّها على النهل من منابع التمتع واللذة؛ لأن لكل بداية نهاية، فهل هذا تناقض؟ أو أن اليأس والإحباط من الواقع دفعاه إلى الهرب من واقعه إلى تلك المعاني؛ ليحتمي بها ويأخذ المَدَدَ النفسي منها، وهذه سمة نفسية عند بعض الناس يحتمون من واقعهم الأليم إلى الداخل الذي يصنعونه حسب ما يرونه من أحلام تضمن لهم أمانًا وعزًّا مُتَخَيَّلَيْنِ، لكن العجيب استمرارية هذه الدعوة وتلازمها في الشق الأعظم من حياته، وكأنها منهج انتهجه لنفسه، فالبيت التالي، قيل في سنة 333هـ في قصيدة مدح بها أبا داوود الأنطاكي.

انْعْم ولَذَّ فَلِلأمورِ أَواخرٌ أَبَدًا إذا كانت لهنَّ أوائلُ(2)

ويأتي بعد خمسة عشرعامًا فيكرر المعنى نفسه، في قصيدة الحُمَّى في سنة 348هـ، تأمل البيت التالي:

تَمتّع من سُهادٍ أو رُقادٍ ولا تأمُل كَرىً تَحتَ الرِّجامِ(3

وفي رحلة البحث عن دلالات أسلوب الأمر للمشاعر والانفعالات النفسية في شعر المتنبي، نجده يكشف عن ضجره وتململمه من مماطلة مَنْ يظُنُّ أنهم قادرون على تحقيق حلمه، وعدم تمكينه منه، وعدم الالتفات لما جاءهم من أجله، أو حلَّ بدارهم بسببه، وتثور نفسه على هذا اليأس الذليل، وتهيج فيها

(1) الديوان، ص35
(2) الديوان، ص164
(3) الديوان، ص478

معاني السخط والتمرد والمغامرة، وتتغلب عليها معاني الحياة الدافقة الإيجابية، وتختفي منها معاني الضعف والتردد والانهيار والإحساس بالعزلة والسلبية والانطوائية؛ لأن في النَّفسِ حاجاتٌ لم تُقْضَ، فيجد الشجاعة في الطلب هي السبيل الناجعة حين لم يجد تغيُّرًا في مواقفهم، نجده يلقيها صراحة، وبإلحاح، وفي مناسبات شتى، حتى يبدو أنه يتعرض لصراع بين ما كان عليه من الدعة والنعيم في بلاط سيف الدولة، ومن الحصار في ظل كافور الذي يكاد عليه أنفاسه، نعم يعطيه بعض الأموال والهدايا، لكن ليس هذا ما فارق حبيبه الأثير من أجله يقول:

فَكُنْ فِي اصْطِنَاعِي مُحْسِنًا كَمُجَرِّبٍ يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ (1)

فالأمر يكشف عن معنى الوعظ والإرشاد، فكافور سياسي داهية، يعلم أن المتنبي ماجاء إليه إلا لتحقيق حلمه المفقود عند سيف الدولة، ولكنه لم يروِ ظمأه بتحقيق مآربه، فقد بسط له في مجال الرجاء، ومد له في حبل الأمل؛ ليستغله في سبيل توطيد أركان مملكته، ويستخدمه كسلاح ماضٍ أمام خصومه، ويُروى أن كافورًا خشي على مملكته من المتنبي، إن هو ولاه ولاية كما كان يريد؛ ولذلك خاطبه بقوله:

فَارمِ بي ما أَرَدتَ مِنّي فَإِنّي أَسَدُ القَلبِ آدَمِيُّ الرُّواءِ(2)

وما كان تصريح المتنبي بهذه الطريقة إلا لأنه يثق بأنه شخص متفرد، صاحب تجربة خاصة، عند مقارنته بالآخرين. فهو ليس كأحد، ويرى نفسه يفوق الآخرين بصفة عامة، فهو يتصرف بطريقة ذاتية التركيز أو ذاتية المرجع وبطريقة تفاخرية أو بتباهٍ شديد. وأنه يملك المؤهلات المعينة:

(1) الديوان، ص454
(2) الديوان، ص445

سَلي عَنْ سِيْرتي فَرَسي وسَيْفِي وَرُمحي والهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا(1)

فهو يخاطب محبوبته مرشدًا لها للتأمل في سيرته، وتسأل عنه أصحابه الحقيقيين: السيف والرمح والناقة الخفيفة السريعة التي تتدفق في سرعتها، وكل هذا دليل شجاعته، وإقدامه على الأهوال، وتلك سمة من سمات المتنبي المتغلغلة في شعره، وهي التباهي بما يملك من قدرات مختلفة، شجاعة، وإقدام، ونفاذ في الفلوات، وتلك النظرة إلى تميزه، وذلك الطموح الذي كان من مظاهر الاعتداد بالنفس عنده، وقد عبر عنهما في سياقات متعددة، تأمل البيت التالي تجد أنه حلّق في وصف عالمه الخاص في الشجاعة، وملاقاة الأهوال كما لم يلقها الجنُّ، فيوجه الأمر حاملاً معنى التوجيه ولفت الانتباه، أن يسأل الصحراء، وهم في وسطها، أهو أشجع أم الجن؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنوقه المهاري (نسبة إلى قبيلة يمنية) أسرع أم النقانق (ذكور النعام)؟ فالإجابة محسومة لصالحه يقول:

سَلِ البيدَ أينَ الجنُّ مِنَّا بِجَوْزِها وعن ذي المهاري أينَ مِنها النَّقانِقُ(2)

واستمرارًا لطلب المعالي التي ينشدها، لن تتحقق تلقائيًّا، فنجده يبني علاقات توطد لتحقيق أهدافه، وهو دائمًا ما فعل ذلك، والمتأمل في سيرته، يجده انتقل من ممدوح إلى آخر، وذلك قبل اتصاله بسيف الدولة، وعندما اتصل به، اعتقد أنه وجد ضالته، واستمر في ظل تلك العلاقة تسع سنوات، لعل ممدوحه الراسخ يحقق مآربه، من جاه وسلطان وتمكين في الدولة، ولكن خاب ظنه لما خذله سيف الدولة، فبحث عن

(1) الديوان، ص279
(2) الديوان، ص68

الحل فكان كافورًا، واتصاله بكافور ـ رغم رأيه ـ في الأمراء الأعاجم ما يؤكد فكرة الغاية تبرر الوسيلة لديه.

ولم تكن علاقة المتنبي بسيف الدولة لتدوم إلا لأنها علاقة سعى إليها المتنبي كثيرًا في سعيه الحثيث إلى ذوي السلطة والجاه؛ لأنه يرى فيهم العِوض عَمَّا لم يستطع أن يَكُونَه، وإلى مَنْ يتوسَّم فيهم القدرة على تحقيق أحلامه وآماله، تأمل قوله سنة 354هـ، أي سنة وفاته، في مدحه عضد الدولة، بأن من يقترب من الملوك ويستند إليهم يكن واحدًا منهم، يقول:

ولِّ السَّلاطينَ مَنْ تَولاَّهَا والْجَأْ إليه تَكُن حُدَيَّاهَا(1)

وهذه ـ أيضًا ـ سمة من سماته التي داوم عليها طوال حياته، وهي تقربه من الكبار؛ ظنًّا منه أنه يملك كلَّ ما يمكِّنه من مقومات إقامة علاقات متوازنة معهم، وأنه كفء لأن يتعاطى معهم، وكم جلبت عليه هذه السمة من نكبات، حوت كتب الأدب تفاصيلها، وحفظتها كتب الشُّرَّاح إلى يومنا هذا.

عاشرًا: الإباحة يجد المتنبي نفسه في موقف غير مخول له بفعل شيء غير أن يطلق يد الآخر، ويتلاشى معنى الأمر إلى الإباحة الكاملة في التصرف، وعدم نكران ذلك بل سيقابل ذلك بنفس راضية، فهو مَن أباح للطرف الثاني في المعادلة أن يفعل ما يحلو له بلا قيد، سماحة نفس، وطيب خاطر، يقول:

زِيدِي أَذَى مُهْجَتي أَزِدكِ هَوىً فَأَجْهلُ النَّاسِ عَاشقٌ حَاقِدْ (2)

(1) الديوان، ص556
(2) الديوان، ص568.

حادي عشر: التهكم والسخرية والاستهزاء للمتنبي لذعاته المرة عند الانتقام، فسلاحه ماضٍ موجع، وكانت سخريته اللاذعة عونًا له، وهي رافد نفسي يلجأ إليه الإنسان عندما لا يجد للمنطق سبيلاً، فيتيح لنفسه المجال للخوض في رسم الصورة الهذلية للمهجو، لعل تلك الصورة الهذلية تعوضه بشفاء نفسه منه، والثأر لها، وله في ذلك الكثير، نجد له شواهد أوضح وأوفى في تلك الدلالة في بعض الأساليب الطلبية الأخرى، يقول:

فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبُّ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهْ (1)

فيما سبق نجد أن اعتماد المتنبي على أسلوب الأمر مكَّنه من التعبير عن نفسه بآمالها وآلامهاوصراعاتها، ومكَّننا ـ من ناحية أخرى ـ من الكشف عن الدلالات النفسية من خلال هذا التعبير، وأخذَنا في رحلة نفسية متطورة، فقد سرت شخصية المتنبي في ألفاظه وعباراته فضلاً عن أفكاره ومعانيه، وجدنا فيها مخططًا نفسيًّا واضحًا لشخصية المتنبي، وهي صورة تتفق مع ما حدده الدليل التشخيصي الذي تصدره الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين لمحددات الشخصية dsm-5 الذي أصدر في مايو 2013م(2) . من وصف لمحددات اضطرابات الشخصية النرجسية Narcissistic Personality disorder ، التي ينص فيه على أن تحقق خمسة أو أكثر من المحددات التالية يوصف صاحبها بأنه شخصية نرجسية:

1. لديه شعور بالعظمة لأهمية الذات.
2. ينشغل بتخيلاته لنجاحاته الكبيرة.

---

(1) الديوان، ص517.
(2) علم النفس المرضي، ص 943

3. يعتقد أنه مميز وفريد، وأنه يتفاهم فقط مع كبار القوم.
4. يطلب إعجابًا متزايدًا من الآخرين.
5. لديه حس بالتأهل، وتوقعات غير مبررة، وغير منطقية.
6. يمهد لعلاقات مع الآخرين للاحتيال لتحقيق نجاحات خاصة.
7. نقص التعاطف ولا يرغب في الاعتراف بمشاعر واحتياجات الآخرين.
8. يحسد الآخرين، أو أن الآخرين يحسدونه(1).

هذه الصفات كلها متحققة في المتنبي، ويوشك الدارس أن يقرر أن المتنبي نموذج متكامل للشخصية النرجسية يخالجه هذا المرض بمحدداته المختلفة كما تبين لنا من عرض بعض ملامح أعراض هذا المرض، وكما سيمر بنا كثير من الأعراض الأخرى فيما يأتي. ولا ريب أن الإنشاء الطلبي في أسلوب الأمر لديه قد كشف عن هذه الحقيقة على نحو خاص، وكشفتها بقية أساليب الإنشاء الطلبي عنده على نحو عام. والحقيقة أن الناظر فيما كتب عن المتنبي نقدًا معتمدًا على المنهج النفسي لشعره، يجد فيه أن بعض النقاد يحشر المتنبي حشرًا فيما يخدم ما خطَّه سلفًا، وقد يعمد إلى لَيّ أعناق المعاني التي ساقها الشاعرخدمة لمنهجه النفسي، ولذلك اعتمدت هذه الدراسة معطيات المعاني دون قَسْر؛ للكشف عن الدلالات النفسية لأسلوب الأمر بوصفه أحد أساليب الإنشاء الطلبي. ولكن يبقى السؤال بعد الرحلة، ما هي بواعث النرجسية لدى المتنبي؟ يرى بعض الباحثين أن حِسَّ الضَّعَة أو الحِطَّة وحس اللا أمن، والأرجح أن كلاً من هذين الحِسَّين ينطوي أحدهما على الآخر ويحتويه، بل ويمكن القول إن العوامل التي

(1) وانظر في أعراض هذا المرض: موسوعة الطب النفسي، عبد الكريم الحجاوي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمَّان، 2004م، ص 394 - 396.

ولدت الشعور بالضعة هي العوامل التي ولدت حس اللا أمن، وأن هذا الشعور وهذا الحس قد أسهما كثيرًا في توليد النرجسية لديه(1).

وثمة عوامل ولدت لديه هذا الإحساس تتلخص في عدة أمور، أولها: تَعرُّض مدينة الكوفة مسقط رأسه لهجمات القرامطة، وهي هجمات تولد الدمار والخراب، وهي مستمرة، وهذا من ضمن ما يولد الإحساس باللا أمن، وهذا شعور لم يفارقه. وثانيها، حرصه على المال، وهذا الشعور يلزمه مع الشخصيات القلقة الإحساس بالدونية، كما بيَّن آدلر أن الفشل في الصراع مع الحياة يؤدي بالإنسان إلى الإحساس بالنقص، وهذا المركب يفضي إلى التعويض(2)، وهذا المفهوم يعدُّ المفتاح الرئيس في نظرية آدلر ويقوم بالأثر نفسه الذي يقوم به

(1) انظر: لماذا صمد المتنبي؟ مقال يوسف اليوسف، مجلة المعرفة، دمشق، العدد199، 1سبتمبر1978، ص 73.
) معنى الحياة، ألفريد آدلر، ص78.

الكبت والتسامي عند فرويد. ولقد ارتبطت العملية الإبداعية عند آدلر بالشعور بالدونية ومركب النقص. أما ثالثها، فوفاة والدته مبكرًا، وحرمانه من حنانها، وكذا يُعتَقد وفاة أبيه وهو على عتبات نصف العقد الثاني من عمره، فلم يعش حياة أسرية تمنحه الحنان، مما يعزز حس عدم الأمن. ورابع هذه العوامل، نباهته في التلقي والدرس ونبوغه، وإحساسه بالتفوق على نظرائه مما عزز نرجسيته؛ لأنه لم يتلق الحنان والدعم من الآخرين، فليدعم هو ذاته.

الفصل الثالث

النتائج

1- استخدام اسلوب الامر كوسيلة للتعبير عن الوجدان والانفعالات داخل نفس الشاعر فيطلقها الفاظ موزونة مقفاة.
2- اعتماد اسلوب الامر كناصح ومرشداً في توصيل الرسالة ليشعر المتلقي بانه يضع لنفسه قانونها الخاص

11- موسوعة الطب النفسي، عبد الكريم الحجاوي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمَّان، 2004م، ص 394 - 396.
12- صمد المتنبي، مقال يوسف اليوسف، مجلة المعرفة، دمشق، العدد199، 1سبتمبر1978، ص 73.
13- معنى الحياة، ألفريد آدلر، ص78.

3- اتقن المتنبي وابدع في اعتماد على الدلالات النفسية كالالتماس والدعاء والتبكيت والتوبيخ مستخدما هذه الدلالات موشحة بقدراته الشعرية في مخاطبة ممدوحة واستمالته الى وجهة نظره
4- وظف المتنبي كل من التحدي والتعجيز والتقويض والتسليم كدلالات نفسية ضمن اسلوب الامر في ايصال رسالة الى المتلقي
5- التهكم والسخرية والاستهزاء من ضمن الدلالات النفسية التي اعتمدها المتنبي في اسلوبه الانشائي الطلبي مستخدما اياه كرافد نفسي يلجأ اليه الأنسان عندما لا يجد للمنطق سبيل.

الاستنتاجات

1- كثيرا ما ترتبط العملية الابداعية للشعراء بالشعور بالدونية ومركب النقص وافتقار الحياة الاسرية والمجتمعية للحنان ، فالشاعر الذي لا يلتقي حنان ودعم من الاخرين ، يدعم هو ذاته ويبدع.
2- أن التحليل النفسي يتعامل مع كثير من العناصر الأساسية في الشعر والأدب ما يمكنه من كشف تعقيدات النفس البشرية.
3- ترسم ريشة الفنان الصورة الكبيرة للنفس الداخلية وهواجسها ، ويسعفه اسلوب الأمر في الكشف عن تلك الهواجس والمكنونات وهو يجيد نسيج بنية ذلك الاسلوب وخاصة الشعراء.

قائمة المصادر

1- ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1944.
2- معجم المعاني الجامع https:\\www.almaany .com
3- عبد السلام هارون ، الاساليب الانشائية في علم النحو العربي ، (عمان : مكتبة الخانجي ، 2000)
4- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص7-15.
5- علم النفس الاجتماعي المعاصر، عبد الحليم محمود السيد وطريف شوقي فرج و عبد المنعم شحاته محمود، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص 76.
6- الاضطرابات السلوكية والانفعالية، مصطفى القمش وخليل المعايطة، دار المسيرة، عمَّان، ط1، 2007م، ص 223.
7- جنون العظمة في المتنبي، مرض نفسي، عبد الرحمن صدقي، مقال، مجلة الرسالة، القاهرة، ج10، السنة 43، 1935، ص 1180
8- مطالع الكافوريات، وكيف تصور نفسية المتنبي، يوسف خليف، مقال، مجلة المجلة، القاهرة، عدد16، 1ابريل1958، ص88
9- معنى الحياة، ألفريد آدلر، ص77
10- علم النفس المرضي، ص 943

أبعاد جماليات المكان في شعر عديّ بن الرِّقاع.

الباحث : فيصل بن محمد المطيري

2022

ملخص البحث

المكان عند الشاعر عديّ بن الرِّقاع لم يعد ذلك المكان الجغرافي أو الهندسي المتعارف عليه أو ما يتبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح (المكان)، بل أصبح مدخلاً إلى عالم الشاعر الرحب الفسيح، فاللغة الشعرية التي تشكّل المكان عند عديّ بن الرِّقاع تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، ولها نظام من العلاقات لتي تعتمد على التجريد الذهني والبعد التخييلي، وترسم هذ الطبيعة المزدوجة بالكلمات الصورة النهائية للمكان في شعر عديّ.بن الرقاع

ومن المعـوّل عليه "أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة و الأمكنة و الأحوال، فلا يجب أنْ يقطع بفضل شاعر على آخر،... إنّ الذين توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم ويرى الشعراء: بأنَّ الشعر "يتخلف بحسب اختلاف الأمكنة".

اشتمل الملخص على ثلاثة فصول . تضمن الفصل الاول الاطار المنهجي وفيه مشكلة البحث واهميته والهدف من البحث وتحديد المصطلحات . ثم جاء الفصل الثاني واشتمل على الاطار النظري وفيه ثلاثة مباحث وهي الابعاد الوجدانية والانتمائية والنفسية للمكان ، وايضا اشتمل الفصل على عينات لأبيات شعرية لمجموعة من الشعراء ليأتي تحليل العينات متمظهرا داخل المباحث . اما الفصل الثالث فشمل مجموعة من النتائج والاستنتاجات ثم ختم الباحث بحثه بقائمة المصادر

Summary

For a place according to the poet Uday bin al-Ruqa' is no longer the common geographical or geometrical place or what comes to mind when he hears the term (place), but rather it has become an entrance into the spacious and spacious world of the poet. It has a material-physical dimension that links words and their sensory origins, and it has a system of relationships that depend on mental abstraction and the imaginative dimension, and this dual nature paints in words the final image of the place in Uday's poetry. It is relied upon "that poetry has considerations in times, places and conditions, and it should not be interrupted by virtue of one poet over another, ... Those for whom the preparatory and motivating reasons are available are more sensible than those who are not, and the poets see: that poetry "lags behind according to different places." The summary contains three chapters. The first chapter included the methodological framework, in which the research problem, its importance, the purpose of the research and the definition of terms. Then came the second chapter and included the theoretical framework in which there are three sections, which are the emotional, affiliation and psychological dimensions of the place. The chapter also included samples of poetic verses for a group of poets, so that the analysis of the samples appeared within the investigations. As for the third chapter, it included a set of results and conclusions, then the researcher concluded his research with a list of sources

الفصل الاول

الاطار المنهجي

اولا: مشكلة البحث

المكان عند الشاعر عديّ بن الرِّقاع لم يعد ذلك المكان الجغرافي أو الهندسي المتعارف عليه أو ما يتبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح (المكان)، بل أصبح مدخلاً إلى عالم الشاعر الرحب الفسيح، فاللغة الشعرية التي تشكّل المكان عند عديّ بن الرِّقاع تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، ولها نظام من العلاقات لتي تعتمد على التجريد الذهني والبعد التخييلي، وترسم هذ الطبيعة المزدوجة بالكلمات الصورة النهائية للمكان في شعر عديّ.

ومن المعـوّل عليه "أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة و الأمكنة و الأحوال، فلا يجب أنْ يقطع بفضل شاعر على آخر،... إنّ الذين توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم"[1]، ويرى الشعراء بأنَّ الشعر "يتخلف بحسب اختلاف الأمكنة"[2]. ولتمكّن المكان من وجدان الشاعر أثرٌ في نفسيته "فأحياناً تكون الدموع والحزن محاولة لشفاء النفس من الكآبة والهمّ الذين يعانيهما الشاعر؛ لإحساسه بوطأة الطبيعة وقسوتها بما تفرضه من رحيل وغربة عن وطنه، وعندما يعجز الشاعر عن السيطرة على المكان فإنَّه يضطر للخضوع له أحياناً، ويظلُّ حنينه للمكان الذي تربطه فيه رابطة قوية كالوطن ووجود الأحبة فيه، وقد يكون الحنين إلى أماكن معينة هروباً من واقع أليم يعيشه الشاعر في حاضره، فقد ارتبط "الشاعر "إنسانا" بالمكان وتفاعل معه.

---

(1) القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 341.

(2) المرجع نفسه، ص338.

وفي ضوء مقولة القرطاجني الأخيرة ، ويتناول أبعاد المكان في شعر عديّ بن الرِّقاع العاملي، وقد قسم البحث تلك الأبعاد إلى ثلاثة: أولاً : البعد الوجداني .ثانياً: البعد الانتمائي .ثالثاً: البعد السياسي. وفي ضوء ذلك يتمحور سؤال البحث في الاستفهام التالي ماهي الابعاد الجمالية للمكان في شعر عدي بن الرقاع؟

ثانيا: أهمية البحث والحاجة اليه

تكمن أهمية البحث بوصفه دراسة أدبية تنطلق من ضرورة العمل للإفادة من بعض المفاهيم مثل الابعاد المكانية في الشعر والادب وقراءتها بشكل جديد مغاير ، وتكمن الحاجة الى البحث في افادة الدارسين والباحثين في مجال الادب عامة والشعر خاصة من حيث تعريفهم للأبعاد المكانية في شعر عدي بن الرقاع .

ثالثاَ: هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على الابعاد المكانية في شعر عدي ابن الرقاع

رابعاَ : حدود البحث

1- **الحدود الزمانية والمكانية:** لا يتقيد البحث بحدود زمانية ومكانية ، بقدر تحديد الزمان والمكان بزمكانية قصائد الشاعر عدي بن الرقاع.

2- **الحدود الموضوعية:** دراسة الابعاد المكانية في شعر عدي بن الرقاع

خامساَ : تحديد المصطلحات

1- لغة

المكان

مكان ، أمكنة ، أماكن استقر في مكان هادىء في موضع لامكان له . (1)

2- اصطلاحا:

1 - معجم لسان العرب لابن منظور http://wiki.dorar.aliraq.net

المكان:سلسلة من المراحل التطورية تمثل بحد ذاتها متغيرات تاريخية في تجربة الانسان وتعامله مع الطبيعة ، فالطبيعة بتضاريسها شكلت المكان الاول الذي أحس به الانسان([1])

1 - حسن مجيد العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، (العراق : دار الشوؤن الثقافية العلمية بوزارة الثقافة)، 1987 ،ص28

الفصل الثاني

الاطار النظري

المبحث الأول

البعد الوجداني

مما لا شك فيه أنّ هنالك علاقة تربط بين المكان والشاعر، تظهر لنا عندما يعبّر الشاعر عن خلجاته وانفعالاته، كما فعل الشاعر العربي القديم حين تغنّى بالأطلال، ليسترجع المكان الذي ألفه وترعرع بين جنباته، و هذا الشعور الوجداني بالمكان، والبعد الوجداني له أثرٌ في كيان الشاعر، إذ يحاول إبرازه من خلال الشعر، فالمكان "الذي لا يثير مقداراً ما من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً، قلما يستحوذ على اهتمام الفنان، وإنّ إضفاء البعد الوجداني على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل"[(1)]، فالشاعر يبذل كل ما يملكه وما تجود به قريحته، فهو "يود أن يقدم كل درجات التأمل المتنامي، وكل لحظات الصورة "[(2)]، إذ الشعر يعتبر من منظومة الأعمال الفنية التي أشار إليها باشلار بقوله: "الأعمال الفنية تنبثق دائماً من أناس واجهوا الخطر، ووصلوا إلى النهاية القصوى للتجربة، وصلوا إلى نقطة لا يستطيع أي كائن إنساني أن يتجاوزها "[(3)]. ولا يمكن أنْ نُغْفِل الدور الكبير الذي يمارسه الشاعر، ولهذا الدور تداعيات وبواعث، تدفعه لقول ذلك.

ولتمكّن المكان من وجدان الشاعر أثرٌ في نفسيته "فأحياناً تكون الدموع والحزن محاولة لشفاء النفس من الكآبة والهمّ الذين يعانيهما الشاعر؛ لإحساسه بوطأة الطبيعة وقسوتها بما تفرضه من رحيل وغربة عن وطنه، وعندما يعجز الشاعر عن السيطرة على المكان فإنَّه يضطر للخضوع له أحياناً، ويظلُّ حنينه

---

(1) الملا، أسامة محمد، أثر المكان في تشكيل الرواية السعودية لدى جيل الرواد من الفترة 1349هـ إلى1380هـ (الهفوف:جامعة الملك فيصل، رسالة ماجستير،1419هـ ــ1999م) ص36.

(2) باشلار، جماليات المكان ، ص189.

(3) المرجع السابق، ص198 .

للمكان الذي تربطه فيه رابطة قوية كالوطن ووجود الأحبة فيه، وقد يكون الحنين إلى أماكن معينة هروباً من واقع أليم يعيشه الشاعر في حاضره"[1]، فقد ارتبط "الشاعر "إنسانا" بالمكان وتفاعل معه"[2].

فالإنسان تمرُّ عليه ظروف، قد تبعده عن موطنه، مما يجعله يشعر بالحنين لموطنه، فقد يتألم لبعده ومفارقته تربة ترعرع بين أكنافها "ويبرز البعد الاجتماعي في أغلب الأماكن التي وردت في الشعر، ففي الحدائق الغناء، و يلاحظ أن كثيراً من الشعراء خاطبوا الزوجة والحبيبة، وما ذلك إلا لأنهم عبّروا عن هم الجماعة التي ينتمون إليها، ولم تحمل الحدائق وحدها بعداً اجتماعياً، بل أكثر الأماكن التي ذكرت في القصائد ذات دلالات وأبعاد اجتماعية، كما يظهر الألم أحد الظواهر الوجدانية الأساسية، وهى حالة نفسية يصعب تعريفها، وتتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو بالضيق"[3].

فالإنسان يتعامل بما يشعر به من انفعالات، وما ينعكس عليه من المكان سواء أفرحاً كان أم حزناً "وكذلك الشاعر حيث يتعامل مع أسماء الأماكن (الكلمات) فإنما يتعامل معها، وهي مشبعة بالمعاني الوجدانية التي تتجاوز المعاني الانفعالية الأولية، يضاف إلى ذلك نتيجة الخبرة الفردية في ظل المكتسبات التي احتضنتها الكلمة الأولية عبر تاريخ حياتها في الفكر الجماعي"[4].

وما يشعر به الشاعر من ضيق، ينعكس بدوره على وجدانه ، وربما تجاوز ذلك إلى تعاملاته مع من حوله، "وليس الضيق ضيق المكان على المستوى المادي، وإنّما الضيق على مستوى الشعور الوجداني"[5].

والشاعر عديّ أسوة بالشعراء تضمّن شعره بُعداً وجدانياً، ومن آثار هذا البُعد هو ذكر الطلّ الذي يعد النافذة التي يبثُّ من خلالها الشعراء آلامهم وشكواهم، وما تناثر حول ذلك الطلِّ من بقايا آثار، يشعره بما

---

(1) النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية (الأردن : دار الفارس، د.ط ، 1994م) ص 83.

(2) باقازي، عبد الله أحمد، عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ (الطائف: نادي الطائف الأدبي،د.ط، 1992م) ص 117.

(3) المرجع السابق، ص 12.

(4) المنصوري، شاعرية المكان، ص 16.

(5) المرجع نفسه، ص 139.

كان في تلك الأماكن من حياة، ويذكره بمَن هم كانوا يبعثون الفرح و السرور في نفس الشاعر، وأبدع عديّ في هذا المضمار أيّما إبداع، وتضمن شعره الجميل من الفنون البلاغية، إذ عمد إلى بث حزنه وألمه، عبر وقوفه على أطلال محبوبته، ويدل في ذلك عن عميق الحزن والأسى، فيقول:

ألمِمْ(1) على طَلَلٍ عفا(2) متقادِمِ بينَ الذُؤيبِ وبينَ غَيْبِ النّاعِمِ(3)
بِمَجَرِّ أهبِرَةِ الكِناسِ تَلَفَّعَتْ بَعْدِي بِمُنْكَرِ تُرْبِها المُتراكِمِ
لتزورَ أَرْمِدَةً كأَنَّ مُتُونَها في الأرضِ عن حِجَجٍ متونُ حَمائِمِ
فظَلَلْتُ مُكْتَئِباً كأنَّ تَذَكُّرِي مما(عَرِفْتُ)(4)بها (تَوْهُمُ)(5)حالِمِ
ثمّ انتبهتُ وقلتُ بعدَ لَجاجَةٍ ماذا يَرُدُّ سؤالُ أَخْرَسَ كاظِمِ
وتجلَّتِ الكأباءُ عنّي بَعْدَما شَرِقَ الجفونُ بماءِ شَجوٍ ساجِمِ(6)

تناول الشاعر في الأبيات السابقة من مطلع القصيدة آثار ديار المحبوبة؛ ليبيّن لنا ما آلت إليه، وما أحدثته تلك الحال في نفسيته، واعتمد على الصورة ليحدث التأثير الوجداني على المتلقي، فهذه الديار اندثرت، ولم يبقَ منها سوى مواقع الطهي، فالديار التحفت الرمال، ومن خلال تلك المناظر يظهر لنا حزنه وألمه لفراقها، وحاول الشاعر أن يضفي على الأبيات بعداً وجدانياً، وهو ما نجده في توظيفه لبعض الكلمات، ومنها: "مُكتَئِباً"، "الكأبة"، "شرق الجفون"، فتلك العبارات توحي بما يشعر به من أسى، وحزن لما حال في تلك الأماكن، وهذا الحزن يصدر عن شوق وولهه، لتلك الأماكن.

فعديّ شخَّصَ تلك الأماكن، فجعلها إنساناً يلتحف، فتوظيفه لكلمة "**تَلَفَّعَتْ**" يوحي بالحركة، التي تكسب ذلك المكان طابع الرونق، والبهاء، وجعله مستمر ليدل عل الاستمرارية، وعدم الانقطاع.

---

(1) ألمم: أراد ألمم بطللٍ، يقال: قد ألممت به إذا أتيته.
(2) عفا: درس.
(3) وهذه الأماكن سبق تحديدها، انظر :ص55.

(4) في الديوان " عَرِفْتُ" ، بكسر الراء ، وهو خطأ مطبعي ، و الصواب هو " عرَفتُ" بفتح الراء.

(5) في الديوان " تَوْهُمُ" بتسكين الواو، وضم الهاء، و وهو خطأ مطبعي، و الصواب " تَوهُـمُ ".

(6) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص121- 122.

كما سار الشاعر على خطى أسلافه السابقين من الشعراء في تشبيه الدّيار بصور كثيرة منها قوله في أول بيت من القصيدة الأولى في ديوانه، فيقول:

لِمَنْ الدَّارُ كَعُنْوَانِ الكِتَابِ هَاجتْ الشَّوْقَ وَعَيَّتْ بالجَوَابِ

لم تَزِدْك الدارُ إلاّ طرباً والصِّبا غيرُ شَبِيهٍ بالصوابِ

مَوْضِعُ الأَنْضَادِ(1)لأياً مَا يُرَى وَرَمَادٌ مِثْلَ كُحْلِ العَيْنِ هَابِ

صَدَّ عَنْهُ السَّيْلَ مَجْرى تَلْعَةٍ(2) خُدُدٌ باقٍ كأُخْدُودِ الكِرَاب (3)

إنّ ما تشتمله تلك الأبيات من مناظر، أثّرت على الشاعر، وأثارت وجدانه، "وتتكامل اللوحة الجمالية فيها بالغيث"(4)، وذلك من خلال إسقاط بعض الأفعال الحركية، التي تكسب المكان بدورها طابع الروعة والجمال، فتساؤل الشاعر ينضح بالوجدان، ففي قوله:"هاجت الشوق"، "عيّيت بالجواب"، ما يجعلنا نشعر بمشاعر الشاعر الجيَّاشة تجاه تلك الأماكن، فنجد الشاعر يوظّف كلمة "لم تزدك "، وأسند هذا الفعل لفاعلٍ جامدٍ، وهي "الدار "، وجعل هذا الفعل مضارعاً، يدعم الحركة، ويجعلها في حالة استمرار؛ لأن من يقوم بفعل الزيادة هو إنسان، وليس جماد، وكذلك وظَّف "صد"، وأسنده إلى السيل ، فجعل السيل يشعر، ويستشعر فيصد عن تلك الأماكن، ومن المعروف أنّ الصدود يقوم به الإنسان. **فهذه الصورة الحركية، والمستمدة من واقع البيئة، تثير وجدان الشاعر.**

ويستمر في تناول البعد الوجداني في شعره، فيقول:

ما هاجَ(5)شَوْقَك مِن مَغَانِي(6)دِمْنَةٍ(1) وَمَنَازِلٍ شَغَفَ(2)الفُؤَادَ(بَلاَهَا)(3)

---

(1) النضد : ماينضد عليه المتاع.

(2) التلعة المسيل من المكان المرتفع إلى بطن الوادي.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص41 ـ 42.

(4) ملحم، إبراهيم أحمد، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة(إربد: دار عالم الكتب الحديثة،د.ط، 20011م) ص51.

(5) هاج: ثار، وحرَّك ، وبعث.

(6) مغاني: جمع ، والمفرد "مغنى" وهي : المنازل التي كان بها أهلها.

دَارٌ لِصَفْراءَ(4)الَّتِي لاَ تَنْتَهِي عَنْ ذِكرِهَا أَبَداً وَلاَ تَنْسَاهَا

جَيْداءُ(5)يَـــطْوِيْها الضَّجِيْعُ فتنطوي(6) طَيَّ(الحَمالةِ)(7) لَيِّنٌ مَثْنَاها(8)

صادتْكَ أُخْتُ بني لُؤَيٍّ(9)إذْ رَمَتْ وأصابَ سَـهْمُكَ إذ رَمَيْتَ سواها(10)

يتغنى الشاعر بمحبوبته ويربط بين ذكرها، وذكر الدار التي سكنتها؛ لأنَّ هذه الدار تمتلك في جنباتها الذكريات التي تبعث الشوق، فالشاعر يرى الارتباط بالمكان "منازل شغف الفؤاد بِلاها"، و "دارٌ لصفراء"، فارتباط الإنسان بتلك الأماكن هو الذي صنع "فيها إنجازاته، وتحركت فيها خبراته....، لقد تناغمت موجودات المكان مع إنسانية الإنسان وقيمه، وإحساسه بالجمال"(11)، فالشاعر اختار بعض الألفاظ التي

---

(1) دمنة :دمنة الدار آثارها، والدمنة أيضاً آثار الناس، وما سوّدوا.

(2) شغف الفؤاد: الشغاف: غلاف القلب أو غشاؤه، وشغفه الحبّ وصل إلى شغاف قلبه.

(3) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع بتحقيق : الضامن وكذلك بتحقيق الشريف بفتح الباء في "بَلاها". وهذا لا يصح ولا يستقيم مع معنى البيت، إذ البَلى بفتح الباء معناه البلاء، انظر: البركاتي ، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص113، وفي ديوان العاملي بتحقيق حسن "البِلى" بكسر الباء ومعناه القدم، وهو ما يتناسب مع معنى البيت، انظر العاملي، ديوان عديّ، ص42 ، وانظر، الزبيدي، تاج العروس، ج37، ص210.

(4) الصفراء: اسم لمرأة.

(5) جيداء : وهي المرأة طويلة العنق حسنة.

(6) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع. و أُثبتت " بصُلبها " ، انظر البركاتي ، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص114.

(7) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع. ولدى البركاتي " المحالة " ، انظر البركاتي ، ص82 ، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114. و المحالة : هي البكرة العظيمة التي تستقي بها الإبل.

(8) متناها: جانبا الظهر. وهذا البيت ذكره البركاتي، والعاملي قبل البيت الثاني، انظر: البركاتي، ديوان عديّ، ص82، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114.

(9) بنو لؤي: يذكر العاملي بأنّه "نسبة إلى لؤي بن الحارث، أو لؤي بن غالب بن فهر، وكلاهما جدان جاهليان "، انظر: العاملي ،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114.

(10) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص96.

(11) ملحم، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، ص32.

تشعل الوجدان وتبعثه، وذلك عندما قال "شوقك"، "صادتك"، "أصاب... سواها"، فالشوق يهيج العاطفة، وتبعث في نفسه الوجدان، وتوظيفه لحرف الشين في قوله "شوق" و"شغف" توحي بأنَّ حبّها وحبّ دارها قد تمكن منه، وتفشى في وجدانه. و يعمد إلى وصفها بصفات تلهب عقله، وتثير فيه الشوق والوجدان، فيقول :

بيضاءُ تَسْتَلِبُ الرجالَ عقولَهُمْ عَظُمَتْ روادِفُها وَدَقَّ(1) حَشاها(2)

وكأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ ولذَّةً صهباءَ(3)ساكَ(4) بها المُسَحِّرُ(5)فاها(6)

أراد عديّ في هذه الأبيات أنْ يصفَ روعة محبوبته وجمالها، فكان الخبر ابتدائياً؛ لأن المتلقي خالي الذهن، فاستغنى الشاعر عن أدوات التأكيد، وبرزت عنده روعة التشبيه البلاغي، و جمالية الوصف في ما تملكه محبوبة من بهاء وحسن. فالشاعر وظَّف التضاد؛ وذلك من خلال كلمتي "عظمت" و"دقّ"، وما تثيره تلكما الصفتان، من وجدان عاطفي في قلب الشاعر.

والبعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي، وإنَّما قد يكون في ما يملكه من أشياء، أو أنعام، أو بيوت، وإذا كان الملحم يرى في تحقق حياة المكان لابد من وجود الإنسان، فهو يقول: "إنّ حياة المكان، لا يمكن أنْ تتحقق دون الإنسان الذي يشكّل للأرض شريانها الحيوي، والإنسان الطيب هو الذي يبعث الحياة في المكان؛ حتى يكون جديراً بالاحترام والتقدير"(7)،فإننا نرى الحيوان شريك الإنسان، وبه تتم الحركة والتنقل، فله نصيب من ذلك التحقق.

---

(1) دق : نحُل وضمُـر.

(2) الحشا : الخصر.

(3) الصهباء : صفة للخمرة التي عصرت من العنب الأحمر فهو "الأصهب"، أما ما جاء في الديوان بأنَّه " أبيض"، فغير متوافق.

(4) ساك: من السواك، وقد ساك فاه يسوكه سوكاً.

(5) المسحر: الذي يقوم عند السحر فيسقيها.

(6) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص97.

(7) ملحم، شعرية المكان ، ص33.

لقد كان للشاعر من الشعر الوجداني نصيبٌ في وصف الأشياء التي يمتلكها، فها هو في الأبيات الواردة من ديوانه يخبرنا عن ناقته، فيقول:

وتشولُ(1)خَـشْيَةَ ذِي اليَمِيْنِ(2)بِـمُسْبَلٍ(3) وَحْفٍ(4)إذا (صَخِبَ)(5)(النَّبَابُ)(6)حَماها

مُتَنَيِّلٍ(7)لَدْنٍ(8) المفاصِلِ (9)فَوْقَهُ (عَجَبٌ)(10)أَصَمٌّ(11) يَسُدُّ(12)خَورَ (1)صَلاها(2)

---

(1) تشول : شالت الناقة بذنبها ، أي: رفعته.

(2) ذو اليمين: يريد السوط؛ لأنه يكون في اليمين.

(3) مسبل : ذنب طويل.

(4) وحف: الوحف الشعر الذي غزُر.

(5) هكذا في الديوان، وأُثبت "صَـحِب"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف

(6) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله: "اللِّذَّاب"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة، ص118. وهو تصحيف، وصخب الذباب: أي كثير الطنين.

(7) هكذا في الديوان بتنوين كسر، وأُثبت بتنوين ضم "متذيلٌ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص119. و متذيل : طويل.

(8) ولدن : لَيّن. هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:" لوْنٌ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف بيّن.

(9) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:" المَنَاضِلِ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف بيّن.

(10) هكذا في الديوان بفتح الجيم، وأّثبته العاملي بقوله:" عَـجْـب "، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118.وهو الصواب؛ لأن العـجْـب بالسكون: العظم الذي أسفل الصُلب عند العجز، وقيل العجْب : أصل الذنب.

(11) أصمّ : أي قاسي، وصلب.

(12) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:"يَـسُدُّ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة، ص118. وهو تصحيف.

نُخِسَتْ(3)بِهِ عَجَزٌ كَأَنَّ(مَحالَها)(4) دَرَجٌ سُلَيْمانُ (النبيُّ)(5)بَنـاها

بُنِيَتْ على كرشٍ كأنَّ حُرُوْدَها(6) مُقُطٌ(7)مُطوّاةٌ(8)أُمِرَّ قُـوَاها(9)

في مُجْفَرٍ(10)حَابِي الضُّلُوعِ(11)كَأَنَّهُ بِئْرٌ يُجِيْبُ النَّاطِقِيْنَ رَجَاهَا[12]

فقد أثارت إعجابه، ما جعله يتحدث عنها، ويبيّن بعضاً من أوصافها، فالشاعر في الأبيات السابقة، يتحدث عن سرعتها، وما اشتملت عليه من قوة الخَلْق، والتي تساعدها على رحلة المسير التي يسير فيها عديّ. فشبهها بالبئر، ليدل على ما هي عليه من سعة وعمق، فتجيب الأصداء الناطقين، وتتردد في جوانبها.

---

(1) خور : مجرى الروث.

(2) الصلوان : مكتنفا الذنب عن يمينه وشماله.

(3) نخست: أتاها من خلفها.

(4) محالها : المحا : الفقار، واحدها : محالة. هكذا في الديوان ، ولدى البركاتي، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، وأثبتت "مَـجَـالـهـا"، انظر :العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص119، وهو تصحيف بيّن.

(5) هكذا في الديوان،و أُثبتت " القديمُ"، انظر :البركاتي، ديوان عديّ بن الرِّقاع،ص84، العاملي،عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص119. وهو تصحيف.

(6) حرودها : ايقال بيت محرّد إن كان سقفه مسنماً كهيئة اللوح.

(7) مقط: حبال، واحدها: مِقاط.

(8) مطواة: مفتول بعضها إلى بعض.

(9). أمرَّ قواها: أي شُـدَّ فتلها.

(10) مجفر: جوف منتفخ واسع.

(11) حابي الضلوع: اتصال رؤوس الأضلاع بعضها ببعض الآخر.

(12) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 101ـ 102.

وفي موضع آخر من شعر عديّ الذي يتصف بالبعد الوجداني ما يدل على همٍ آخر يريد التخلص منه بالنُّوق الناجيات، بعد أنْ رأى إعراض النّساء عنه، لما رأينه فقد الشباب، ونسين حسن شمائله، وحديثه الجذَّاب، لذلك قرر الرحيل، فقال :

إن شاكَها(1)حَجَرٌ يَضُرُّ حُسامُهُ(2) بـالـخُـفِّ أَو أَذيَـت(3) بِأَخنَسَ(4)آزِمِ(5)

خَبَطت بِفَرسَنِها(6)الجَبُوبُ(7) كَأَنَّما صـالَت(8)بِـنَـصرَتِها يَمينُ مُلاطِمِ (9)

فنجد الشاعر يبيّن ما تعرضت له الناقة، فهو يفتخر بها، وبما قدمته، وقد شَخَّص الحجر، فجعله رجلاً يؤذي بحسامه خُفَّ الناقة، كما شخّص "الأخنس"، وهو القراد يأكل في جسد الناقة، أمَّا الناقة، فشخَّصها على أنَّها إنسان يطأ عدواً، وهو "الجبوب" تلك الأرض الصلبة، ويشبهه بمن ينتصر للمظلوم "نصرتها... مُلاطِم"، فربط بين كل من "خبطت" و"صالت"، وما فيهما من حركة، وضرب عنيف، والجامع بين المشبه والمشبه به، هو هذه الحركة والاندفاع، مما يسبغ على تلك الصورة طابع الحركة، فحركة ناقته سريعة نشطة.

ومن صور التشبيه البليغة ذات البعد الوجداني عند عديّ، والتي يخبرنا فيها عن عيون أم القاسم والتي شبهها بعيني ظبي من "جآذر جاسم" في قصيدته المعنونة بـ(الميمية)، التي مدح فيها الوليد بن عبد الملك، فيقول:

---

(1) شاكها: صكَّها و آذاها، وهو مستعار من شاكته شوكة إذا دخلت في رجله.

(2) حسامه: حده.

(3) أذيت: تأّذيت.

(4) أخنس: قراد.

(5) آزم: عاضٌ بها.

(6) فرسنها: فِرْسِنُ البعير، وهي مؤنثة، وجمعها فراسِن. وفي الفراسن السُّلامى: وهي عظام الفرسِن وقصَبُها، والفرسن من البعير: بمنزلة الحافر من الدابة،وربما استعير في الشاة.

(7) هكذا في الديون بالرفع(الجبوبُ)، و الصواب " الجبوبَ" بالنصب ، و الجبوب: جمع جُب ، والجبّ : الأرض الصلبة اليابسة.

(8) صالت: صال أي: سطا، وصال عليه وثب.

(9). ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 125. ملاطم: اللَّطم: ضَرْبك الخـدَّ وصفحة الجسد.

لَــولا الحَــياءُ وَأَنَّ رَأسِــيَ قَـد عَثـا(1) فيهِ المَشيبُ لَزُرتُ أُمَّ القاسِمِ

وَكَأَنَّها(2)وَسْطَ(3)النِساءِ أَعارَها عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِن جَــآذِرِ(4)جــاسِــمِ(5)

وَسنانُ أَقصَدَهُ(6)النُّعاسُ (فَرَنَّقَت) (7) في عَينيهِ(8) سِنَةٌ وَليسَ بِنائِمِ

يَصطادُ يَقظانَ الرِّجالِ حَديثُها وَتَــطيــرُ لَذَّتُــها بِــــروحِ الــنائِـمِ(9)

في الأبيات السابقة يتحسر الشاعر على زوال شبابه الذي حاول منعه الغزل والنسيب؛ لأن الشيب قد غزا شعر رأسه، إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من الإبداع في التغزل، ووصف عيني "أم القاسم"، إذ أبدع في تشبيه تلك العيون بعيون جؤذرٍ أحورٍ من جاسم، إذ أنها فاترة العينين من دوران النعاس فيهما، فهو النائم واليقظ. فـ"جآذر جاسم" أثارة وجدان الشاعر، وجعلته يتغنى بعيونها. وعديّ عندما عمد إلى التضاد المفهوم من خلال البيت الأول، فعدم الزيارة وامتناعه عن فعل ذلك، كان بسبب الشيب الذي انتشر وعم شعره. اعتاد عديّ على تشبيه محبوبته بالظبية إلاّ أنّه شبهها أيضاً بالمها في صورة بلاغية وجدانية تُعد امتداداً لصورة الظَّبية في شعره، وذلك بقوله:

وَمَا حُسَيْنَةُ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنا لِلْبَيْنِ واعتَقَدَتْ شَذْراً(10)وَمُرْجَانَا(1)

---

(1) هكذا في الديوان، ولدى العاملي، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101، وفي البركاتي "عــســا"، انظر : البركاتي،ديوان عديّ، ص76. وهو تصحيف. وعثا: عثا فيه المشيب، أي: أفسد.

(2) هكذا في الديون، ولدى العاملي، انظر: عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101. وفي البركاتي "فــكــأنّـا"، انظر: البركاتي، ديون عديّ،ص101. وهو تصحيف.

(3) هكذا في الديوان،ولدى العاملي، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101 . وفي البركاتي "بــــيــــن " ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ، ص76.

(4) الحَوَرُ: سبق بيانه ، انظر: ص58.

(5) وجاسم :سبق بيانه ، انظر: ص58.

(6) قصده: الإقصاد أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكان، وهو هنا استعارة، أن أقصده النعاس فأماته.

(7) فرنَّقت: دارت وماجت. هكذا في الديوان، ولدي البركاتي،انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص77، وأثبتها العاملي بتشديد الراء "فـرَّنـقـت"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص102. وهو خطأ مطبعي.

(8) هكذا في الديوان، وفي نسخة العاملي، " عينين"، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع العاملي، أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص101 .إلاّ أنّ بقراءة العاملي ينكسر البيت.

(9) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص 122.

(10) شذر : الشَّذر: قطعٌ من الذهب يُلقط من المعْدِن من غير إذابة الحجارة.

إلاّ مَهَاةُ(2) صَرِيمٍ حُرَّةٌ خَذَلَتْ(3) مِنْ وَحْشِ أَعْفَرَ(4)أَوْ مِنْ وَحْشِ نيّانَا(5)
أو ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ(الحُوَّةِ)(6)ابْتَقَلَتْ(7) مَذَانِباً(8)(فجَرَتْ)(9)نَبْتاً وحُجْرانا(10)
مَجّ الربيعُ بها الوسميّ ريقتَهُ(11) فأنْبَتَتْ نَفَلاً رُؤْداً(12)و حَوْذانا(13)

في الأبيات السابقة، يصور عديّ محبوبته عندما تزينت للوداع بمهاة ناصعة البياض ابتعدت عن القطيع، وتخلفت عنه، أو ظبية رعت منابت الغيث وتهتم بصغيرها، فهي ترنو إليه بنظرة حانية ما يزيد عينيها جمالاً، فهنا استخدم الشاعر صور تشبيهية متعددة الأشكال كاللون الناصع، والخلقة المكتملة، والعيون الواسعة، وحسن الالتفاتة الناتجة عن خوفها على صغيرها المشاكس، إذ اعتبر الشاعر محبوبته هنا المهاة نفسها، وليس شبيهتها فقط، ثم يكْمل أكثر ويخصص، فلا يشبهها بعامة المها وإنّما بمهاة رملة ذات شجر، منقطعة عن معظم الرمال وذلك؛ لأنَّ تلك الصفات تمنح النبات الوفرة والخضرة والحياة للكائنات، فـــ" تتكامل اللوحة الجمالية فيها بالغيث"(14).

---

(1) المرجان : صغار اللؤلؤ.في الديوان بضم الميم. والصواب بالفتح، ٹآتآ ٌآ نى □ □ □ □ ً

سورة الرحمن،أية22.

(2) المهاة: البقرة الوحشية سميت كذلك لبياضها، شبّهت بالبلورة والدُّرّة، انظر الزبيدي، تاج العروس، ج39، (مهو).

(3) خذلت : تأخّرت عن بقيت القطيع.

(4) أعفر: سبق بيانه، انظر: 59.

(5) نيان : سبق بيانه، انظر: ص59.

(6) الحُوّة: حرة لكلب، انظر: ابن الرّقاع، ،ديوان عديّ بن الرّقاع، ص157، فيبدو أنّ هنا تصحيف ، والمقصود الحرة. ويذكر ياقوت: أنّ :" الحوّة : حُمرة تضرب إلى السواد، والحوّة في الشفاة سُمرةٌ فيها: وهو موضع ببلاد كلب"، انظر: الحموي،معجم البلدان، ج2،ص326.ويبيّن العماري : أنّ هناك رواية آخرى فيقول:" اقتصر المحققان على رواية الحوة"، ولم يذكروا الرواية الأخرى التي ذكرها ياالحموي:"الحياة""، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1،ص180 .

(7) ابتقلت: رعت البقل.

(8) المذانب: مجاري الماء إلى الرَّوض.

(9) هكذا في الديوان بتشديد الجيم، و أُثبتت بالفتح من غير شدة " فـــــــجَـــــــــرت"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص110 .

(10) حجرانا: جمع حاجر، وهو مثل الغدير يمسك الماء.

(11)- والقراءة التي تبدو صائبة هي "ريقه"؛ لأن رَيّق كل شيء أفضله و أوّله، وهو ما يتناسب مع الربيع.

(12) رؤداً: رخصاً ناعماً

(13) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، 168 . والحوذان: نبت طيب الريح.

(14) ملحم، شعرية المكان ص51.

فعديّ يعمد إلى توظيف الحركة في تشبيهاته، ما يجعل المتلقي يتأثر بالحركة، فيتخيل الموقف، وهذه الصور المتحركة تطبع الأبيات بحيوية واستمرار، ما يجعله ينجذب نحوها.

والمُمعن في شعر عديّ يجده يتضمّن البعد الوجداني، ومن آثار هذا البعد ذكر الطّل الذي يعد المدخل الذي يبث من خلاله الشعراء آلامهم وشكواهم، وما تناثر حول ذلك الطل من بقايا آثار، وأبدع الشاعر في هذا المضمار أيما إبداع وتضمن شعره الجميل من الفنون البلاغية، وكان له نصيب وافر من تلك الفنون التي منها خروجه عن مقتضى ظاهر الكلام،فهو يعمد إلى بَثِّ أحزانه و ألامه عبر وقوفه على أطلال محبوبته، والبعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي، وإنما يكون في ما يملكه من أشياء أو أنعام أو بيوت أو أماكن، والشاعر عديَّ بن الرّقاع كان له من الشعر الوجداني نصيب في وصف الأشياء التي يمتلكها، ومنها الإبل والخيل، وغيرها.

المبحث الثاني

البعد الانتمائي

يعني المكان للإنسان أشياء عديّدة، ولا يمكن أنْ يكون هناك إنسان بدون مكان، أو معزول عنه؛ لهذا كان المكان "أسبق في وجوده من وجود الإنسان فقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وذللها وهيأها كما هيأ الكون كله بوصفه المكان الأكبر لحياة الإنسان"[1]. ولا أحد ينكر مدى العلاقة بين الإنسان والمكان، والارتباط الوثيق بينهما، فالمكان" هو الأرض والوطن والمأوى والانتماء، فحس الشاعر بمكانه الأصلي وموطنه حس أصيل وعميق، وخصوصاً إذا كان المكان هو الوطن، ومكان الانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض – الأم – ويرتبط بهناءة الطفولة والصبا، ويزداد هذا الحس إذا ما تعرض المكان للفقد، فالشعراء في الغربة يعيشون وطناً لغوياً يبنونه في ديوان أو في قصيدة شعر؛ ليعبر عن هذه الحالة البشرية في مستواها الأولي (البعد عن الوطن) ويعكس معاناة المغترب في تناقضه مع المكان ومفرداته، فالغربة بقسوتها دائرة لا تتسع وفق رغبة المغترب؛ لأن القصيدة هي وطن الشاعر فهو يبحث

(1) إسماعيل، محمد السيد ، بناء " فضاء المكان" في القصة العربية القصيرة (الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام ،ط1 ، 2003م) ص12.

عن المكان الذي يقول فيه كلمته، يحمل أحلامه وآلامه ويطلق أجنحته للريح سعياً وراء المكان الوطن"[1]، ولا أحد يستطيع أنْ يفصل بين الإنسان والمكان فليس" المكان شيئاً منفصلاً عن جسد هذا الإنسان، بل هو امتداد له، وما تنقُله من مكان إلى مكان آخر إلاّ من زاوية التقلب من جنب إلى جنب، فإذا وجد ما ينشده في مكان ما استقر فيه إلى أنْ يشاء الله له"(2).

وأمّا الحنين والغربة فهما متلازمان، فما أنْ تحلّ الغربة حتى يتبعها الحنين إلى الأهل والأوطان، فشاعر المكان المحب له، ظهرت عنده أبرز قضايا الاحتفاء بالمكان، والانتماء له، فهو مرتبط بالمكان، مخلص له، وتشع قصائده بفيضٍ من الأمكنة، وهذه الأمكنة التي يوظفها الشاعر ذات بعد دلالي يستطيع المتلقي استنباطها من خلال الاستقراء، وعديّ نشأ، وترعرع في هذه الأماكن التي استحوذت على وجدانه وكيانه، وعاش فيها.

ويعد عديّ شاعر شاميّ "وقد عاش في كنف بني أمية... وانعكس ذلك على شعره، حتى أنّه عرف بشاعر أهل الشام"[3]ـ وهو ما سبق ذكره ، في الفصل السابق ــ إذ تناول جوانب الحضارة، التي ظهرت في العصر الأموي، وكان لبني أمية سببٌ في ظهور هذه الحضارة، من القصور والمساجد، والكتابة، وأدواتها...، مما وظّفه عديّ في شعره.

ومن النماذج التي ذكرها عديّ، والتي وظَّفها في شعره، وهو ما يتحدث فيه عن الشام وقراها وأماكنها، فقد ذكر على سبيل المثال مدينة حمص، فقال:

منعوا الثُّغْرَةَ[4]التي بين حمصٍ والكهاتَيْنِ[5] ليس فيها(غريبُ)[1]

---

(1) الأزرعي، سليمان ، البحث عن وطن (عمان: الإمارة ، د.ط، 1426هـ ــ 2005 م) ص40.

(2) ملحم، شعرية المكان، ص52.

(3) ابن دريد، الاشتقاق، ص 375.

(4) الثغرة: الثغر، هو: الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.

(5) الكهاتان: موضع بالشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 496.

وقوله :

لِمنْ رَسْمُ[2]دارٍ كالكتابِ المُنَمْنَمِ[3] بمُنْعَرجِ[4] الوادِي[5]فُوَيقَ المُهَزَّمِ[6]

ففي البيت الأول تظهر الدلالة المكانية، والفضاء المكاني بحيزه الواضح في حديثه عن حمص، فقد وظّف كلمة "الثُّغرة"، التي تشعر بالقرب المكاني بين " حمص" و "الكهاتين"، فتوحي فكأنها همزة الوصل بين المكانين.

وفي البيت الثاني تناول الشاعر الحديث عن الدار، ووظّف كلمة " المنمنم"، وجعل ذلك التزيين في منعرج الوادي "وادي السرحان" كما يحدث في جوانب الكتاب من تنميق وتزيين، ووظّف كلمتي" بمنعرج"، و"فويق"، التي توحي بالقرب للمكان، وشبه ما بقي من المكان (الآثار) برسم الكتاب(الخط في الكتاب)، الذي اندثرت معالمه ولم تبقَ سوى تلك الزّينة، ويحاول الشعراء أنّ يقرنوا بينه وبين ما يحبون، فلذلك شبه هذه الدار و آثارها بالأداة الجديدة، فاستحسن ذلك الجديد غير المألوف.

وكان الشاعر يُعرف بانتمائه وولائه للخلافة الأموية، وقد انعكس ذلك في ديوانه، وكان يعرف كذلك بأنّه شاعر أهل الشام وهم أنصار الأمويين، ويعد ابن الرّقاع شاعر الأمويين، واختص بالمديح لخلفائهم، ولا

---

(1) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 247. هكذا في الديوان، وأثبتها العاملي "عَرِيْبُ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص40. أي ليس فيها أحد.

(2) رسم : الأثر بلا شخص.

(3) المنمنم : أي المحسن ، وقيل الموشَّى.

(4) منعرج : أي منعطف.

(5) منعرج الوادي : يشير إلى وادي السرحان ، انظر: العمّاري ، عديّ بن الرّقاع، ص62.

(6) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص 128. وسبق تحديد المهزَّم، انظر ص68.

سيما الوليد بن عبد الملك[1]، وقد ظهر ذلك في عدد من قصائد الديوان التي بلغت تسعاً وعشرين قصيدة كان للوليد نصيب منها في المدح بعشر قصائد.

لقد عاصر عديّ عدداً من الخلفاء الأمويين، بدءاً من عبد الملك بن مروان[2]، ومروراً بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز وانقطعت أخباره بعد ذلك بالموت، وقد كان ثابت الانتماء، والولاء لهم، وأثبت انتمائه بنصرته لهم بلسانه وشعره.

واحتل الشاعر مكانة عند بني أمية كانت دليلاً على انتمائه وولائه لبني أمية ودفاعه المتفاني عنهم، فـ "كان شاعراً مقدّماً عند بني أمية مَدَّاحاً لهم خاصًا بالوليد بن عبدالملك "[3]، وفي المقابل يدافعون عنه[4]، وبهذه المكانة التي استمدها من خلفاء بني أمية، أصبح خصماً، ونِدّاً لكبار الشعراء في ذلك العصر كالفرزدق والأخطل، وغيرهم. ما جعله يشيد بأفعالهم، ويمجدهم، وقد جاء إثبات انتمائه لبني أمية في قصائد عدة، نذكر منها، قوله:

وعَسْكَرَ جَنْباً ما يَرِيمُ[5] مكانَهُ ... بأرْضِ فَضَاءٍ وهو للروم واتِرُ

تُحَبِّسُ أفواجاً عليهِ سَبِيُّهم ... كماحُبِستْ في ذي المجازِ[6]الأباعِرُ

وما كان يَثْوِي في المكان الذي ثَوى[1] ... به في السنينِ الخالياتِ العساكِرُ

---

(1) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس ، ولد سنة 48هـ، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه(سنة 86هـ) فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير، وامتدت في زمنه حدود الولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين شرقاً، قبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، وكان ولوعاً بالبناء والعمران، وتوفي 96هـ، انظر: الزركلي، الأعلام،ج8،ص121.

(2) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة ، فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65هـ) فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة، توفي في دمشق سنة 86هـ، انظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص165.

(3) الأصفهاني، الأغاني، مج9 ،ص228.وانظر: الزركلي ، الأعلام ، ج4، ص221.حيث قال: "مقدماً عند بني أمية".

(4) ومن المواقف دفاع الوليد عنه عندما "قال الوليد لجرير : لئن شتمته لأسرجَّك ولألجمنَّك حتى يركبك فيعيَّرك الشعراء بذلك "، انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، مج9، ص228.

(5) مايريم: مايبرح مكانه.

(6) سبق تحديد المكان ، انظر: ص79.

كـأنَّ أكُـفَّ الـسـائلـيـنَ بـبـابِهِ إذا بُسِطَتْ والقُمْصُ عنها حواسِرُ

رُؤوسُ نَـهالٍ(2)خامِساتٍ(3)تُعينُها دِلاءُ السُّقاةِ والحياضُ الدعاثرُ(4)

تتجلى في الأبيات السابقة روح المعاني وروعة التعبير لدلالة على انتماء الشاعر لبني أمية ومدحهم، ما دلّ على ألفة ومودة بينهم، إذ مدح فيهم الشهامة، والكرم، والسخاء، وحسن الخلق، فوظّف كلمات توحي بالالتصاق مثل: "عسكر"، "جنباً"، "تُحبِّس"، "يثوي"، "ثوى"، فهذه العبارات تدلّ على مدى القرب من الأماكن، الذي بدوره يدل على الانتماء، ووظّف الشاعر التشبيه، فقد شبه الشاعر جيوش الأمويين متراصة وجنباً إلى جنب في أرض فضاء واسعة قد أنزلت بالروم الهزيمة، بالأباعر التي حبست في ذي المجاز، وأشار إلى كرم وسخاء الأمويين للسائلين على أبوابهم يبسطون أيديهم، ولا يمنعون الخير والعطاء عن أحد، وقد ألمح إلى شجاعة عمر، وهو ما نستشفه في قوله: "ما يريم مكانه"، فكناية عن إثبات الشجاعة بوقوفه في هذا المكان الفضاء المكشوف للعدو، وعم ذلك لا يبالي، وإنّما لم يكن يثوي فيه العساكر من قبل، وذلك لخطورته، وفي هذا دلالة على شجاعة عمر وثباته في موجه المخاطر.

فالشاعر يمزج بين شجاعته، وكرمه، ووظّف الكلمات التي توحي بذلك، كـ "عسكر جنباً"، "ما يريم مكانه"، "أرض فضاء"، "ذو المجاز"، " يثوي في المكان"، " ثوى"، "الحياض"، فالشاعر أبرز الممدوح بصورة متكاملة من الشجاعة، والكرم، مما يدل على إعجابه به.

وقال يمدح عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان:

وجارُهُمُ أَعَزُّ من الثُّرَيّا إذا عَقَدُوا لجارهم الحِبالا(5)

---

(1) ثوى: المثوى الموضع الذي يُقام به، وجمعه المثاوي، ومثوى الرجل: منزله ، وثوى بالمكان نزل فيه، وبه سمي المنزل مثوى

(2) نَهال: العطاش، أي: شربت أول مرة ، وقيل للعطاش النواهل على التفاؤل، أي: ستنهل

(3) الخوامس: أي ترد الخمس، وهي أنْ تشرب يوماً، وترعى ثلاثاً، ثمّ ترد اليوم الخمس.

(4) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص202 . الدعاثر : جمع ومفرده الدعثور : حوض لم يُـتَـنَوَّقْ في صنعته، أو المتهدم المتثلم.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص114. الحبل : العهد والذمة.

فلقد تعارف العرب على حسن معاملة الجار، والاهتمام به، وعدم الإساءة إليه بأي شكلٍ من الأشكال، وهاهو عديّ يصور يقدِّم من تلك الصور التي ارتسمت في أذهانهم منذ الطفولة، فهو يثني على عمر بحمايته لجاره، وعمد عديّ إلى الربط بين شيئين متباعدين، وهما الجار الذي موطنه الأرض، و الثريَّا التي في السماء، فمن خلال هذه الثنائية الضدية برزت مكانة الجار، وأضفت على المكان الألفة والتعاون، وروح المحبة المتبادلة.

وكان من ولائه لبني أمية أنَّ الأشياء، والأماكن تتنكر له، في حالة فقدها للخيفة ، فيقول:

إذا هَبَطْتُ بِلاداً لا أراكَ بها تَجَهَّمَتْنِي(1)وحالَتْ دُونها ظُلَمُ(2)

فالتجهم مشروط بخلوّ تلك البلاد من الخليفة (عمر بن الوليد)، وإلا فإنه يجد نفسه مقبولاً أينما حلَّ و ارتحل، فهذه البلاد ـ في نظر عديّ ـ اكتسبت صفتين، "تشخيص البلاد"، وهي صفة من صفات الإنسان وظهر منها التنكر له، و"التجسيم" جعل الليالي المظلمة سدّاً حائلاً دون تلك البلاد، فيرى ظلاماً كثيفاً يحول بينه وبينها.

والممعن في البيت، يرى الشاعر يهدف إلى الإطلاق، وذلك بقوله: "بلاداً"، التي تدل على أنَّ الشاعر يتصور أنّ كل بلاد في نظره لا تختلف عن غيرها، إلاّ إذا أتاها الخليفة، ونزل بها. ويبيّن شدة عزم الخليفة في أمره الذي أدّى به إلى تحقيق النصر على الروم، فيقول :

وكانَ أَمْرُكَ(3) في أَهْلِ الطُّوانَةِ[4] مِنْ نَصْرِ الَّذِي فَوْقَنَا واللهُ أَعْطَانَا

أَمْرًا شَدَدْتَ بِإِذْنِ اللهِ عُقْدَتَهُ فَزَادَ في دِينِنا(1)خَيْراً ودُنيانا(2)

---

(1) تجهمتني: تنكرت لي، و أظهرت عدم قبولها لي.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص119. ظُلَم: جمع ظلْمة، أي : ظلمة الليل.

(3) أمرك : فِـعـلُك.

(4) الطوانة: بلد بثغور المصيصة، انظر: الحموي، معجم البلدان،ج4،ص45. والمصيصة: مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية، وبلاد الروم، انظر: الحموي، معجم البلدان،ج5،ص144ـ145،ويرى العمّاري:أنَّها " في الشام؛ لأنَّـه يشير إلى تحويل الكنيسة إلى جامع" ، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1،ص207.

فالأمر من الخليفة " أمرك "،أي: فعلك في الروم بانتصارك العظيم والعطاء من الله للجميع " الله أعطانا"، فعديّ يرى أنّ النصر عطاء من الله تعالى، إنّه نصر إلهي، وانتصار للدين. وهذه فضيلة يركز عليها عديّ في مخاطبته عمر بن عبدالعزيز.

وتعد القصيدة الدالية المشهورة(3)في ديوان عديّ من غرر مدائحه، وتَـنُم عن جميل انتمائه للبلاط الأموي، وخصَّصَ فيها مدحه للوليد، وتضمنت تلك القصيدة العديد من الصور البيانية الشعرية من تشبيه، وكناية، واستعارة، وغيرها، فقال:

نَزَلَ الوليدُ بها فكانَ لأَهْلِها غَيْثاً أغاثَ أنيسَها وبلادَها

أوَلا تَرَى أنَّ البَريَّةَ كُلَّها أَلقَتْ خزائِمَها[4] إليهِ فقادَها[5]

ثم يقول:

تأتِيهِ أسْلابُ الأَعِزَّةِ[6]عَنْوَةً[7] قَسْراً ويجمعُ للحروبِ عَتادَها[8]

ثم يقول:

---

(1). هكذا في الديوان بكسر الدال. وأثبته العاملي بفتح الدال:"دَيْنِنا"،انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف بياً وعيني امرأة،ص112، ورواية الديوان هي المناسبة وذلك؛ لأنَّ ما يقابل "الدُّنيا" هو "الآخرة".

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 174.

(3) اكتسبت شهرتها من قوله: تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرة رَوقه قَلمٌ أصاب من الدَّواة مِـدادَها

(4) حزائم: جمع خُـزامة، وهي حلقة من صفر توضع في أنف الناقة.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 91.

(6) الأعزة: الملوك أهل النعمة، والقوة ، والعزة.

(7) عنوة: طاعة ، وعن غير طاعة، وقيل: أي قهراً، وغلبةً.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص93.

أطـفـــأتَ نـيــرانَ العدوِّ وأوقِــدَتْ نارٌ قَدَحْتَ براحَتَيْكَ زِنادَها[1]
فَـبَـــدَتْ بصيرتُها لِمَنْ تَبَعَ الهُـــدى وأصابَ حَرُّ شَرارِها حُسَّادَها
وإذا غَـــدَا يـــوماً بـنَـفْـخَـةِ نائِلٍ عَرَضَتْ له الغَدَ مِثْلُها فأعادَها[2]

في الأبيات السابقة يتمثل البعد الانتمائي، إذ وظّف الشاعر الضمير الذي يعود إلى المكان، وذلك في قوله:"بها"، "لأهلها"، "أنيسها"، ونجده يصرح بالبلاد فيقول: "بلادها"، فالضمير يوحي بالانتماء، وكذلك يشعرنا بما اكسبه نزول الوليد بتلك الأماكن، أو ذلك المكان، ونتيجة ذلك الخصب، نجده في قوله: "البرية..... ألقت خزائمها إليه فقادها".

ويجول بنا عديٌّ، في ذلك المكان، الآمن، الخصب، ويرى سبب ذلك الخصب، هو نزول الوليد فيه، فيرى أنّه أينما يحل الوليد تحل معه تلك الصفات، فيخبرنا عن صفات الممدوح لكثرة عطائه وإنعاشه للناس مثلما ينعش الغيث الأرض والبلاد، وهذا العطاء ليس منقطعاً، ولا قليلاً، وإنما هو كثير متواصل، وفي الأبيات كذلك شبه الشاعر الوليد بأنه كالغيث جاء لأهل الشام وبلادهم، وأنَّه محارب، قويّ، يجمع للحروب العتاد، وتأتيه أسلاب ذوي العزة والمكانة، إما قسراً ، أو كرهاً، فمن معه يجاهدون الأعداء، ويهزمونهم. لقد جعل الوليد يطفئ نيران العدو، وجعله يشعل ناراً أخرى براحتيه تضيء الطريق لمن أراد، وعـن هذه الصـورة تقول مـريم الحارثي :"يُحْكِم عديّ هذه الـصورة "[3].

لقد استعمل عديّ الفعل الماضي، ليدل على الأسبقية له، والفضل له بحلوله تلك الديار، فـ"نزل " تعني بأنَّ نزوله في تلك الأماكن كان عنوة وسيطرة، والفعل " أغاث" تدل على أنّ إغاثته ستستمّر من أول نزوله بهذه الأرض المفتوحة، فكان خيراً يطال من حل بتلك الديار. وهو يوظِّف المقابلة بين "أطفأت"، و"قدحت"، فالصورة الحركية التي تشتملها تلك الكلمات تكسب المكان حيوية.

---

(1) الزِّناد: جمع زَنْد و زَنْدَةٍ، ويقال للرجل الظافر.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 94-95.

(3) الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ، ص196.

ولننظر في هذه الصورة الرائعة جدّاً كنموذج على جمال تلك القصيدة، فهو إذ يقول:

أوَلا تَرَى أنَّ البَريَّةَ كُلَّها أَلقَتْ خزائِمَها إليهِ فقادَها

فوظّف"ال" الجنسية في "البرية"، فهي للعموم، مع تأكيد هذا بأداة التأكيد "كُلها"، فجعلها طائعة، ذليلة، خاضعة، أمرها كُلّه بيده، وذلك في صورة مبدعة حين صور البرية كالإبل الجامحة التي سلَّمت له وقادها "ألقت خزائمها"، منقادة له.

ثم يأتي البيت الأخير:

وإذا غَـــدَا يـــوماً بـنَـفْـخَـةِ نائِلٍ عَرَضَتْ له الغَدَ مِثْلُها فأعادَها

ليدلّ دلالة قاطعة على أنّ الفتح، والنصر لم يكن للهزيمة والإذلال، وإنّما للخير والنعمة والسلام، إنّه خير غير منقطع"عَرضَت له".

لم يكتفِ عديّ بتشخيص الأماكن، وإلباسها صفة من صفات البشر، بل تجاوز ذلك إلى ما هو غير محسوس، فنجده تناول الظلم، وشخصه، يقول :

ييأسُ الظلمُ أَنْ يكونَ بأَرْضٍ هُمُ بها أو يجيء مِن حَيثُ جاءوا[1]

سِنَّةُ الله والرسولِ فما في أَمْرِهم رِيبَةٌ ولا لَحْجاءُ[2]

قوّم المسلمين حتى استقامتْ سنّةُ الحَقِّ فيهمُ والوفاءُ[3]

وما يزال عديٌّ يُبْرز البعد الانتمائي، لبني أميَّة، ففي قوله" أرض" وجعلها نكرة، ليشمل بها سائر المكان، ولم يحددها، فلو حددها بمعلم، أو حدود بارزة، للزمتها حالة الخصوصية، بخلاف إطلاقها نكرة، فتفيد

---

(1) هكذا في الديوان، " جاءوا"، و وفق القاعدة الإملائية تكتب الهمزة على الواو"جاؤوا".

(2) لحجاء: لحجت عليه الخبر تلحيجاً، إذا خلطْتَه عليه، وأظهرت غير ما في نفسك.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص160.

عامة الأماكن "الأراضي"، فأي أرض يحل بها الخليفة، ينتفي الظلم عنها، ويرحل، فثنائية "البقاء"، "الانتفاء" تكسب ذلك المكان الأمن، والرخاء، والخصب.

ونلمح ملمحاً آخر، وهو تشخيص " اليأس"، فعندما شخص اليأس، كإنسان يستشعر، ويرغب ويتأمل، فجعله ييأس بأنْ يحِلّ بالأرض التي يحلّ بها الوليد، أو يأتيها"جاؤوا"، فمقدرة الشاعر على التشخيص سواء في الأماكن، أو غيرها كالظلم ونحوه، يدل على "قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيما لا حياة فيه، وعلى إكساب الجمادات أو قوى الطبيعة شخصيات بمعنى أن يتخيلهم أشخاصاً أحياء، قائمين بأنفسهم "[1].

على أنّ ما يلفت النّظر في مديح عديّ على إطلاقه هو التركيز دائماً على البعد الديني، بل أشدُّ من ذلك تثبيت دعائم الإسلام، ونشر العدل والخير بين الناس من منطلقات دينية صرفة، كما هو حال الأبيات السابقة.

ومن ناحية أخرى فقد أفاض عديٌّ في وصف الإبل من تفاصيل جسمها، إلى تطور مراحلها وسيرها، وشربها، وأكلها، وكل ما يتعلق بها؛ لأن الناقة هي الوسيلة التي يعتمد عليه العربي، فيحمل عليها أمتعته، وتساعده في إمضاء همومه، فتولدت بينهما علاقة وثيقة، ما جعل الناقة تحنُّ إليه، وهو بدوره يحن إليها، ويخاطبها من خلجات قلبه.

فلقد صور الشاعر الناقة وهي تسير أو تسرع في أبياته، فيقول:

أَفَلَا تَنَاسَاها بِذاتِ بَرايَةٍ [2] (عَنْسٍ) [3]تَجُلُّ[4]إذا السِّفارُ [1]بَراها[2]

---

(1) النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة :طبعة مكتبة الخانجي، ط1 ، 1949م) ص248.

(2) هكذا في الديوان، بفتح الباء. وأثبتت بالضم" بُـرايةٍ"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، العاملي، عديّ بن الرِّقاع العاملي أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص118. البراية: القوة. ودابة ذات بُراية أي ذات قوة على السير.

(3) هكذا في الديوان بتنوين الكسر. وأثبتها العاملي بتنوين الضم" عنسٌ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع العاملي أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص118. و العنس: الناقة القوية، والجمع عُنْسٌ، وعُنُوس، وعُنَّس، قال الراجز: يُعْرِسُ أبكاراً بها و عُنَّساً.

(4) تجلُّ: تعظم وتشتد.

تَطْوِي الإكامَ[3] إذا الفلاةُ [4]تَوَقَّدَت طَيَّ الخَنِيفِ[5]بِوَشْكِ[6]رَجْعِ[7]خُطاها[8]

فهذه الناقة صلبة، شديدة القوة، تقطع الصحراء مسرعة إذا اشتد الحر، وصارت الأرض كقطع الكَتَّان البالية، وترجع يديها إلى الخلف أثناء سيرها، وهذا السير يسمى بالخنيف، فالشاعر هنا جعلها تطوي الآكام، فمنحها القدرة على الطي، وهنا تشخيص للحيوانات، وهو ما سار عليه عديّ، وهذا التشخيص ممزوج بالحركة التي تجعل المتلقي يتصور ذلك المنظر، ويتصور جماله كذلك .

ثُمّ إنّ عديّاً يربط بين فخر بأمجاد قومه ـ كغيره من الشعراء ممن يتغنون بأمجاد أقوامهم، فيذكر قوتهم ومقدرتهم على منازلة الأعداءــ ،وذكر الإبل، فيعمد إلى نقلنا إلى ساحة المعركة؛ لعلنا نجول فيما يحدث، ونتحرك مع كل ما يحدث خلال تلك الساحة، فقال الشاعر:

قد شَهِدتُ الجِيادَ يخرجْنَ فَوْتاً(9) من غُبارٍ مُجَلَّلٍ مُنْجابِ(10)

ساطِعٍ(1)يصطنعْنَ منه ذُيولاً كمُلاءِ(2)العِراقِ ذي الهُدَّابِ

---

(1) السفار: سفار البعير: وهي حديدة توضع على أنف البعير فيخطم بها ، أو هو: حبل يشد طرفه على خطام البعير، فيُدار عليه، ويجعل بقيته زِماماً.

(2) براها : أي أذهب لحمها ، والبرة: الحلقة في أنف الناقة.

(3) هكذا في الديوان. وروى العاملي كلمة" الفلاة" محل "الإكام"، انظر: العاملي، عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص118. والأكام: جمع أكمة: وهو الموضع الذي أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو عليظ.

(4) والفلاة: المفازة، وقيل: القفر من الأرض؛ لأنها فُلِيت عن كلِّ خير أي قُطِعت وعُزِلت، وقيل : هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة، والجمع فلاً وفلوات وفُلِيٌّ.

(5) الخنيف: ضرب من الكتان ،رديء، وجمعه خُنُفٌ.

(6) الوشك : السرعة.

(7) رجع الخطى : يريد ثنيها قوائمها لتخطو.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 100.

(9) فوتاً: يندفعن ويتدافعن في الانطلاق، ويفوت بعضهن بعضاً.
(10) مُجَلَّلٍ مُنجاب: يتكاتف، ثم ينكشف.

ضَرَبَتْهُ الرياحُ فاغتَصَبَتْهُ(3) جلدَ الأرضِ(4) وَقعُ صُمٍّ صِلابِ[5]

ففي المقطع السابق انتماء مكاني إذ وظَّف التشبيه؛ لخدمة ذلك البعد، فجعلنا أمام صورة حسية بصريّة، مستوحاة من بيئته البدوية، وذلك عندما شبّه صورة الغبار الذي تثيره الخيل في ساحة الحرب، وما تخلفه وراءها من ذيول، بـــ"بملاء العراق"، وهو نوع من الملابس، مصنوعةً في العراق، فنجد أنّ الشاعر يصف الغبار الذي يثار من أرجل الخيل والجياد وأقدامها، يلمع فيرتفع في السماء، كالجبال الشامخة، وقد صار في أثر الجياد كـلأردية المنسوجة بالعراق المذَّيلة"ذات الهداب"، فالشاعر يصور هذه الخيل "بصور جمعت كل الصفات ، وهي خيل قومه بني قاسط وبني زهد الذين هم للشاعر كالظفر والناب في الفتك بالأعداء"[6].

وإضافة إلى هذا نجده يصف الروضة في انعكاس لوصف روح البداوة، وما فيها من غناء المكاكي:(وهو طوير في رجليه طول، وفي أطراف رجليه توشم سوادٍ، يُحَلِّق في السماء، ثمّ ينحطُّ على رأسه مُصوتاً في رياض الربيع)، فقال في ذلك الوصف:

يَـــتَـــغَنَّى بِـــهَا عَلى نَغِمٍ بَـالٍ[7] في ضَوَاحِي رياضِها المَكَّاءُ[8]

كتغني اللذيذِ أصْبَحَ نَشْوَا نَ تُزْنِي) ـهِ[1]نَشْوَةٌ عَشْوَاءُ[2]

---

(1) ساطع: مرتفع.
(2) الـمُلاء: جمع مُـلاءة، وهي الإزار والرَّبْطة.
(3) اغتصبته: أثارته.
(4) جلد الأرض: الغليظ من الأرض

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 55.

(6) الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ ، ص 127.

(7) بالٍ: قديم.

(8) المكَّاء: طائر وجمعه مكاكِيُّ. ويرى أستاذنا الدكتور: ناصر الرشيد: أنّها تعرف اليوم بـــ "أم سالم". وذكرها امرؤ القيس في معلقته، في قوله:

كَـأنَّ مَـكَـكِـيَّ الجـوِاءِ غُـــدَيَّـــة صُـبِـــحْـــنَ سُـــــلافاً مِـــنْ رَحَـيـــقٍ مُـفَـلْـفَلِ

انظر: الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، ديون امرؤ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي(بيروت : دار المعرفة،ط2 ،1425هـ ـ2004م) ص68.

وهذه الرّوضة التي أصابها الوسمِي، فامتلأت من السيول، فأصبحت موئلاً لطائر المكاء فهو يأتي إليها، ويتغنى كما يتغنى مَن به نشوة الخمر، فعديٌّ هنا جعل الطائر يتغنى، فرحاً، وابتهاجاً، وسروراً. وهذه الصورة الجميلة، وما تحمله من حركة، تجعل تلك الروضة ذات إطارٌ جميل، فقد " لاحظ ابن الرِّقاع كلّ متحرك في الصحراء من طير وحيوان واستفاد منه في رسم صورة وتكوين مادتها، فوصف غناء المكاء في الرياض المخضرة"[3]. ألسنا هنا في صورة من البادية، تأكيداً على عمق صلة عديّ بها، إذ إنّ هذه الصورة الجميلة لا تبعد في جمالها كثيراً عما قاله عنترة[4]:

فترى الذّبابَ بها يُغَنّي وَحْدَهُ هَزِجاً [5]كَفِعْلِ الشَّارِبِ[6] المُتَرَنِّمِ

غَرِداً[7] يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بذراعِهِ فِـعْـلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ[8] الأجْذَمِ[9]

وعديّ كسائر الشعراء يفخر بقومه ونسبه ووطنه، "وبين ذلك في رده عندما هجاه الراعي النميري، فيرد عليه عديّ بذكر قومه وأجداده، فقضاعة قبيلته التي تنصره إذا افتخر الناس برؤساء قبائلهم وبأجدادهم، وقبيلة حمير إخوانهم، قد بنت ملكاً وفضلاً والحمد لا يبنى من فراغ ولكن على أعمدة، وكذلك فجذام إخوانهم الأقربون وأخوهم ينصرونه دائماً فلا يحزن، وقبيلته طيء أقرب الفروع إلى (أدد) جدهم...يعرب

---

(1) تزْنيه: تميله. والتفعلية مكسورة بهذا الرسم (تـرْنيه)، وتصحَّ القراءة بتحريك الراء بالفتح، وتشديد النون.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 152.عشواء: مفسدة للعقل، وأصل العشواء : العمياء.

(3) الحارثي ، التصوير البياني في شعر عديّ، ص 65.

(4) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منا، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، لم يحدد تاريخ ميلاده، وحددت وفاته بنحو 22 ق ه، انظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص236.

(5) الهزج: المتتابع الصوت.

(6) كفعل الشارب: شبه غناء الذباب بغناء الشارب، والمترنّم الذي يترنّم بالغناء أي يمدّ صوته ويرجعه.

(7) عرداً: الغرد الذي يمد في صوته ويطرب.

(8) الزناد: أراد بالزناد الزند، وهو العود الأعلى، والزندة العود السفلى.

(9) التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيْد طرَاد (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1412هـ ـــــ 1992م) ص 158 ـــ159 . الأجذم: المقطوع الكف.

بن قحطان، ومن أولاد قحطان... طيّء، والأشعر، وقضاعة، وغسان، وأوس، والأزد، ولخم، وجذام، وعاملة،... وغيرها"[1].

فيجمعهم الشاعر في ردّه على الراعي النميري عندما هجاه، وذلك دليلٌ على انتمائه لقومه وقبيلته ونسبه، يقول:

(فإنَّكَ) [2]والشِّعر (إذْ)[3] تُزْجِي قوافِيَهُ كمُبْتَغِي(4)الصَيْدِ[5]في عِرِّيسَةِ[6](الأَسَدَ)[7]
وما قُضَاعَةُ عن نَصْرِي بنابِيةٍ[8] إذا تسامَتْ قُـرومُ النَّاسِ[9]في لـبَـدِ[10]
إخـوانُـنا حِمْـيَـرٌ تبني التَّمـام لـنا والـحَـمْدُ لا يُبْتَنَى إلاَّ على عَـمَـدِ
جُذامُ إخوتُنا الأَدْنَـونَ قـد عَـلِمُوا وما أَخـوهـم (بـمُضْطَـرِ)[1] ولا وَجِدِ

(1) المرسي زيد، مأمون السيد عبد العزيز شعر عدي بن الرقاع، دراسة فنية (مصر: كلية الآداب، جامعة المنصورة ، رسالة ماجتسير،1996م) ص 127.

(2) هكذا في الديوان "فإنّك"،بتشديد النون. والصواب هو تسكينها" فإنْـك".

(3) هكذا في الديوان "إذ"، وأُثبت " ذو"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57.

(4) مبتغي: مُـريـد.

(5) هكذا في الديوان "الصَيد" بفتح الصاد دون من التشديد. وأُثبت " الصَّيد" بتشديد الصاد، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57. و ما في الديوان هو الصواب.

(6) عرِّيسة : الشجر الملتف، وهو مأوى الأسد.

(7) هكذا في الديوان" الأسدَ" بفتح الدال مع كونه مضاف. وأُثبت " الأسدِ" بكسر الدال، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57. وما في الديوان خطأ مطبعي.

(8) نابية: أي مبتعدة ومتخلية.

(9) قروم الناس : القرم من الرجال هو: السيّد المعظم.

(10) لبد: ولَبِدَ بالأَرض وأَلْبَد بهَا، إذا لَزِمَها فأَقام، انظر: الزبيدي، تاج العروس، (لبد). يريد أنْ يقول إنّ قضاعة لا تلزم مكانها عندما يحتاج الشاعر نصرها بل تهب لنصرته ومساندته.

(وطَـيِّـيٌّ)[2]**مَـعْـشَرٌ ناءٍ ومَـجْـمَـعُـنا أقْصى الـدّيارِ و أربـاهُـمْ إلى أَدَدِ**[3]

فالشاعر في الأبيات السابقة نجده يتحدث عن نسبه، وانتمائه القبلي، وتسلسله من قضاعة وطيّء، وأدد، فهو كغيره من الشعراء يفتخر بقبيلته ونسبه.

ووظَّف المكان في قوله"عرِّيسة"، وهي مأوى الأسد، فكأن الشاعر، ينسب صفة الشجاعة لقومه، وأنهم يحمون، ويذودون عن كل من تمتد يده قبل لسانه إلى حمى قبيلته.

ولم يكتفِ عديّ بتصوير البعد الانتمائي لقبيلته أو لبني أمية ؛ ليبين أنّهم ذوو حق بالخلافة. ونحو ذلك، بل نجد أنّ هناك أبياتاً توحي بذلك، ومن هذه الأبيات قول عديّ:

كأنَّها وهي تَحْتَ الرَّحْلِ لاهِيَةٌ إذا المَطِيُّ على (أَنْقَابِهِ)[4]**ذَمَلا**(5)

جُونِيَّةٌ[6]**من قَطَا الصَّوَّانِ**[7]**مَسْكَنُها جَـفَـا جِـفٌ**[8]**تُـنْبِتُ القَفْعاءَ والبَقَلا**[9]

باضَـتْ بحَزْمِ[10]**سُبَيْعٍ**[1]**أوبـمَرْفَضـهِ ذي الشِّيحِ حيثُ تَلاقى التَّلْعُ(فانْسَجَلا)**[2]

---

(1) هكذا في الديوان بتشديد الطاء، ويبدو أنّه خطأ مطبعي، إذ أنّ الشدة على الراء " مضطَـرّ".

(2) هكذا في الديوان ، ويبدو أنّه خطأ مطبعي، إذ الصواب "طيٌ".

(3) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ،ص 176.

(4) هكذا في الديوان، وفي رواية أخرى "إيفائه"، أي: على إشرافه. وأُثبتت " أنـقائه " ، انظر : البركاتي ، ص68 ، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفض من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص88. وأنقابه: جمع "نقب"، أي: نقبت أخفافها من طول السير.

(5) الذمل: الذميل : ضرب من سير الإبل.

(6) جوانية: الجوانية من القطا وهي سود الظهور، وسود الأجنحة، والأعناق، وظهورها تعلوها غُبشة فيها رقـط.

(7) الصّوّان : موضع كثير الحجارة.

(8) الجفاجف :جمع جفجف ، وذكر محقق الديوان أنّ معناها "وهو مستوى من الأرض في غلظ"، انظر: ابن الرّقاع، ديوان عديّ،ص78.

(9) القفعاء: من أحرار البقول تنبت متصدحةً كأن ورقها ورقُ الينْبُوت، والبقل: شبيهٌ بالبرسيم .

(10) الحزم : الغليظ من الأرض المرتفع.

وعديّ تناول وصف ناقته وصفاً مستفيضاً، ثم ختم وصفه لها بأنْ شبهها في نشاطها وسرعة سيرها بقطاةٍ جونية تسكن أرضاً قد أخصبت، و أنبتت البقل.

فالشاعر لَـحِـظ الأماكن: "تحت الرحل"، و "قطا الصوان"، و"جفاجف"، و"بحزم سُبيع"، و "... بمرفضه/ ذي الشيح"، و"تلاقي التلع"، والممعن في تلك الأماكن يجدها أماكن صحراوية خالصة، ولا سيما بوصفه الموضع بأنّه "حزم"، وأنّه "ذو الشيح"، وهذه الأماكن عرفها وعاشها، وتنقل بين جنباتها، فانغرست في مخيلته، وبرع في وصفها، فهذا الانتماء يوحي بالصلة لهذه الأماكن، والتعلق بها.

وهناك ملمح آخر، وهو كون تلك الأماكن ذات الطابع الصلب، فمجرى المسيل تتلاقى، وهذا ما اعتدنا على سماعه في ذكر وصفٍ أو نحو ذلك كثيراً، وفي هذا إسقاط صفة من صفات الإنسان على ذلك الموضع، وإضفاء طابع الحركة عليه.

وتناول عديّ النخل، ووظَّفها في تشبيهاته، حيث قال :

كأَنَّ ظَعْنَهُمُ في الآلِ حِينَ نَأَوْا إذا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ بَيْداءُ أَوْ شرَفُ

نَخْلٌ تَبِيْتُ عِناقُ الطَّيْرِ آمِنَةً بحَيْثُ(يَنْبُتُ)[3]مِنْهُ البُسْرُ والسَّعَفُ[4]

فظعائن الحي تبدو لعين عديّ ــ المتتبع لها ــ وقد ابتعدت عن الحي، فارتفعت نخلاً سامقاً، حتى إنَّ الطّير تبيت في أعاليها آمنةً، لا تخشى على نفسها، وقد كرر عديّ التشبيه بالنخل في موضوعين من

---

(1) سبيع: واد بنجد في قول عديّ بن الرّقاع، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3،ص187، ويرى العمّاري: أنّه" لم تحدد المصادر هذا الموضع، حيث إنّ ابن الرّقاع يتحدث دائماً عن منطقة كلب في السماوة حتى شرق الأردن، فالموضع يقع في جهة طريف"، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1، ص143.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 78، وأُثبت في الديوان " فانسجلا " ، وأثبت " انسحلا " ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ ، ص69، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص88. والمعنى القريب هو " انسحلا"، ومعنى انسجلا: انصبّ، ويقال: باتت السماء تنسحل ليلتها ، أي: تصب.

(3) هكذا في الديوان. ويبدو أنّ هنا تصحيفاً ، و الصواب " ينبتُ".

(4) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 235.

ديوانه[1]، وإذا كانت الصورة تقليدية في تشبيه الظعائن بالنخل المثمر، فإنَّ صورة عديّ ـ وهي كذلك ـ تضيف الإحساس بالمكان في أمان الطير، في أعالب النخيل،

فـ"الظعن"، ومكان المبيت في قوله "تبيت"، تشعرنا بالأمان، والراحة، والعطاء، والكرم، فكلمة "يَنبت"، وبين نوع هذا النبت بأنَّه البسر، وهو : طلع النخل قبل أنْ ينضُج.

والشاعر هنا وظّف التضاد بين "الظعن" و"نأوا"؛ ليظهر ما في نفسه من الحسرة و الألم، مما يحدثه ذلك المنظر في نفسية الشاعر، وكذلك شخص الأماكن حيث جعل البيداء تقلهم، فهذه الصورة المتكاملة الجوانب، وما فيها من حركة تكسو المكان جمالاً وروعةً.

ومن صوره التي استعان بها تلك الصورة التي جعل فيها السماء تجود على الأرض، فاعتمد على التصوير في إبراز جمال ذلك المنظر، وبث فيه الحيوية، إذ قال :

لَجِبُ[2] السحابِ إذا أَلَمَّ ببلدةٍ لم تَسْقِها الأمْطارُ مُذْ زَمَنٍ بكى

ويَمُجُّ[3] رِيقَتَهُ(4) بكلِّ تَنُوفَةٍ[5] سَحَّ[6] المَزَاد[7] إذا تَبَعَّجَ[8] وانْفَرَى[9]

---

(1) انظر: المرجع نفسه، ص 97 ، 204.

(2) لجب: اللَّجَبُ : ذو صخب وصوت عالٍ.

(3) يمج: مَجَّ الشرابَ والشيء من فيه يمجُه مجًا ومجَّ به : رماه، ومجَّ بريقه يمُجُه إذا لفظه.

(4) والقراءة التي تبدو صائبة هي "ريقه"؛ لأن رَيّق كل شيء أفضله و أوّله، وهو ما يتناسب مع الربيع ، وريق المطر ناحيته وطرفه، يقال: كان ريقه علينا وجِمِرُّ علة بني فلان، انظر: ابن منظور، اللسان،(ريق).

(5) تنوفة: مفازة.

(6) سح: مُنصب متتابع.

(7) المزاد: جمع مزادة، وهي القربة ،أو الراوية التي يحمل فيها الماء.

(8) تبعج: تشقق.

(9) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 166.

فمن خلال الصورة التي رسمها الشاعر لتلك السحابة، كما بينا في الفصل السابق[1]، نجد أنّه عمد إلى تشخيص تلك السحابة، فلم يكتفِ هنا بتجسيد حالة واحدة للسحابة، بل جعلها تمتلك أكثر من صفة، مما ينوع في الحركة ، ويزيد المنظر بهاء، فاتكاء عديّ على الصور الفنية، وما تحمله من تجسيدات في تصوير مشهد الغيث أضفى على المكان الحركة، متوجةً بالصورة ومنظر المطر، وإذا كان للملحم رأي في كون إبراز جمالية الصمت، حين يقول: "وليس هناك من لغة قادرة على إحداث تلك الجماليات سوى الصمت الذي يجعل الإنسان أكثر قدرة على الإدراك، والإحساس بالجمال، والعيش بقوة في المكان..." (2)، فإنَّ لغة الصوت"لَجِبُ" أشد تأثيراً، و أكثر إحداثاً للجمال، ولها القدرة على الإدراك، والإحساس بالجمال، وتأثيرها محسوس في هذا الجانب، وذلك بتوظّيف الشاعر لكلمة "لَجِب". فهنا "بلدة" على إطلاقه ـ جافة، لا حياة بها ـ أو بتعبير الملحم "صمت"، فإنّ صورة عديّ بعثت الحياة في المكان، فتغيّر وجه الأرض كلّه بهطول الأمطار، وكلُّ ذلك من خلال الحركة "لجب"، "يمج"،"سَحّ"، "تبعّج"، "انفرى"، وهي كلّها مرتبطة بالمكان كلَّ الارتباط.

ونجد الشاعر يكني بالمكان " الرابية " ليبن شرف أصل ورفعة " عمر بن الوليد"، فيقول:

يَرَوْنَكَ مُرْتَفِعاً فَوْقَهُمْ بِعَلْياءَ مَنْظَرُها مُشْرِفُ

وُلِدْتَ برابِيَةٍ رَأسُها عـلـى كُـلِّ رابِـيَـةٍ نَـيِّـفُ[3]

فعديّ شاعر بني أمية، ولا غرابة في أنْ يمجدهم، ويراهم هم ذروة القوم، فنجده يشير إلى كرم نسب ممدوحه؛ لأنَّه من نسب الخلفاء، فبوأه مكانة رفيعة يسمو فيها على الجميع، واستمد لدلالة على رفعة مكانته ، وأصله صورتين من صور الطبيعة، فالناس حين ينظرون إليه يرونه مرتفعاً فوقهم في موضعٍ عالٍ، مشرف عليهم، وفي قوله:"ولدت برابية " يقصد أنّه من سلالة الخلفاء ذو الرفعة والمكانة العالية، فالكناية هنا عن شرف الأصل ورفعته، ونجد عديّاً يشخص الرابية فجعل له رأس، ومن خلال هذا التشخيص الذي ألبسه على الرابية، وهنا تلازم بين المكان وتوظِّيفه، فالصورة تحيل عمر بن الوليد إلى

---

(1) انظر الفصل الثالث، ص 107.

(2) ملحم، شعرية المكان، ص51.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 214.

وضع خالد لا يساميه أحد، فهو مرتفع (مكان)، "بعلياء" ينظر إليه الناس جميعاً، لا لأنّه حظي بهذا المكان في الخلافة فحسب، بل لأنّهُ كذلك أصلاً وحقيقةً، فنجد المكان مشروعاً بينه وبين سواه، فهو في " رابية رأسها/ مشرف"، والآخرون "كل رابية" أي : دونه.

وهذا هو المعنى الذي طرقه الشاعر سابقاً في مدح أبيه "الوليد"، بالمعنى نفسه، وذلك في قصيدة أخرى، فيقول:

نَمَا(الى) [1]شَرَفٍ ما فَوْقَهُ شرفُ فكُلُّ رابِيَةٍ منه قَدِ اطّلَعَا[2]

فرفعة المكان، والنسب مقترنة بالخلفاء، من وجهة نظر الشاعر، فقد كسبها ابنه "عمر" من أبيه" الوليد"، وهكذا دواليك، أصل ثابت.

لقد تجلى البعد الانتمائي في شعر ابن الرِّقاع، وخير دليل على ذلك هو مدحه للبلاط الأموي، وللخلفاء الأمويين خليفة بعد خليفة، وكذلك ما يدل على انتمائه لوطنه، فقد ورد في شعره أبيات تناولت الحديث عن الوطن، وهذا الوطن هو بلاد الشام ومنها حمص، وجآذر جاسم، وهناك ما دل على أن الشاعر من البادية فتغنى بشعره في البادية وما تحويه من صحراء، وخيل، وإبل، وغيرها، والشاعر عديّ بن الرِّقاع كان يعرف بانتمائه وولائه للبيت الأموي، وقد انعكس ذلك في ديوانه، وكان يعرف كذلك بأنَّه شاعر أهل الشام وهي موطن الأمويين، ويعدّ ابن الرَّقاع بأنَّه شاعر الأمويين، اختص بمديحهم، ولا سيما الوليد بن عبد الملك، وقد ظهر ذلك في عدد من قصائد الديوان التي بلغت تسعاً وعشرين قصيدة كان للوليد نصيب كبير منها إذ مدحه بعشر قصائد. وقد عاصر عديّ ابن الرِّقاع عدداً من الخلفاء الأمويين بدءاً من عبد الملك بن مروان، ومروراً بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم انقطعت أخباره بعد ذلك.

وقد كان ثابت الانتماء والولاء لهم، وأثبت حبه بمناصرته إياهم، ووقف شعره على نصرتهم، فاحتل الشاعر مكانة عند بني أمية، وكانت دليلاً على انتمائه، وولائه لهم ودفاعه المتفاني عنهم، وبهذه المكانة أصبح خصماً لكبار الشعراء في ذلك العصر أمثال: جرير، وغيره ممن عاصرهم.

---

(1) هكذا في الديوان. والصواب" إلى".

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 220.

المبحث الثالث

البعد السياسي

إنّ ارتباط العلاقة بين الشعراء و الحكام، تُلزم الشعراء ـ غالباً ـ في توظيف مخرجاتهم الشعرية، لخدمة مقاصدهم السياسية، مع التأكيد على أنّ عديّاً كان موالياً ذاتياً للخلافة الأموية، وشخصياً، وقبِيلةً، وانتماءً، ومنهم[1] من يرى أنّ المكان يقترن في ثقافة الشاعر بالمواقف السياسية، وتحقيق أهدافهم المقصودة، وكذلك للذود عن حكمهم، وبيان أنّهم أحق بذلك من غيرهم؛ لمحاولة قطع الأمل لدى من يتأمل في جلب عدد ممكن حوله؛ للحصول على الحكم، أو نحو ذلك.

وعندما يضفي الشاعر البعد السياسي للمكان في شعره، فإنّ هذا يعكس بدوره الترابط بينه وبين المكان، فرؤية الشاعر للمكان رؤية متعمقة، وخاصة، ووفق هذه الرؤية العميقة للمكان ـ ذات البعد السياسي ـ نجد أنَّ الشاعر عديّ بن الرّقاع قد أظهره من حيث الانتماء الولائي في شعره لبني أمية خليفة من بعد خليفة، وبيَّن أحقِيتهم في الحكم، وبيَّن الوقائع والمعارك التي خاضها خلفاء بنو أمية، وانتصروا فيها، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر بصدق الإحساس والمشاعر، فلم يترك تلك الأحداث تمرّ دون القول فيها، وقد عُرف عن عديّ بن الرّقاع ـ كما أوضحت سابقاً ـ بولائه للبيت الأموي، الذي جاء واضحاً في ديوانه، وقد عُرف بأنّه شاعر أهل الشام[2]، وهي موطن الأمويين، فلقد كان "شاعر بني أميَّة يُناضل دُونهم، وقد تعرّض وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ولم يجسر جرير على هجائه خوفاً من الوليد؛ لأنه هدّده بالأذى إذا فعل"[3]، واختص بالمدح للأمويين، ويبدو ذلك جليّاً في ديوانه، ويبقى دور القارئ في تلقيه تلك الأبيات واستقرائها، فالقارئ "يرتقي في الاختيار أضعاف ما يرتقي الشاعر في الأداء والابتكار"[4]، فربما تهيأ لشاعر جميع البواعث المعينة لقول الشعر، من طبيعة المكان، وجماله، وتشجيع خلفاء بني أمية له، وغير ذلك مما يُساعد على قول الشعر، وتجويده.

---

(1) انظر: عليمات ، يوسف ، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر القديم (إربد : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،ط1 ، 1430هـ ، 2009م) ص 171.

(2) المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117.

(3) الفاخوري ، حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) (بيروت: دار الجيل ، ط1 ، 1986م) ص 462.

(4) العقاد، عباس محمود، و المازني، إبراهيم عبد القادر، الديوان في الأدب والنقد (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ط4، 1417هـ ـ1997م) ص 13.

وكان عديّ مقدماً عند بني أمية[1]، ومن أمثلة ذلك الاهتمام والمكانة ما نجده من اهتمام الوليد بن عبد الملك له، وحبه له، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الثعالبي :"لمّا زوّج الوليدُ بن عبد الملك ابنه عبد العزيز بأمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكم ، وأمّها بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان يقال لها: الواصلة؛ لأنَّها وَصلت الشرف بالجمال، أمهرها بأربعين ألف دينار، وقال لجريرٍ وعديّ بن الرِّقاع : اغدُوَا عليّ فقولا في عبد العزيز و أمّ حكيم ، فَغَدوَا عليه، وأنشدَه جرير قصيدةً منها:

ضَمّ الإمامُ إليه أكرمَ حُرّةٍ في كلِّ حالاتٍ من الأحوالِ

حَكَمية عَلَت الحرائرَ كلّها بمَفاخِر الأعمامِ و الأخوالِ

فإذا النساءُ تفاضلَتْ ببُعولةٍ فَضَلَتْهمُ بالسيّد المِفضالِ

ثمّ قام عَدِيّ فأنشدَ :

قمرُ السماءِ وشمسُها اجتَمَعَا بالسّعد ما غابا وما طَلَعا

ما وارت الأستارُ مِثلَهما فيمن رأى منهمْ ومَن سمعا

دامَ السرورُ له بها و لها وتَهنَّيَا طولَ الحياةِ معا

فقال له الوليد: لئن أقللتَ فقد أحسنت، و أمر له بضعف ما أمر لجرير"[2]، وهذا يدل على ما كان لعديّ من منزلة متيّنة عند الأمويين، وإحسان السامعين بتأثير شعره، فقد أشار الثعالبي إلى ذلك، إذ قال: "وعديٌّ هذا أوّل من شَبّه الزوجين بالشمس والقمر، ومنه أخذ الشعراءُ هذا التّشبيه وأكثروا"[3]. فليس مستغرب إعجاب العلماء بأبيات عديٍّ، وسبق أنْ بيان ذلك في الفصل السابق[4].

وعايش عديٌّ الحياة السياسية في ظل الدولة الأموية، وتغنى بأمجاد بني أمية، وأفعالهم، وأشْهَرها على المسامع، فمن المعارك التي خاضها بنو أمية، ولم يغفلها عديّ المعركة التي قتل فيها مصعب، فعندما خرج عبد الملك إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير، والقضاء على الحكم الزبيري فيه، خرج عديّ معه شاهراً سيفه على أعدائه، مجنّداً نفسه في خدمة دولته بكل ما يملك من قدرات، فقد ذكر ذلك

---

(1) انظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117، بابتي ، عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998م) ص283.

(2) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب ،ص 299.

(3) المرجع نفسه، ص 299.

(4) انظر: الفصل الثالث، ص103.

الدينوري في"الأخبار الطوال"، أنّ عديّاً بن الرِّقاع كان مع عبد الملك في معركته تلك [1]، ولم يكتفِ عديّ بالمشاركة بسيفه ، بل خلَّد انتصار الخليفة الأموي، بقصيدة مدحه فيها، وأشاد بظفره، وهجا خصمه، فيقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ[2] خَيْلُنا بأَكْنافِ[3] دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

وَرَدْنا الفراتَ و خابُورَهُ[4] وكَانَا هُمَا ثِقَةَ المَشْرَبِ

على كُلِّ رَبْوٍ(5)تَرَى مُعْلماً[6] يُصَرِّفُ(7) كالجَمَلِ الأَجْرَبِ[8]

ونجد هذه الأبيات في "كتاب الأخبار" مع اختلافٍ يسير إذ يوردها، فيقول:

لَعَمْري لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بأَكْنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

يجرُّون كلَّ طويلِ الكُعُو بِ[9]معتدلِ النَّصل[10] والثعلب[11]

بكلّ فتى واضحِ وَجهه كريم الضرائب و المَنصِب[12]

---

(1) الدّينورِي ، أحمد بن داوُدَ ، الأخبار الطوال (القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 ، 1330هـ) ص 301.

(2) أصحرت :أي برزت بنا في الصحراء، وتجاوزناها لمقاتلة مصعب.

(3) أكناف: جمع ومفرده،"كنف" ناحية الشيء.

(4) سبق تحديده، انظر :ص59.

(5) هكذا في الديوان. و أُثبتت "رَيْـــــقٍ" ، انظر : العاملي ،عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص35، البركاتي ، ديوان عديّ بن الرّقاع ، ص46، والربو: المكان المشرف.

(6) مُعْلِمُ : فارسه قد أَعْلَمَ نَفْسَهُ بعلامة ليُعرَف.

(7) يصَرِّف: يصدر صوتاً.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 232.

(9) الكعوب ، جمع كعب، وكعب القناة هو: أنبوبها، و ما بين كل عُـقْـدَتَين منها كعب، وكل شيء علا وارتفع ، فهو كعب.

(10) النَّصل : حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف مالم يكن مَـقْـبِـض.

(11) الثعلب : طرف الرُّمح الداخِـلُ في جُـبَّـة السِّنان.

(12) الدّينورِي ، الأخبار الطوال، ص 301.

ففي المقطع السابق يطلق عديّ صرخة الفرح والسرور بالانتصار الذي حققه الخليفة، ولم يغفل قوة الجيش، وما أبرزه من شجاعة، في مقابلة الأعداء.

فالشاعر يوظّف حاسة السمع في ذلك المشهد؛ لأن صوت الحماسة الذي يدويّ في المعركة، ويصدره الفرسان، أصبح عالقاً في مسمعه، ومخيلتـه، فيربط بين ذلك، وهدير الجمل الأجرب، ويبدو أنّه اختار كلمة "أجرب" لشدة هديره، فالشاعر هنا وظّف حاسة لسمع، التي تنقلنا إلى جو المعركة، وأسمعتنا بعض ما يمكن أنّ نسمعه، والمشهد الحركي ممزوج بالصوت الصاخب، يشكل إطاراً جميلاً لمكان المعركة، والشاعر في وصفه للحرب "تفخّم العبارات ،تُهوّل الأوصاف، ويحسن الاطّراد في اقتصاص ما وقع"[1].

وفي السياق نفسه نجده يبين حجم ذلك الجيش العظيم وقوتـه، فمن كثرة عدده قليلاً ما يُـفقد منه، فيقول :

إذا ما مُنافِقُ أَهْلِ العرا ق عُـوتِبَ (يَوْمـاً)[2]فـلـمْ يُـعْـتِبِ

دلَـفْـنـا[3] إلـيـه بـذي تُـــــذْرٍ [4] قليلِ التَّـفَـقُـــدِ لـلـغُـيَّبِ[5]

فهو يبين من خلال الأبيتين السابقين، تصويره لسبب النصر، الذي ناله الخليفة، وهي نتيجة طبيعية، بالنظر لهذا الجيش العظيم العدد و العتاد، وقليل التفقد، ويخلع على مصعب عدة صفات، ومنها أنّه منافق، فالشاعر هنا يبرز حجم جيش الخليفة، " قليل التفقد"، بما يدل على كثرة ذلك الجيش، وما يبيّن قوة الممدوح، فالشاعر يظهر مكانته السياسية، وقدرته على القتال.

وفي المقابل نجد صفات الخليفة، ومنها : واضح الوجه، كريم النسب و الأصل، أبيض يضيء بنوره ، فتنجلي الشدة عن الناس، فيقول:

---

(1) القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 275.

(2) هكذا في الديوان. وأُثبتت "ثـمّـت"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص46، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً و عيني امرأة،ص35.

(3) دلفنا: دلف يدلف دلفاً، إذا مشى وقارب الخطو.

(4) هكذا في الديوان. وأثبتها الركاتي بـ"تُذرإ"، انظر: البركاتي، ديوان عدي بن الرقاع،ص47.، وأثبتها العاملي بـ" تَـذْراءٍ"، انظر: العاملي، عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص35. والرسم الأخير خطأ. ومعنى(بذي تدرأ): يعني بذي جيش ذي دفعٍ، وهو من درأته، أي: دفعته.

(5) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص 233.

يُقَوّمُنا واضِحٌ وَجْهُهُ كريمُ المَضاربِ [1]والمَنْصِبِ(2)

أَغَرُّ[3]يُضِيءُ لنا نُورُهُ إذا ما انْجَلَتْ غَمْرَةٌ[4]المَوْكِبِ(5)

فالشاعر وظّف المكان "المضارب"، وجعله كريماً، وخلع عليه جملةً من الصفات، التي تكسبه رفعةً وعزاً، و "المضارب" كذلك اسم مكان، وكذلك "المنصب" بكونه المكان الذي ينصب عليه القدر، بل إنّ الإشارة إلى وجه الخليفة، إشارة إلى الخير المصاحب له، والمقرون بوجوده، في المكان، فيتضح هذا أكثر بذكره "الموكب"، وهو يسير في المكان.

ولقد كان لأحدى الانتصارات التي حققها، وحاز عليها الخليفة بكل جدارة في أحد الثغور، صدى في نفس الشاعر طرب لها وجدانه، وتناغمت له حروفه، فقال في ذلك الجيش:

أَجدَّ أبوحَفْصٍ بنا السّيرَ و ارتمت بنا الأرضُ حتى ما تُعَدُّ المسائِر

فسار بعُظْمِ الجيشِ ليسَ يروعُهُ مَضِيقٌ ولا نَهْرٌ من الماءِ غامِرُ

إذا ما هبطنا بلدةً غَصَّ فَرْجُها بنا وكَسَا الأحدابَ(6) أَصْهَبُ ثائِرُ (7)

فنلمح مع الفعل المستعار "غصَّ" تشخيصاً للأرض، فقد مثُلت، و وظَّف الفعل " كسا " ليظهر لنا شمولية ذلك الغبار و إحاطته بكل ما هو حوله من تلال وهضاب.

فنلحظ الجانب السياسي في عبارته "فسار بجيش عظيم"، ومن عظمته فـ "لا يروعه" "مضيق"، "ولا نهر"، ومن عظمته كذلك، يملأ الأماكن التي يحل بها "بلدة"، فالجيش في نظر الشاعر جيش عظيم، ودفعه لذلك الوصف حبُّه لأبي حفص؛ ليخوضوا المعارك مع الأعداء.

ومن المعارك التي ذكرها عديّ معركة المرج، فقد قال :

---

(1) هكذا في الديوان. وأثبت العاملي " الضرائب"،انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص36.، ومعنى المضارب: مضارب القوم ، أي: الأماكن التي يقطنها.

(2) المنصب: هُوَ مَا يُنْصبُ عَلَيْهِ القِدْرُ نَصْباً، إذا كَانَ من حَدِيد، انظر: الزبيدي، تاج العروس، (نصب).

(3) الأغر: الأبيض الوضاح.

(4) الغمرة: الشدة التي تغمر الناس، وينغمسون فيها.

(5) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص249. والموكب: الجماعة من الناس ركباناً ومشاة.

(6) الأحداب : جمع حَدَبٌ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(7) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص198. الأصهب : الغبار.

لولا الإلهُ وأَهْلُ الأُرْدُنِّ اقتسمتْ نارُ الجَماعةِ يومَ المَرْجِ نِيرانا

كانوا زُواراً [1] لأهْلِ الشّامِ قَدْ عَلِمُوا لمَّا رَأَوْا فِيهِمُ جَوْراً وأَضْغانا [2]

فالشاعر يوثق موقفاً تاريخياً مشرفاً –كما يرى – فيُبيّن هنا موقف أهل الأردن، وثباتهم يوم المرج ـ مرج راهط سنة(13هـ)، وما فعلوه، وأنّ لهم الفضل بعد الله في الوقوف سداً منيعاً في وجه العدو، فما قاموا به يُعدّ عملاً جبّاراً في إخماد نار الحرب، وتوحيد صفوف المسلمين، وتجنيبهم الفرقة و الانقسام. لقد اتخذ الشاعر من "النار"في قوله:" اقتسمت نار الجماعة، يوم المرج نيرانا"، مادته التعبيرية، للدلالة على حال الأمة التي كادت تتفرق بعد وحدتها، واجتماعها حول الأمويين، وركز الشاعر على "نار" والتي يرمز بها إلى الفتنة وكيف تحولت إلى "نيرانا" تلتهم الأخضر واليابس، وما تحتوي عليه من شر، وركز كذلك على دور "أهل الأردُنّ" وموقفهم الشجاع في مناصرتهم لأهل الشام.

فالشاعر يشير إلى الجهود التي قاموا بها، ويؤيدهم، و ذكر مروان، وابنه عبد الملك، عرضاً مبيناً بذلك موقفه الثابت من بني أمية ـ مؤسّسي هذه الدولة ـ ،والذين يقول فيهم:

فَبَيَّضَ اللهُ يَومَ المَرجِ أَوجُهَهُم بِنَصرِهِ وَبِسَيفِ اللهِ مَروانا

وَبِابنِهِ بَعدَهُ عَبدُ المَليكِ فَقَد زادوا ذَوي عَـقلِنا شُـكراً وَإيـمـانا

ثُمَّ اصطَفى اللهُ لِلإِسلامِ بَعْدَهُما وَاختارَ مِنّا الّذي يَرْضى وَأرضنا(3)

فالتركيز على ناحيتين ـ كعادته ـ نصر الإسلام، والتثبيت من الله.

ومن المعارك التي أوردها عديّ، قوله:

وكان أمْرُكَ في أهْلِ الطُّوانَةِ مِن نصرِ الذي فَوْقَنا واللهُ أعطانا

أَمْـراً شَـددْتَ بإذْنِ اللهِ عُقْدَتَهُ فزادَ في دِينِنا[4] خَيراً و دُنـيـانـا [5]

---

(1) هكذا في الديوان بضم الزاء، وأُثبتت بكسر الزاء "زِواراً "، وفتح الواو، والزِوار: كُلُّ شيْءٍ كَانَ صَلاحاً لشَيْءٍ وعِصْمَةً، يريد أنهم كانوا صلاحاً وعصمةً لأهل الشام، كزِوار الدابة. انظر: الأزهري ، تهذيب اللغة، ج13،ص239 ، الزبيدي ، التاج ، (زور).

(2) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص170. هكذا في الديوان، أُثبت "طُغياناً"، انظر: الأزهري، تهذيب اللغة،ج13،ص239، الزبيدي ، التاج ، "زور. ضغن: الضغِن: الضـّغـنُ: الحِـقْـد، والجمع أَضْغانٌ. والطغيان : الظلم.

(3) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص171

(4) هكذا في الديوان بكسر الدال. وأثبته العاملي بفتح الدال:"دَيْنِنا"،انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف بياً وعيني امرأة،ص112، ورواية الديوان هي المناسبة وذلك؛ لأن ما يقابل "الدُنيا" هو "الآخرة".

(5) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 174.

لقد اتخذ عديّ من الحبل مادة خصبة، واستمدها في صوره؛ لدلالة على عزم الخليفة وحزمه، وصرامته، فهو حازم في الأمور، فقد صور شدة عزيمة الخليفة في أمره الذي أدى به إلى تحقيق النصر على الروم في إحدى الثغور متخذاً شدة عقد الحبل رمزاً للقوة و المنعة. وفي سياق آخر نجد صورة عقد الحبل تؤدي دلالة العهد و الميثاق، فيقول مُشِيداً بعزّ جار قوم الممدوح ومنعته، وحمايته وحفظ حق الجوار ، فيقول :

وجـــارُهُـــمُ أَعـــزُّ مـــن الـــثُّرَيَّا إذا عَـقَـدُوا لـجـارهـم الـحِـبالا [1]

فالجار ـ سواء بالمفهوم الجاهلي، أو حتى الإسلامي ـ يعني الرباط والتلازم، فها هو الخليفة يعز الجار، ويجعله عزيزاً، وهنا ثنائية التضادّ، فالجار على الأرض، و الثّريّا في السماء، فجارهم أعز من الثريا، وهو ما يفيد بأنّ ذلك الجار ممنوع من الضيم، فهو أبعد عِزّاً من "الثريا" التي لا يوصل إليها؛ لأنهم متصلون بتلك الحبال.

ويتبين من ذلك أن سبب وفائه لبني أمية، ودفاعه عنهم، والتفاني في الذود عنهم، يعود لحب ذاتِي لهم، وللمكانة التي حظي بها عند خلفاء بني أمية، فكان شاعرهم، والناطق الرّسمي باسمهم.

ولم يكن عديّ بن الرِّقاع يطلب منفعة كغيره من الشعراء خارج حسّه الشخصي ذلك ما يبرز جلياً في ديوانه في مدحه عمر بن الوليد، وهو صاحب النصيب الأكبر من المدح بعد والده الوليد بن عبد الملك، وإنْ جاء في مدحه عمر بن الوليد فيه شيء من التصريح بطلب العطاء، كما جاء في قوله:

أَتَيْتُكَ ثُمَّ عُدْتُ فَعُدْ بخَيْرٍ وخـــيـــرُ الخَـــيْـــرِ مـــــا يُجْزَى عِلالا(2)

فَصَدِّقْ مَدحَتي وأَجِزْ كَرِيماً إذا مـــا عَـــــفَّ عَـــنْ بَـلَدٍ أَطـالا(3)

وفي مدحه للوليد بن عبد الملك وصفه الشاعر عديّ بن الرّقاع بأنَّه فتى قريش، وفتى البأس، وفتى الناس، وفي أبياتٍ لمدحه للوليد يصفه بأنّه فتى البرية، وذلك تعظيماً لقدره وشأنه، ومن هذه الأبيات في ديوانه يقول عديّ:

لَقَد مَدَحتُ رِجالاً صالحِينَ فَأَمّا أَنْ يَـنـالـوا كَـمـا نالَ الـوَلِيدُ فَلا

هُوَ الفَتى كُلُّهُ(4)مَجْداً وَمَكرَمَةً وَكُـلُّ أَخـلاقِهِ الخَيْراتِ(1) قَد كَمَلا(2)

---

(1) المرجع السابق، ص 114. الحبل: العهد والذمة.

(2) العلل : الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص114.

(4) كل الفتى أراد أنَّه كامل.

فَتى الرَّبِيَّةِ(3) يَسْتَسْقي الغَمامُ بِهِ كَالبَدرِ وافَقَ نِصْفَ الشَهرِ فَاعْتَدَلا

يَدعو إِلَيهِ بُغاةُ الخَيرِ نائِلهُ إِذا تَجَهَّزَ مِنهُ نائِلٌ قَفَلا

فَجَئتُهُ أَبتَغي ما يَطلُبونَ وَما الـ مُستَورِدُ البَحر كَالمُستَورِدِ(4) الوَشَلا(5)

غَيثٌ خَصيبٌ(6) وَعِزٌّ يُستغَاثُ به إِذا أَتاهُ طَرِيدٌ خائِفٌ وَألا(7)

ففي هذه الأبيات زاد عديّ على الصور المألوفة في تشبيهه لممدوحه، بأنّه شبهه بالبدر في نصف الشهر، أي في ليلة تمامه، إذ يكون البدر في ليلة التمام أكمل وأجمل، يكتمل حجمه، وتعتدل صورته، وتشبيهه بالبدر أبلغ في الوضاءة والضياء والجمال، و أنّه واضح لمن يقصده وغير محجوب، وبعد ذلك أكد على أن الممدوح صاحب عطاء مستمر، وذلك لشهرته، كأنَّه يدعو الناس إليه، فكان الشاعر فيمن لبى تلك الدعوة، فجاء مع من جاء يبتغي ما يبتغيه الناس، وسيرد البحر وهو الممدوح، و سيرد الغيث ويجد عنده الأمان والعز.

ولا يفتر عديّ في مدح جيش الممدوح ، وبيان ضخامته، وقوته، ومن ذلك قوله :

وإذا رأى نارَ العَدُوِّ تَضَرَّمَتْ سامَي جماعَةَ أَهْلِها فاكتادَها (8)

بعَرَمْرَمٍ(9) يئِدُ(1) الروابي(2) ذي وَغىً(3) كالحَرَّةِ(4) احتملَ الضُّحى أَطْوادَها(5)

---

(1) هكذا في الديوان"الخيْراتِ" بسكون الياء جمع "خير"، صفة لـ" أخلاقه".

(2) يقال: كَمَلَ يَكمُل و كَمِل يَكْمَلُ.

(3) الرَّبيّة ما ارتفع من الأرض.

(4) المستورد: الذي يطلب ورود الماء، انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص 292.

(5) الوشل : بالتحريك: الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتَّصِلُ قطره، وقيل : هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً والجمع أوشال.

(6) خصيب: كثير النبات والعشب كثير الخير.

(7) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 79 ــ 80 . وألا : أي نجا.

(8) هكذا في الديوان. وأثبت البركاتي " اقتادها ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ بن الرِّقاع ، ص54.

(9) العرمرم : الكثير الشديد.

أطفأت نِيرانَ العدوِ وأوقِدَتْ نارٌ قَـدَحْـتَ بـراحَتَيْكَ زِنادَها (6)

فعديّ يجنح إلى الطبيعة؛ ليبيّن حجم ذلك الجيش العظيم ، فينقل لنا صورة نعايشها معه، ونستطيع أنْ نتصور حجم ذلك الجيش العظيم، والذي طمر كل شيء ، وغمر كل شيء، فمن خلال المنظر الذي جعلنا نُعايشه، بما يحدثه ذلك الجيش "العرمرم" من تغطيته لتلك الأماكن "الراوبي"، نستشعر عظمة ذلك الجيش ، وشدته ، وكثرة عدده وعتاده.

وكان شعر عديّ في خلفاء بني أمية وبطولاتهم وانتصاراتهم يمثل الوجه المشرق لتاريخ الدولة الأموية، وقد آثر الولاء لبني أمية في شعره، ووقف في ديوانه على مدحهم، وذكر أمجادهم، وفي هذا دليل على ولائه للأمويين، وقد وجد في بيت الخلافة الأموية الأمجاد العربية والكرم والشجاعة ، جميع مكارم الأخلاق، فكان ذلك مجالاً خصباً لشاعريته وإظهار ولاءه ووفائه لخلفاء بني أمية ؛ لذلك كان هواه معهم، يمدح أحيائهم ويرثي موتاهم، ويظهر عديّ بن الرقاع في شعره ،ولا سيما في خواتم قصائده تلخيصاً لمذهبه السياسي، وثباته على المذهب والترويج له، فقد كان هدفه فوق إظهار مكانة الخليفة إيصال هذه المكانة ونشر حب الخليفة بين الرعية، ودعوتهم للالتفاف حوله، وفي ذلك يقول عديّ:

فَسَـوْفَ يَنـالُكَ ممَّا أقولُ حَـمْدٌ (يـسـيـرٌ) [7]**ويُـسْـتَـطْـرفُ**[8]

ويقول كذلك:

فهذا ثنائي صادقاً غيرَ كاذِبٍ عليهم ومَنْ لَمْ يقضِ بالحَقِ يَنْدَمِ[9]

---

(1) يئد: يغمزها بالوطء الشديد كأنّه يئدها.

(2) الروابي : جمع رابية، أي : ما ارتفع من الأرض.

(3) الوغى : الوغى الأصوات في الحرب.

(4) الحرة : الأرض التي ألبستها حجارة وصخور سود.

(5) احتمل الضحى أطوادها: أي : رفع الضحى إذا كان فيه السراب حيالها، فإذا رآها الناظر، يقدّر أنَّها قد عظمت.

(6) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص94.

(7) ضُبط في الديوان ، بـ" تنوين الرفع"" يسيرٌ" وفيه قلب للمدح إلى هجاء ، والصواب هو " يسيرُ"، بالضم (فعل مضارع).

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 214.

(9) المرجع السابق، ص 135.

ومن قراءة البيتين السابقين نرى أنه يقوم بدور الناشر والباحث الذي يتمسك بالمحافظة على الحضارة الإسلامية المتمثلة في دولة الخلافة الأموية، ويدعو إلى الإحساس بالعروبة، وإلى الإحسان في مخاطبة الخلفاء، وحسن إتباعهم ؛كون ذلك يؤدي للحفاظ على ديمومة الدولة، وتماسكها ووحدة صفها.

لقد ظهر لنا البعد السياسي للمكان في شعر ابن الرِّقاع في ولائه، وطاعته لأهل الحكم، وأصحاب السلطة والخلافة، وعلى وفق هذه الرؤية العميقة للمكان ذي البعد السياسي نجد أنَّ الشاعر قد أظهر فيه الانتماء، والولاء في شعره لبني أمية، خليفةً في إثر خليفةٍ، وبين الوقائع والمعارك التي خاضها خلفاء بنو أمية، وانتصروا فيها.

وقد عبَّر عن ذلك بصدق الإحساس والمشاعر، فلم يترك تلك الأحداث تمر دون القول فيها، فقد عايش عديّ بن الرِّقاع الحياة السياسية في ظل الدولة الأموية، في الوقت الذي بايع فيه المسلمون معاوية بن أبي سفيان أميراً عليهم، وذلك في الحادي والأربعين للهجرة، بعد أنْ قامت الدولة الأموية رسمياً، فأصبح معاوية ـ رضي الله عنه ـ خليفة للأمة، وغدت دمشق حاضرة الدولة الإسلامية، بعد نقل مقر الخلافة لها، وكان شعر عديّ بن الرِّقاع في خلفاء بني أمية وبطولاتهم، وانتصاراتهم يمثل الوجه المشرق لتاريخ الدولة الأموية الذي طالما اعتراه التشويه، والاختلاف، والكذب على الخلفاء، وقد تمسَّك ابن الرِّقاع بالولاء لبني أمية في شعره، ووقف ديوانه على مديحهم، وفي هذا دليل على وفائه لهم، فقد وجد في بيت الخلافة الأموية الأصالة العربية، والندى والسخاء، وسن السياسة، فكان ذلك مجالاً خصباً لشاعريته، وإظهار ولائه، ووفائه للأمويين؛ لذلك كان هواه معهم، يمدح أحيائهم، ويرثي موتاهم.

ويُظْهِر ابن الرِّقاع في شعره، ولا سيما في خواتيم قصائده تلخيصاً لمذهبهم السياسي، وثباتهم على ذلك المذهب والترويج له، فقد كان هدفه فوق إظهار مكانة الخليفة إيصال هذه المكانة، ونشر حب الخليفة بين الرعية، ودعوتهم للالتفاف حوله، وحثهم على وحدة الصف، والترابط، فقد كان بنو أمية حُماة الإسلام ومؤسّسي قواعده في خلافتهم، وهذا ما كان يدافع عنه عديٌّ بن الرِّقاع على الوقوف في صفهم، والدفاع عنهم.

الفصل الثالث

النتائج

1- اكد الشاعر ان للبعد الوجداني أثر كبير في كيانه ، لذلك يحاول إبرازه في شعره وفي تعاملاته مع من حوله ، اذ يذكر في قصائده كل الاثار وكل ما يشعر به في الاماكن من حياة او فرح او حزن.

2- ان البعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي وانما يكو فيما يملكه من أشياء وبيوت وأنعام وكل ما يحيط به .

3- يعمد الشاعر عدي الى توظيف التضاد والتشبيه والحركة الى حد يجعل المتلقي يتخيل الموقف مما يضفي على الابيات حيوية واستمرار.

4- وظف الشاعر الكثير من الكلمات المدحية والتشبيه والصور البلاغية التي تؤكد على البعد الانتمائي للمكان الذي يعيش فيه .

5- اضفى الشاعر عدي بن رقاع البعد السياسي للمكان في شعره معبرا عن ذلك بصدق الاحساس والمشاعر.

6- كان عدي بن الرقاع في اغلب قصائده يلعب دور الباحث والناشر الذي يتمسك بالحضارة الاسلامية والاحساس بالعروبة.

الاستنتاجات

1- أن الاعمال الفنية عادة تنبثق من أشخاص وأناس واجهوا الخطر و وصلوا الى النهاية القصوى للتجربة ، وصول الى نقطة لا يستطيع أي كائن بشري أن يتجاوزها

2- كثيرا ما يلجأ الشعراء ف تشخيصهم للأماكن الى الباسها صفة من صفات البشر لتقديم صورة حسية بصرية

3- أن جمالية الصمت هي أبلغ لغة تجعل الانسان أكثر قدرة على الادراك والاحساس بالجمال والعيش بقوة في المكان.

المصادر والمراجع

1- القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 341.

2- معجم لسان العرب لابن منظور http://wiki.dorar.aliraq.net

3- حسن مجيد العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، (العراق : دار الشوؤن الثقافية العلمية بوزارة الثقافة)، 1987 ،ص28

4- الملا، أسامة محمد، أثر المكان في تشكيل الرواية السعودية لدى جيل الرواد من الفترة 1349هـ إلى1380هـ (الهفوف: جامعة الملك فيصل، رسالة ماجستير،1419هـ ( ) إسماعيل، محمد السيد ، بناء " فضاء المكان" في القصة العربية القصيرة (الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام ،ط1 ، 2003م) ص12.

5- الأزرعي، سليمان ، البحث عن وطن (عمان: الإمارة ، د.ط، 1426هـ ــ 2005

6- – الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، ديون امرؤ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي(بيروت : دار المعرفة،ط2 ،1425هـ ـ2004م) ص68.م) ص40.

7- النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة :طبعة مكتبة الخانجي، ط1 ، 1949م)

8- باشلار، جماليات المكان ، ص189.

9- النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية (الأردن : دار الفارس، د.ط ، 1994م) ص 83.

10 - باقازي، عبد الله أحمد، عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ (الطائف: نادي الطائف الأدبي ،د .ط، 1992م) ص 117.

11 - المنصوري، شاعرية المكان، ص 16.

12 - ملحم، إبراهيم أحمد، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة(إربد: دار عالم الكتب الحديثة ،د .ط، 20011م) ص51.

13- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيْد طرَاد (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1412هـ ـ 1992م) ص 158 ـ159.

14- المرسي زيد، مأمون السيد عبد العزيز شعر عدي بن الرقاع، دراسة فنية (مصر: كلية الآداب، جامعة المنصورة ، رسالة ماجتسير،1996م) ص 127.

15-عليمات ، يوسف ، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر القديم (إربد : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،ط1 ، 1430هـ ، 2009م) ص 171.

16- المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117.

17- الفاخوري ، حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) (بيروت: دار الجيل ، ط1 ، 1986م) ص 462.

18- العقاد، عباس محمود، و المازني، إبراهيم عبد القادر، الديوان في الأدب والنقد (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ط4، 1417هـ ـ1997م) ص 13.

19- المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117، بابتي ، عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998م) ص283.

20- الدّينورِي ، أحمد بن داوُدَ ، الأخبار الطوال (القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 ، 1330هـ) ص 301.

أبعاد جماليات المكان في شعر عديّ بن الرِّقاع

الباحث : فيصل بن محمد المطيري

2022

ملخص البحث

المكان عند الشاعر عديّ بن الرِّقاع لم يعد ذلك المكان الجغرافي أو الهندسي المتعارف عليه أو ما يتبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح (المكان)، بل أصبح مدخلاً إلى عالم الشاعر الرحب الفسيح، فاللغة الشعرية التي تشكّل المكان عند عديّ بن الرِّقاع تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، ولها نظام من العلاقات لتي تعتمد على التجريد الذهني والبعد التخييلي، وترسم هذ الطبيعة المزدوجة بالكلمات الصورة النهائية للمكان في شعر عديّ.بن الرقاع

ومن المعـوّل عليه "أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة و الأمكنة و الأحوال، فلا يجب أنْ يقطع بفضل شاعر على آخر،... إنّ الذين توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم ويرى الشعراء: بأنَّ الشعر "يتخلف بحسب اختلاف الأمكنة".

اشتمل الملخص على ثلاثة فصول . تضمن الفصل الاول الاطار المنهجي وفيه مشكلة البحث واهميته والهدف من البحث وتحديد المصطلحات . ثم جاء الفصل الثاني واشتمل على الاطار النظري وفيه ثلاثة مباحث وهي الابعاد الوجدانية والانتمائية والنفسية للمكان ، وايضا اشتمل الفصل على عينات لأبيات شعرية لمجموعة من الشعراء ليأتي تحليل العينات متمظهرا داخل المباحث . اما الفصل الثالث فشمل مجموعة من النتائج والاستنتاجات ثم ختم الباحث بحثه بقائمة المصادر

Summary

For a place according to the poet Uday bin al-Ruqa' is no longer the common geographical or geometrical place or what comes to mind when he hears the term (place), but rather it has become an entrance into the spacious and spacious world of the poet. It has a material-physical dimension that links words and their sensory origins, and it has a system of relationships that depend on mental abstraction and the imaginative dimension, and this dual nature paints in words the final image of the place in Uday's poetry. It is relied upon "that poetry has considerations in times, places and conditions, and it should not be interrupted by virtue of one poet over another, ... Those for whom the preparatory and motivating reasons are available are more sensible than those who are not, and the poets see: that poetry "lags behind according to different places." The summary contains three chapters. The first chapter included the methodological framework, in which the research problem, its importance, the purpose of the research and the definition of terms. Then came the second chapter and included the theoretical framework in which there are three sections, which are the emotional, affiliation and psychological dimensions of the place. The chapter also included samples of poetic verses for a group of poets, so that the analysis of the samples appeared within the investigations. As for the third chapter, it included a set of results and conclusions, then the researcher concluded his research with a list of sources

الفصل الاول

الاطار المنهجي

اولا: مشكلة البحث

المكان عند الشاعر عديّ بن الرِّقاع لم يعد ذلك المكان الجغرافي أو الهندسي المتعارف عليه أو ما يتبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح (المكان)، بل أصبح مدخلاً إلى عالم الشاعر الرحب الفسيح، فاللغة الشعرية التي تشكّل المكان عند عديّ بن الرِّقاع تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، ولها نظام من العلاقات لتي تعتمد على التجريد الذهني والبعد التخييلي، وترسم هذ الطبيعة المزدوجة بالكلمات الصورة النهائية للمكان في شعر عديّ.

ومن المعوّل عليه "أنّ للشعر اعتبارات في الأزمنة و الأمكنة و الأحوال، فلا يجب أنْ يقطع بفضل شاعر على آخر،... إنّ الذين توفّرت لهم الأسباب المهيّئة والباعثة أشعرُ من الذين لم تتوفّر لهم"[1]، ويرى الشعراء بأنَّ الشعر "يتخلف بحسب اختلاف الأمكنة"[2]. ولتمكّن المكان من وجدان الشاعر أثرٌ في نفسيته "فأحياناً تكون الدموع والحزن محاولة لشفاء النفس من الكآبة والهمّ الذين يعانيهما الشاعر؛ لإحساسه بوطأة الطبيعة وقسوتها بما تفرضه من رحيل وغربة عن وطنه، وعندما يعجز الشاعر عن السيطرة على المكان فإنَّه يضطر للخضوع له أحياناً، ويظلُّ حنينه للمكان الذي تربطه فيه رابطة قوية كالوطن ووجود الأحبة فيه، وقد يكون الحنين إلى أماكن معينة هروباً من واقع أليم يعيشه الشاعر في حاضره، فقد ارتبط "الشاعر "إنسانا" بالمكان وتفاعل معه.

وفي ضوء مقولة القرطاجني الأخيرة ، ويتناول أبعاد المكان في شعر عديّ بن الرِّقاع العاملي، وقد قسم البحث تلك الأبعاد إلى ثلاثة: أولاً : البعد الوجداني .ثانياً: البعد الانتمائي .ثالثاً: البعد السياسي. وفي ضوء ذلك يتمحور سؤال البحث في الاستفهام التالي ماهي الابعاد الجمالية للمكان في شعر عدي بن الرقاع؟

ثانيا: أهمية البحث والحاجة اليه

تكمن أهمية البحث بوصفه دراسة أدبية تنطلق من ضرورة العمل للإفادة من بعض المفاهيم مثل الابعاد المكانية في الشعر والادب وقراءتها بشكل جديد مغاير ، وتكمن الحاجة الى البحث في افادة الدارسين

(1) القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 341.

(2) المرجع نفسه، ص338.

والباحثين في مجال الادب عامة والشعر خاصة من حيث تعريفهم للأبعاد المكانية في شعر عدي بن الرقاع .

ثالثاَ: هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على الابعاد المكانية في شعر عدي ابن الرقاع

رابعاَ : حدود البحث

3- **الحدود الزمانية والمكانية:** لا يتقيد البحث بحدود زمانية ومكانية ، بقدر تحديد الزمان والمكان بزمكانية قصائد الشاعر عدي بن الرقاع.

4- **الحدود الموضوعية:** دراسة الابعاد المكانية في شعر عدي بن الرقاع

خامساَ : تحديد المصطلحات

3- لغة

المكان

مكان ، أمكنة ، أماكن استقر في مكان هادىء في موضع لامكان له . ([1])

4- **اصطلاحا:**

المكان:سلسلة من المراحل التطورية تمثل بحد ذاتها متغيرات تاريخية في تجربة الانسان وتعامله مع الطبيعة ، فالطبيعة بتضاريسها شكلت المكان الاول الذي أحس به الانسان([2])

---

1 - معجم لسان العرب لابن منظور http://wiki.dorar.aliraq.net

2 - حسن مجيد العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، (العراق : دار الشوؤن الثقافية العلمية بوزارة الثقافة)، 1987 ،ص28

الفصل الثاني

الاطار النظري

المبحث الأول

البعد الوجداني

مما لا شك فيه أنّ هنالك علاقة تربط بين المكان والشاعر، تظهر لنا عندما يعبّر الشاعر عن خلجاته وانفعالاته، كما فعل الشاعر العربي القديم حين تغنّى بالأطلال، ليسترجع المكان الذي ألفه وترعرع بين جنباته، و هذا الشعور الوجداني بالمكان، والبعد الوجداني له أثرٌ في كيان الشاعر، إذ يحاول إبرازه من خلال الشعر، فالمكان "الذي لا يثير مقداراً ما من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً، قلما يستحوذ على اهتمام الفنان، وإنّ إضفاء البعد الوجداني على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل"[1]، فالشاعر يبذل كل ما يملكه وما تجود به قريحته، فهو "يود أن يقدم كل درجات التأمل المتنامي، وكل لحظات الصورة "[2]، إذ الشعر يعتبر من منظومة الأعمال الفنية التي أشار إليها باشلار بقوله: "الأعمال الفنية تنبثق دائماً من أناس واجهوا الخطر، ووصلوا إلى النهاية القصوى للتجربة، وصلوا إلى نقطة لا يستطيع أي كائن إنساني أن يتجاوزها "[3]. ولا يمكن أنْ نُغْفِل الدور الكبير الذي يمارسه الشاعر، ولهذا الدور تداعيات وبواعث، تدفعه لقول ذلك.

ولتمكّن المكان من وجدان الشاعر أثرٌ في نفسيته "فأحياناً تكون الدموع والحزن محاولة لشفاء النفس من الكآبة والهمّ الذين يعانيهما الشاعر؛ لإحساسه بوطأة الطبيعة وقسوتها بما تفرضه من رحيل وغربة عن وطنه، وعندما يعجز الشاعر عن السيطرة على المكان فإنَّه يضطر للخضوع له أحياناً، ويظلُّ حنينه

---

(1) الملا، أسامة محمد، أثر المكان في تشكيل الرواية السعودية لدى جيل الرواد من الفترة 1349هـ إلى1380هـ (الهفوف:جامعة الملك فيصل، رسالة ماجستير،1419هـ ــ1999م) ص36.

(2) باشلار، جماليات المكان ، ص189.

(3) المرجع السابق، ص198 .

للمكان الذي تربطه فيه رابطة قوية كالوطن ووجود الأحبة فيه، وقد يكون الحنين إلى أماكن معينة هروباً من واقع أليم يعيشه الشاعر في حاضره"[1]، فقد ارتبط "الشاعر "إنسانا" بالمكان وتفاعل معه"[2].

فالإنسان تمرُّ عليه ظروف، قد تبعده عن موطنه، مما يجعله يشعر بالحنين لموطنه، فقد يتألم لبعده ومفارقته تربة ترعرع بين أكنافها "ويبرز البعد الاجتماعي في أغلب الأماكن التي وردت في الشعر، ففي الحدائق الغناء، و يلاحظ أن كثيراً من الشعراء خاطبوا الزوجة والحبيبة، وما ذلك إلا لأنهم عبّروا عن هم الجماعة التي ينتمون إليها، ولم تحمل الحدائق وحدها بعداً اجتماعياً، بل أكثر الأماكن التي ذكرت في القصائد ذات دلالات وأبعاد اجتماعية، كما يظهر الألم أحد الظواهر الوجدانية الأساسية، وهى حالة نفسية يصعب تعريفها، وتتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو بالضيق"[3].

فالإنسان يتعامل بما يشعر به من انفعالات، وما ينعكس عليه من المكان سواء أفرحاً كان أم حزناً "وكذلك الشاعر حيث يتعامل مع أسماء الأماكن (الكلمات) فإنما يتعامل معها، وهي مشبعة بالمعاني الوجدانية التي تتجاوز المعاني الانفعالية الأولية، يضاف إلى ذلك نتيجة الخبرة الفردية في ظل المكتسبات التي احتضنتها الكلمة الأولية عبر تاريخ حياتها في الفكر الجماعي"[4].

وما يشعر به الشاعر من ضيق، ينعكس بدوره على وجدانه ، وربما تجاوز ذلك إلى تعاملاته مع من حوله، "وليس الضيق ضيق المكان على المستوى المادي، وإنّما الضيق على مستوى الشعور الوجداني"[5].

والشاعر عديّ أسوة بالشعراء تضمّن شعره بُعداً وجدانياً، ومن آثار هذا البُعد هو ذكر الطلّ الذي يعد النافذة التي يبثُّ من خلالها الشعراء آلامهم وشكواهم، وما تناثر حول ذلك الطلِّ من بقايا آثار، يشعره بما

---

(1) النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية (الأردن : دار الفارس، د.ط ، 1994م) ص 83.

(2) باقازي، عبد الله أحمد، عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ (الطائف: نادي الطائف الأدبي،د.ط، 1992م) ص 117.

(3) المرجع السابق، ص 12.

(4) المنصوري، شاعرية المكان، ص 16.

(5) المرجع نفسه، ص 139.

كان في تلك الأماكن من حياة، ويذكره بمَن هم كانوا يبعثون الفرح و السرور في نفس الشاعر، وأبدع عديّ في هذا المضمار أيّما إبداع، وتضمن شعره الجميل من الفنون البلاغية، إذ عمد إلى بث حزنه وألمه، عبر وقوفه على أطلال محبوبته، ويدل في ذلك عن عميق الحزن والأسى، فيقول:

ألمِمْ(1) على طَلَلٍ عفا(2) متقادِمِ بينَ الذُّؤيبِ وبينَ غَيْبِ النّاعِمِ(3)
بِمَجَرِّ أهبِرَةِ الكِناسِ تَلَفَّعَتْ بَعْدِي بمُنْكَرِ تُرْبِها المُتراكِمِ
لتزورَ أَرْمِدَةً كأَنَّ مُتُونَها في الأرضِ عن حِجَجٍ متونُ حَمائِمِ
فظَلَلْتُ مُكْتَئِباً كأنَّ تَذَكُّرِي مما(عَرِفْتُ)(4)بها (تَوْهُمُ)(5)حالِمِ
ثمّ انتبهتُ وقلتُ بعدَ لَجاجَةٍ ماذا يَرُدُّ سؤالُ أَخْرَسَ كاظِمِ
وتجلَّتِ الكأباءُ عنّي بَعْدَما شَرِقَ الجفونُ بماءِ شجوٍ ساجِمِ(6)

تناول الشاعر في الأبيات السابقة من مطلع القصيدة آثار ديار المحبوبة؛ ليبيّن لنا ما آلت إليه، وما أحدثته تلك الحال في نفسيته، واعتمد على الصورة ليحدث التأثير الوجداني على المتلقي، فهذه الديار اندثرت، ولم يبقَ منها سوى مواقع الطهي، فالديار التحفت الرمال، ومن خلال تلك المناظر يظهر لنا حزنه وألمه لفراقها، وحاول الشاعر أن يضفي على الأبيات بعداً وجدانياً، وهو ما نجده في توظيفه لبعض الكلمات، ومنها: "مُكتَئِباً"، "الكأبة"، "شرق الجفون"، فتلك العبارات توحي بما يشعر به من أسى، وحزن لما حال في تلك الأماكن، وهذا الحزن يصدر عن شوق وولهه، لتلك الأماكن.

فعديّ شخَّصَ تلك الأماكن، فجعلها إنساناً يلتحف، فتوظيفه لكلمة "**تَلَفَّعَتْ**" يوحي بالحركة، التي تكسب ذلك المكان طابع الرونق، والبهاء، وجعله مستمر ليدل عل الاستمرارية، وعدم الانقطاع.

---

(1) ألمم: أراد ألمم بطللٍ، يقال: قد ألممت به إذا أتيته.
(2) عفا: درس.

(3) وهذه الأماكن سبق تحديدها، انظر :ص55.

(4) في الديوان " عَرِفْتُ" ، بكسر الراء ، وهو خطأ مطبعي ، و الصواب هو " عرَفتُ" بفتح الراء.

(5) في الديوان " تَوْهُمُ" بتسكين الواو، وضم الهاء، و وهو خطأ مطبعي، و الصواب " تَوهُـمُ ".

(6) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص121- 122.

كما سار الشاعر على خطى أسلافه السابقين من الشعراء في تشبيه الدّيار بصور كثيرة منها قوله في أول بيت من القصيدة الأولى في ديوانه، فيقول:

لِمَنْ الدَّارُ كَعُنْوَانِ الكِتَابِ هَاجتْ الشَّوْقَ وَعَيَّتْ بالجَوَابِ

لم تَزِدْك الدارُ إلاّ طرباً والصِّبا غيرُ شَبِيهٍ بالصوابِ

مَوْضِعُ الأَنْضَادِ(1)لأياً مَا يُرَى وَرَمَادٌ مِثْلَ كُحْلِ العَيْنِ هَابِ

صَدَّ عَنْهُ السَّيْلَ مَجْرى تَلْعَةٍ(2) خُدُدٌ باقٍ كأُخْدُودِ الكِرَاب (3)

إنّ ما تشتمله تلك الأبيات من مناظر، أثّرت على الشاعر، وأثارت وجدانه، "وتتكامل اللوحة الجمالية فيها بالغيث"(4)، وذلك من خلال إسقاط بعض الأفعال الحركية، التي تكسب المكان بدورها طابع الروعة والجمال، فتساؤل الشاعر ينضح بالوجدان، ففي قوله:"هاجت الشوق"، "عيّيت بالجواب"، ما يجعلنا نشعر بمشاعر الشاعر الجيَّاشة تجاه تلك الأماكن، فنجد الشاعر يوظّف كلمة "لم تزدك "، وأسند هذا الفعل لفاعلٍ جامدٍ، وهي "الدار "، وجعل هذا الفعل مضارعاً، يدعم الحركة، ويجعلها في حالة استمرار؛ لأن من يقوم بفعل الزيادة هو إنسان، وليس جماد، وكذلك وظَّف "صد"، وأسنده إلى السيل ، فجعل السيل يشعر، ويستشعر فيصد عن تلك الأماكن، ومن المعروف أنّ الصدود يقوم به الإنسان. **فهذه الصورة الحركية، والمستمدة من واقع البيئة، تثير وجدان الشاعر.**

ويستمر في تناول البعد الوجداني في شعره، فيقول:

ما هاجَ(5)شَوْقَك مِن مَغَانِي(6)دِمْنَةٍ(1) وَمَنَازِلٍ شَغَفَ(2)الفُؤَادَ(بَلاَهَا)(3)

---

(1) النضد : ماينضد عليه المتاع.

(2) التلعة المسيل من المكان المرتفع إلى بطن الوادي.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص41 ـ 42.

(4) ملحم، إبراهيم أحمد، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة(إربد: دار عالم الكتب الحديثة،د.ط، 20011م) ص51.

(5) هاج: ثار، وحرَّك ، وبعث.

(6) مغاني: جمع ، والمفرد "مغنى" وهي : المنازل التي كان بها أهلها.

دَارٌ لِصَفْراءَ(4)الَّتِي لاَ تَنْتَهِي عَنْ ذِكرِهَا أَبَداً وَلاَ تَنْسَاهَا

جَيْداءُ(5)يَـــطْوِيْها الضَّجِيْعُ فتنطوي(6) طَيَّ(الحَمالةِ)(7) لَيِّنٌ مَثْنَاها(8)

صادتْكَ أُخْتُ بني لُؤَيٍّ(9)إِذْ رَمَتْ وأصابَ سَـهْمُكَ إذ رَمَيْتَ سواها(10)

يتغنى الشاعر بمحبوبته ويربط بين ذكرها، وذكر الدار التي سكنتها؛ لأنَّ هذه الدار تمتلك في جنباتها الذكريات التي تبعث الشوق، فالشاعر يرى الارتباط بالمكان "منازل شغف الفؤاد بِلاها"، و "دارٌ لصفراء"، فارتباط الإنسان بتلك الأماكن هو الذي صنع "فيها إنجازاته، وتحركت فيها خبراته....، لقد تناغمت موجودات المكان مع إنسانية الإنسان وقيمه، وإحساسه بالجمال"(11)، فالشاعر اختار بعض الألفاظ التي

---

(1) دمنة :دمنة الدار آثارها، والدمنة أيضاً آثار الناس، وما سوّدوا.

(2) شغف الفؤاد: الشغاف: غلاف القلب أو غشاؤه، وشغفه الحبّ وصل إلى شغاف قلبه.

(3) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع بتحقيق : الضامن وكذلك بتحقيق الشريف بفتح الباء في "بَـلاها". وهذا لا يصح ولا يستقيم مع معنى البيت، إذ البَلى بفتح الباء معناه البلاء، انظر: البركاتي ، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص113، وفي ديوان العاملي بتحقيق حسن "البِلى" بكسر الباء ومعناه القدم، وهو ما يتناسب مع معنى البيت، انظر العاملي، ديوان عديّ، ص42 ، وانظر، الزبيدي، تاج العروس، ج37، ص210.

(4) الصفراء: اسم لمرأة.

(5) جيداء : وهي المرأة طويلة العنق حسنة.

(6) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع. و أُثبتت " بصُلبها " ، انظر البركاتي ، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص114.

(7) هكذا في ديوان عديّ بن الرّقاع. ولدى البركاتي " المحالة " ، انظر البركاتي ، ص82 ، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114. و المحالة : هي البكرة العظيمة التي تستقي بها الإبل.

(8) متناها: جانبا الظهر. وهذا البيت ذكره البركاتي، والعاملي قبل البيت الثاني، انظر: البركاتي، ديوان عديّ، ص82، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114.

(9) بنو لؤي: يذكر العاملي بأنّه "نسبة إلى لؤي بن الحارث، أو لؤي بن غالب بن فهر، وكلاهما جدان جاهليان "، انظر: العاملي ،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص114.

(10) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص96.

(11) ملحم، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، ص32.

تشعل الوجدان وتبعثه، وذلك عندما قال "شوقك"، "صادتك"، "أصاب... سواها"، فالشوق يهيج العاطفة، وتبعث في نفسه الوجدان، وتوظيفه لحرف الشين في قوله "شوق" و"شغف" توحي بأنَّ حبّها وحبّ دارها قد تمكن منه، وتفشى في وجدانه. و يعمد إلى وصفها بصفات تلهب عقله، وتثير فيه الشوق والوجدان، فيقول :

بيضاءُ تَسْتَلِبُ الرجالَ عقولَهُمْ عَظُمَتْ روادِفُها وَدَقَّ(1) حَشاها(2)

وكأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ ولذَّةً صهباءَ(3)ساكَ(4) بها المُسَحِّرُ(5)فاها(6)

أراد عديّ في هذه الأبيات أنْ يصفَ روعة محبوبته وجمالها، فكان الخبر ابتدائياً؛ لأن المتلقي خالي الذهن، فاستغنى الشاعر عن أدوات التأكيد، وبرزت عنده روعة التشبيه البلاغي، و جمالية الوصف في ما تملكه محبوبة من بهاء وحسن. فالشاعر وظَّف التضاد؛ وذلك من خلال كلمتي "عظمت" و"دقّ"، وما تثيره تلكما الصفتان، من وجدان عاطفي في قلب الشاعر.

والبعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي، وإنَّما قد يكون في ما يملكه من أشياء، أو أنعام، أو بيوت، وإذا كان الملحم يرى في تحقق حياة المكان لابد من وجود الإنسان، فهو يقول: "إنّ حياة المكان، لا يمكن أنْ تتحقق دون الإنسان الذي يشكّل للأرض شريانها الحيوي، والإنسان الطيب هو الذي يبعث الحياة في المكان؛ حتى يكون جديراً بالاحترام والتقدير"(7)،فإننا نرى الحيوان شريك الإنسان، وبه تتم الحركة والتنقل، فله نصيب من ذلك التحقق.

---

(1) دق : نحُل وضمُـر.

(2) الحشا : الخصر.

(3) الصهباء : صفة للخمرة التي عصرت من العنب الأحمر فهو "الأصهب"، أما ما جاء في الديوان بأنَّه " أبيض"، فغير متوافق.

(4) ساك: من السواك، وقد ساك فاه يسوكه سوكاً.

(5) المسحر: الذي يقوم عند السحر فيسقيها.

(6) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص97.

(7) ملحم، شعرية المكان ، ص33.

لقد كان للشاعر من الشعر الوجداني نصيبٌ في وصف الأشياء التي يمتلكها، فها هو في الأبيات الواردة من ديوانه يخبرنا عن ناقته، فيقول:

وتشولُ(1)خَشْيَةَ ذِي اليَمِيْنِ(2)بِمُسْبَلٍ(3) وَحْفٍ(4)إذا (صَخِبَ)(5)(النَّبابُ)(6)حَماها

مُتَنَيِّلٍ(7)لَدْنٍ(8) المفاصِلِ (9)فَوْقَهُ (عَجَبٌ)(10)أَصَمٌّ(11) يَسُدُّ(12)خَورَ(1)صَلاها(2)

---

(1) تشول : شالت الناقة بذنبها ، أي: رفعته.

(2) ذو اليمين: يريد السوط؛ لأنه يكون في اليمين.

(3) مسبل : ذنب طويل.

(4) وحف: الوحف الشعر الذي غزُر.

(5) هكذا في الديوان، وأُثبت "صَـحِب"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف

(6) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله: "الذِّئَاب"، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة، ص118. وهو تصحيف، وصخب الذباب: أي كثير الطنين.

(7) هكذا في الديوان بتنوين كسر، وأُثبت بتنوين ضم "متذيلٌ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص119. و متذيل : طويل.

(8) ولدن : لَيِّن. هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:" لوْنٌ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف بيِّن.

(9) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:" المَنَاضِلِ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118. وهو تصحيف بيِّن.

(10) هكذا في الديوان بفتح الجيم، وأّثبته العاملي بقوله:" عَـجْـب "، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة،ص118.وهو الصواب؛ لأن العـجْـب بالسكون: العظم الذي أسفل الصُلب عند العجز، وقيل العجْب : أصل الذنب.

(11) أصمّ : أي قاسي، وصلب.

(12) هكذا في الديوان، وأّثبته العاملي بقوله:"يَـسُلُّ "، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبية وعيني امرأة، ص118. وهو تصحيف.

نُخِسَتْ(3)بِهِ عَجَزٌ كَأَنَّ(مَحالَها)(4) دَرَجٌ سُلَيْمانُ (النبيُّ)(5)بَنـاها

بُنِيَتْ على كرشٍ كأنَّ حُرُوْدَها(6) مُقُطٌ(7)مُطوّاةٌ(8)أُمِرَّ قُـوَاها(9)

في مُجْفَرٍ(10)حَابِي الضُّلُوعِ(11)كَأَنَّهُ بِئْرٌ يُجِيْبُ النَّاطِقِيْنَ رَجَاهَا[12]

فقد أثارت إعجابه، ما جعله يتحدث عنها، ويبيّن بعضاً من أوصافها، فالشاعر في الأبيات السابقة، يتحدث عن سرعتها، وما اشتملت عليه من قوة الخَلْق، والتي تساعدها على رحلة المسير التي يسير فيها عديّ. فشبهها بالبئر، ليدل على ما هي عليه من سعة وعمق، فتجيب الأصداء الناطقين، وتتردد في جوانبها.

---

(1) خور : مجرى الروث.

(2) الصلوان : مكتنفا الذنب عن يمينه وشماله.

(3) نخست: أتاها من خلفها.

(4) محالها : المحا : الفقار، واحدها : محالة. هكذا في الديوان ، ولدى البركاتي، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، وأثبتت "مَـجَـالـهـا"، انظر:العاملي، عديّ بن الرِقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص119، وهو تصحيف بيّن.

(5) هكذا في الديوان،و أُثبتت " القديمُ"، انظر:البركاتي، ديوان عديّ بن الرِقاع،ص84، العاملي،عديّ بن الرِقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص119. وهو تصحيف.

(6) حرودها : ايقال بيت محرّد إن كان سقفه مسنماً كهيئة اللوح.

(7) مقط: حبال، واحدها: مِقاط.

(8) مطواة: مفتول بعضها إلى بعض.

(9) أمرَّ قواها: أي شُـدَّ فتلها.

(10) مجفر: جوف منتفخ واسع.

(11) حابي الضلوع: اتصال رؤوس الأضلاع بعضها ببعض الآخر.

(12) ابن الرِقاع، ديوان عديّ ، ص 101- 102.

وفي موضع آخر من شعر عديّ الذي يتصف بالبعد الوجداني ما يدل على همٍ آخر يريد التخلص منه بالنُّوق الناجيات، بعد أنْ رأى إعراض النّساء عنه، لما رأينه فقد الشباب، ونسين حسن شمائله، وحديثه الجذَّاب، لذلك قرر الرحيل، فقال :

إن شاكَها(1)حَجَرٌ يَضُرُّ حُسامُهُ(2) بـالـخُـفِّ أَو أَذيَـت(3) بِأَخنَسَ(4)آزِمِ(5)

خَبَطت بِفَرسَنِها(6)الجَبُوبُ(7) كَأَنَّما صـالَت(8)بِنَـصرَتِها يَمينُ مُلاطِمِ (9)

فنجد الشاعر يبيّن ما تعرضت له الناقة، فهو يفتخر بها، وبما قدمته، وقد شَخَّص الحجر، فجعله رجلاً يؤذي بحسامه خُفَّ الناقة، كما شخّص "الأخنس"، وهو القراد يأكل في جسد الناقة، أمَّا الناقة، فشخَّصها على أنَّها إنسان يطأ عدواً، وهو "الجبوب" تلك الأرض الصلبة، ويشبهه بمن ينتصر للمظلوم "نصرتها... مُلاطِم"، فربط بين كل من "خبطت" و"صالت"، وما فيهما من حركة، وضرب عنيف، والجامع بين المشبه والمشبه به، هو هذه الحركة والاندفاع، مما يسبغ على تلك الصورة طابع الحركة، فحركة ناقته سريعة نشطة.

ومن صور التشبيه البليغة ذات البعد الوجداني عند عديّ، والتي يخبرنا فيها عن عيون أم القاسم والتي شبهها بعيني ظبي من "جآذر جاسم" في قصيدته المعنونة بـ(الميمية)، التي مدح فيها الوليد بن عبد الملك، فيقول:

---

(1) شاكها: صكَّها و آذاها، وهو مستعار من شاكته شوكة إذا دخلت في رجله.

(2) حسامه: حده.

(3) أذيت: تأّذيت.

(4) أخنس: قراد.

(5) آزم: عاضٌ بها.

(6) فرسنها: فِرْسِنُ البعير، وهي مؤنثة، وجمعها فراسِن. وفي الفراسن السُّلامى: وهي عظام الفرسِن وقصَبُها، والفرسن من البعير: بمنزلة الحافر من الدابة،وربما استعير في الشاة.

(7) هكذا في الديون بالرفع(الجبوبُ)، و الصواب " الجبوبَ" بالنصب ، و الجبوب: جمع جُب ، والجبّ : الأرض الصلبة اليابسة.

(8) صالت: صال أي: سطا، وصال عليه وثب.

(9). ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 125. ملاطم: اللَّطم: ضَرْبك الخـدَّ وصفحة الجسد.

لَــولا الحَــياءُ وَأَنَّ رَأسِــيَ قَـد عَثـا(1) فيهِ المَشيبُ لَزُرتُ أُمَّ القاسِمِ

وَكَأَنَّها(2)وَسْطَ(3)النِساءِ أَعارَها عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِن جَــآذِرِ(4)جــاسِــمِ(5)

وَسنانُ أَقصَدَهُ(6)النُّعاسُ (فَرَنَّقَت) (7) في عَينيهِ(8) سِنَةٌ وَليسَ بِنائِمِ

يَصطادُ يَقظانَ الرِّجالِ حَديثُها وَتَـطيــرُ لَذَّتُـها بِــروحِ الـنائِـمِ(9)

في الأبيات السابقة يتحسر الشاعر على زوال شبابه الذي حاول منعه الغزل والنسيب؛ لأن الشيب قد غزا شعر رأسه، إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من الإبداع في التغزل، ووصف عيني "أم القاسم"، إذ أبدع في تشبيه تلك العيون بعيون جؤذرٍ أحورٍ من جاسم، إذ أنها فاترة العينين من دوران النعاس فيهما، فهو النائم واليقظ. فـ"جآذر جاسم" أثارة وجدان الشاعر، وجعلته يتغنى بعيونها. وعديّ عندما عمد إلى التضاد المفهوم من خلال البيت الأول، فعدم الزيارة وامتناعه عن فعل ذلك، كان بسبب الشيب الذي انتشر وعم شعره. اعتاد عديّ على تشبيه محبوبته بالظبية إلاّ أنّه شبهها أيضاً بالمها في صورة بلاغية وجدانية تُعد امتداداً لصورة الظَّبية في شعره، وذلك بقوله:

وَمَا حُسَيْنَةُ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنا لِلْبَيْنِ واعتَقَدَتْ شَذْراً(10)وَمُرْجَانَا(1)

---

(1) هكذا في الديوان، ولدى العاملي، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101، وفي البركاتي "عــســا"، انظر : البركاتي،ديوان عديّ، ص76. وهو تصحيف. وعثا: عثا فيه المشيب، أي: أفسد.

(2) هكذا في الديون، ولدى العاملي، انظر: عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101. وفي البركاتي "فــكــأنّـا"، انظر: البركاتي، ديون عديّ،ص101. وهو تصحيف.

(3) هكذا في الديوان،ولدى العاملي، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص101 . وفي البركاتي "بــيــن" ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ، ص76.

(4) الحَوَرُ: سبق بيانه ، انظر: ص58.

(5) وجاسم :سبق بيانه ، انظر: ص58.

(6) قصده: الإقصاد أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكان، وهو هنا استعارة، أن أقصده النعاس فأماته.

(7) فرنَّقت: دارت وماجت. هكذا في الديوان، ولدي البركاتي،انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرِّقاع،ص77، وأثبتها العاملي بتشديد الراء "فـرَّنَـقـت"، انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص102. وهو خطأ مطبعي.

(8) هكذا في الديوان، وفي نسخة العاملي، " عينين"، انظر: العاملي،عديّ بن الرّقاع العاملي، أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص101 .إلاّ أنّ بقراءة العاملي ينكسر البيت.

(9) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 122.

(10) شذر : الشَّذر: قطعٌ من الذهب يُلقط من المعْدِن من غير إذابة الحجارة.

إلاّ مَهَاةُ(2) صَرِيمٍ حُرَّةٌ خَذَلَتْ(3) مِنْ وَحْشِ أَعْفَرَ(4)أَوْ مِنْ وَحْشِ نيّانَا(5)

أو ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ(الحُوَّةِ)(6)ابْتَقَلَتْ(7) مَذَانِباً(8)(فجَرَتْ)(9)نَبْتاً وحُجْرانا(10)

مَجّ الربيعُ بها الوسميّ ريقتَهُ(11) فأنْبَتَتْ نَفَلاً رُؤْداً(12)و حَوْذانا(13)

في الأبيات السابقة، يصور عديّ محبوبته عندما تزينت للوداع بمهاة ناصعة البياض ابتعدت عن القطيع، وتخلفت عنه، أو ظبية رعت منابت الغيث وتهتم بصغيرها، فهي ترنو إليه بنظرة حانية ما يزيد عينيها جمالاً، فهنا استخدم الشاعر صور تشبيهية متعددة الأشكال كاللون الناصع، والخلقة المكتملة، والعيون الواسعة، وحسن الالتفاتة الناتجة عن خوفها على صغيرها المشاكس، إذ اعتبر الشاعر محبوبته هنا المهاة نفسها، وليس شبيهتها فقط، ثم يكْمل أكثر ويخصص، فلا يشبهها بعامة المها وإنّما بمهاة رملة ذات شجر، منقطعة عن معظم الرمال وذلك؛ لأنَّ تلك الصفات تمنح النبات الوفرة والخضرة والحياة للكائنات، فـــ" تتكامل اللوحة الجمالية فيها بالغيث"(14).

---

(1) المرجان : صغار اللؤلؤ.في الديوان بضم الميم. والصواب بالفتح، ٹآتآ ٌآ نى □ □ □ □ ً

سورة الرحمن،أية22.

(2) المهاة: البقرة الوحشية سميت كذلك لبياضها، شبّهت بالبلورة والدُّرّة، انظر الزبيدي، تاج العروس، ج39، (مهو).

(3) خذلت : تأخَّرت عن بقيت القطيع.

(4) أعفر: سبق بيانه، انظر: 59.

(5) نيان : سبق بيانه، انظر: ص59.

(6) الحُوّة: حرة لكلب، انظر: ابن الرّقاع، ،ديوان عديّ بن الرّقاع، ص157، فيبدو أنّ هنا تصحيف ، والمقصود الحرة. ويذكر ياقوت: أنّ :" الحوّة : حُمرة تضرب إلى السواد، والحوّة في الشفاة سُمرةٌ فيها: وهو موضع ببلاد كلب"، انظر: الحموي،معجم البلدان، ج2،ص326.ويبيّن العماري : أنّ هناك رواية آخرى فيقول:" اقتصر المحققان على رواية الحوة"، ولم يذكروا الرواية الأخرى التي ذكرها ياالحموي:"الحياة""، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1،ص180 .

(7) ابتقلت: رعت البقل.

(8) المذانب: مجاري الماء إلى الرَّوض.

(9) هكذا في الديوان بتشديد الجيم، و أُثبتت بالفتح من غير شدة " فـــــــجَـــــــــرت"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ، ص82، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص110 .

(10) حجرانا: جمع حاجر، وهو مثل الغدير يمسك الماء.

(11)- والقراءة التي تبدو صائبة هي "ريقه"؛ لأن رَيّق كل شيء أفضله و أوّله، وهو ما يتناسب مع الربيع.

(12) رؤداً: رخصاً ناعماً

(13) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، 168 . والحوذان: نبت طيب الريح.

(14) ملحم، شعرية المكان ص51.

فعديّ يعمد إلى توظيف الحركة في تشبيهاته، ما يجعل المتلقي يتأثر بالحركة، فيتخيل الموقف، وهذه الصور المتحركة تطبع الأبيات بحيوية واستمرار، ما يجعله ينجذب نحوها.

والمُمعن في شعر عديّ يجده يتضمّن البعد الوجداني، ومن آثار هذا البعد ذكر الطّل الذي يعد المدخل الذي يبث من خلاله الشعراء آلامهم وشكواهم، وما تناثر حول ذلك الطل من بقايا آثار، وأبدع الشاعر في هذا المضمار أيما إبداع وتضمن شعره الجميل من الفنون البلاغية، وكان له نصيب وافر من تلك الفنون التي منها خروجه عن مقتضى ظاهر الكلام،فهو يعمد إلى بَثِّ أحزانه و ألامه عبر وقوفه على أطلال محبوبته، والبعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي، وإنما يكون في ما يملكه من أشياء أو أنعام أو بيوت أو أماكن، والشاعر عديَّ بن الرّقاع كان له من الشعر الوجداني نصيب في وصف الأشياء التي يمتلكها، ومنها الإبل والخيل، وغيرها.

المبحث الثاني

البعد الانتمائي

يعني المكان للإنسان أشياء عديّدة، ولا يمكن أنْ يكون هناك إنسان بدون مكان، أو معزول عنه؛ لهذا كان المكان "أسبق في وجوده من وجود الإنسان فقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وذللها وهيأها كما هيأ الكون كله بوصفه المكان الأكبر لحياة الإنسان"[1]. ولا أحد ينكر مدى العلاقة بين الإنسان والمكان، والارتباط الوثيق بينهما، فالمكان" هو الأرض والوطن والمأوى والانتماء، فحس الشاعر بمكانه الأصلي وموطنه حس أصيل وعميق، وخصوصاً إذا كان المكان هو الوطن، ومكان الانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض – الأم – ويرتبط بهناءة الطفولة والصبا، ويزداد هذا الحس إذا ما تعرض المكان للفقد، فالشعراء في الغربة يعيشون وطناً لغوياً يبنونه في ديوان أو في قصيدة شعر؛ ليعبر عن هذه الحالة البشرية في مستواها الأولي (البعد عن الوطن) ويعكس معاناة المغترب في تناقضه مع المكان ومفرداته، فالغربة بقسوتها دائرة لا تتسع وفق رغبة المغترب؛ لأن القصيدة هي وطن الشاعر فهو يبحث

(1) إسماعيل، محمد السيد ، بناء " فضاء المكان" في القصة العربية القصيرة (الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام ،ط1 ، 2003م) ص12.

عن المكان الذي يقول فيه كلمته، يحمل أحلامه وآلامه ويطلق أجنحته للريح سعياً وراء المكان الوطن"[1]، ولا أحد يستطيع أنْ يفصل بين الإنسان والمكان فليس" المكان شيئاً منفصلاً عن جسد هذا الإنسان، بل هو امتداد له، وما تنقُله من مكان إلى مكان آخر إلاّ من زاوية التقلب من جنب إلى جنب، فإذا وجد ما ينشده في مكان ما استقر فيه إلى أنْ يشاء الله له"(2).

وأمّا الحنين والغربة فهما متلازمان، فما أنْ تحلّ الغربة حتى يتبعها الحنين إلى الأهل والأوطان، فشاعر المكان المحب له، ظهرت عنده أبرز قضايا الاحتفاء بالمكان، والانتماء له، فهو مرتبط بالمكان، مخلص له، وتشع قصائده بفيضٍ من الأمكنة، وهذه الأمكنة التي يوظفها الشاعر ذات بعد دلالي يستطيع المتلقي استنباطها من خلال الاستقراء، وعديّ نشأ، وترعرع في هذه الأماكن التي استحوذت على وجدانه وكيانه، وعاش فيها.

ويعد عديّ شاعر شاميّ "وقد عاش في كنف بني أمية... وانعكس ذلك على شعره، حتى أنّه عرف بشاعر أهل الشام"[3]ـ وهو ما سبق ذكره ، في الفصل السابق ــ إذ تناول جوانب الحضارة، التي ظهرت في العصر الأموي، وكان لبني أمية سببٌ في ظهور هذه الحضارة، من القصور والمساجد، والكتابة، وأدواتها...، مما وظّفه عديّ في شعره.

ومن النماذج التي ذكرها عديّ، والتي وظَّفها في شعره، وهو ما يتحدث فيه عن الشام وقراها وأماكنها، فقد ذكر على سبيل المثال مدينة حمص، فقال:

منعوا الثُّغْرَةَ[4]التي بين حمصٍ والكهاتَيْنِ[5] ليس فيها(غريبُ)[1]

---

(1) الأزرعي، سليمان ، البحث عن وطن (عمان: الإمارة ، د.ط، 1426هـ ــ 2005 م) ص40.

(2) ملحم، شعرية المكان، ص52.

(3) ابن دريد، الاشتقاق، ص 375.

(4) الثغرة: الثغر، هو: الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.

(5) الكهاتان: موضع بالشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 496.

وقوله :

لِمنْ رَسْمُ[2]دارٍ كالكتابِ المُنَمْنَمِ[3] بمُنْعَرجِ[4] الوادِي[5]فُوَيقَ المُهَزَّمِ[6]

ففي البيت الأول تظهر الدلالة المكانية، والفضاء المكاني بحيزه الواضح في حديثه عن حمص، فقد وظّف كلمة "الثُّغرة"، التي تشعر بالقرب المكاني بين " حمص" و "الكهاتين"، فتوحي فكأنها همزة الوصل بين المكانين.

وفي البيت الثاني تناول الشاعر الحديث عن الدار، ووظّف كلمة " المنمنم"، وجعل ذلك التزيين في منعرج الوادي "وادي السرحان" كما يحدث في جوانب الكتاب من تنميق وتزيين، ووظّف كلمتي" بمنعرج"، و"فويق"، التي توحي بالقرب للمكان، وشبه ما بقي من المكان (الآثار) برسم الكتاب(الخط في الكتاب)، الذي اندثرت معالمه ولم تبقَ سوى تلك الزّينة، ويحاول الشعراء أنّ يقرنوا بينه وبين ما يحبون، فلذلك شبه هذه الدار و آثارها بالأداة الجديدة، فاستحسن ذلك الجديد غير المألوف.

وكان الشاعر يُعرف بانتمائه وولائه للخلافة الأموية، وقد انعكس ذلك في ديوانه، وكان يعرف كذلك بأنّه شاعر أهل الشام وهم أنصار الأمويين، ويعد ابن الرّقاع شاعر الأمويين، واختص بالمديح لخلفائهم، ولا

---

(1) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 247. هكذا في الديوان، وأثبتها العاملي "عَرِيْبُ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص40. أي ليس فيها أحد.

(2) رسم : الأثر بلا شخص.

(3) المنمنم : أي المحسن ، وقيل الموشّى.

(4) منعرج : أي منعطف.

(5) منعرج الوادي : يشير إلى وادي السرحان ، انظر: العمّاري ، عديّ بن الرّقاع، ص62.

(6) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ، ص 128. وسبق تحديد المهزَّم، انظر ص68.

سيما الوليد بن عبد الملك[1]، وقد ظهر ذلك في عدد من قصائد الديوان التي بلغت تسعاً وعشرين قصيدة كان للوليد نصيب منها في المدح بعشر قصائد.

لقد عاصر عديّ عدداً من الخلفاء الأمويين، بدءاً من عبد الملك بن مروان[2]، ومروراً بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز وانقطعت أخباره بعد ذلك بالموت، وقد كان ثابت الانتماء، والولاء لهم، وأثبت انتمائه بنصرته لهم بلسانه وشعره.

واحتل الشاعر مكانة عند بني أمية كانت دليلاً على انتمائه وولائه لبني أمية ودفاعه المتفاني عنهم، فـ "كان شاعراً مقدّماً عند بني أمية مَدَّاحاً لهم خاصًا بالوليد بن عبدالملك "[3]، وفي المقابل يدافعون عنه[4]، وبهذه المكانة التي استمدها من خلفاء بني أمية، أصبح خصماً، ونِدّاً لكبار الشعراء في ذلك العصر كالفرزدق والأخطل، وغيرهم. ما جعله يشيد بأفعالهم، ويمجدهم، وقد جاء إثبات انتمائه لبني أمية في قصائد عدة، نذكر منها، قوله:

وعَسْكَرَ جَنْباً ما يَرِيمُ[5] مكانَهُ بأرْضِ فَضَاءٍ وهو للروم واتِرُ
تُحَبِّسُ أفواجاً عليهِ سَبِيُّهم كماحُبِستْ في ذي المجازِ[6]الأباعِرُ
وما كان يَثْوِي في المكان الذي ثَوى[1] به في السنينِ الخالياتِ العساكِرُ

---

(1) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس ، ولد سنة 48هـ، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه(سنة 86هـ) فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير، وامتدت في زمنه حدود الولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين شرقاً، قبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، وكان ولوعاً بالبناء والعمران، وتوفي 96هـ، انظر: الزركلي، الأعلام،ج8،ص121.

(2) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة ، فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65هـ) فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة، توفي في دمشق سنة 86هـ، انظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص165.

(3) الأصفهاني، الأغاني، مج9 ،ص228.وانظر: الزركلي ، الأعلام ، ج4، ص221.حيث قال: "مقدماً عند بني أمية".

(4) ومن المواقف دفاع الوليد عنه عندما "قال الوليد لجرير : لئن شتمته لأسرجَّك ولألجمنَّك حتى يركبك فيعيَّرك الشعراء بذلك "، انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، مج9، ص228.

(5) مايريم: مايبرح مكانه.

(6) سبق تحديد المكان ، انظر: ص79.

كـأنَّ أكُـفَّ الـسـائلـيـنَ بـبـابِهِ إذا بُسِطَتْ والقُمْصُ عنها حواسِرُ

رُؤوسُ نَـهالٍ[2] خامِساتٍ[3] تُعينُها دِلاءُ السُّقاةِ والحياضُ الدعاثرُ[4]

تتجلى في الأبيات السابقة روح المعاني وروعة التعبير لدلالة على انتماء الشاعر لبني أمية ومدحهم، ما دلّ على ألفة ومودة بينهم، إذ مدح فيهم الشهامة، والكرم، والسخاء، وحسن الخلق، فوظّف كلمات توحي بالالتصاق مثل: "عسكر"، "جنباً"، "تُحبِّس"، "يثوي"، "ثوى"، فهذه العبارات تدلّ على مدى القرب من الأماكن، الذي بدوره يدل على الانتماء، ووظّف الشاعر التشبيه، فقد شبه الشاعر جيوش الأمويين متراصة وجنباً إلى جنب في أرض فضاء واسعة قد أنزلت بالروم الهزيمة، بالأباعر التي حبست في ذي المجاز، وأشار إلى كرم وسخاء الأمويين للسائلين على أبوابهم يبسطون أيديهم، ولا يمنعون الخير والعطاء عن أحد، وقد ألمح إلى شجاعة عمر، وهو ما نستشفه في قوله: "ما يريم مكانه"، فكناية عن إثبات الشجاعة بوقوفه في هذا المكان الفضاء المكشوف للعدو، وعم ذلك لا يبالي، وإنّما لم يكن يثوي فيه العساكر من قبل، وذلك لخطورته، وفي هذا دلالة على شجاعة عمر وثباته في موجه المخاطر.

فالشاعر يمزج بين شجاعته، وكرمه، ووظّف الكلمات التي توحي بذلك، كـ "عسكر جنباً"، "ما يريم مكانه"، "أرض فضاء"، "ذو المجاز"، " يثوي في المكان"، " ثوى"، "الحياض"، فالشاعر أبرز الممدوح بصورة متكاملة من الشجاعة، والكرم، مما يدل على إعجابه به.

وقال يمدح عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان:

وجارُهُمُ أَعَزُّ من الثُّرَيّا إذا عَقَدُوا لجارهم الحِبالا[5]

---

(1) ثوى: المثوى الموضع الذي يُقام به، وجمعه المثاوي، ومثوى الرجل: منزله ، وثوى بالمكان نزل فيه، وبه سمي المنزل مثوى

(2) نَهال: العطاش، أي: شربت أول مرة ، وقيل للعطاش النواهل على التفاؤل، أي: ستنهل

(3) الخوامس: أي ترد الخمس، وهي أنْ تشرب يوماً، وترعى ثلاثاً، ثمّ ترد اليوم الخمس.

(4) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص202 . الدعاثر: جمع ومفرده الدعثور: حوض لم يُـتَـنَوَّقْ في صنعته، أو المتهدم المتثلم.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص114. الحبل : العهد والذمة.

فلقد تعارف العرب على حسن معاملة الجار، والاهتمام به، وعدم الإساءة إليه بأي شكلٍ من الأشكال، وهاهو عديّ يصور يقدِّم من تلك الصور التي ارتسمت في أذهانهم منذ الطفولة، فهو يثني على عمر بحمايته لجاره، وعمد عديّ إلى الربط بين شيئين متباعدين، وهما الجار الذي موطنه الأرض، و الثريَّا التي في السماء، فمن خلال هذه الثنائية الضدية برزت مكانة الجار، وأضفت على المكان الألفة والتعاون، وروح المحبة المتبادلة.

وكان من ولائه لبني أمية أنَّ الأشياء، والأماكن تتنكر له، في حالة فقدها للخيفة ، فيقول:

إذا هَبَطْتُ بِلاداً لا أراكَ بها تَجَهَّمَتْنِي(1)وحالَتْ دُونها ظُلَمُ(2)

فالتجهم مشروط بخلوّ تلك البلاد من الخليفة (عمر بن الوليد)، وإلا فإنه يجد نفسه مقبولاً أينما حلَّ و ارتحل، فهذه البلاد ـ في نظر عديّ ـ اكتسبت صفتين، "تشخيص البلاد"، وهي صفة من صفات الإنسان وظهر منها التنكر له، و"التجسيم" جعل الليالي المظلمة سدّاً حائلاً دون تلك البلاد، فيرى ظلاماً كثيفاً يحول بينه وبينها.

والممعن في البيت، يرى الشاعر يهدف إلى الإطلاق، وذلك بقوله: "بلاداً"، التي تدل على أنَّ الشاعر يتصور أنّ كل بلاد في نظره لا تختلف عن غيرها، إلاّ إذا أتاها الخليفة، ونزل بها. ويبيّن شدة عزم الخليفة في أمره الذي أدّى به إلى تحقيق النصر على الروم، فيقول :

وكانَ أَمْرُكَ(3) في أَهْلِ الطُّوانَةِ[4] مِنْ نَصْرِ الَّذِي فَوْقَنَا واللهُ أَعْطَانَا

أَمْرًا شَدَدْتَ بِإِذْنِ اللهِ عُقْدَتَهُ فَزَادَ في دِينِنا(1)خَيْراً ودُنيانا(2)

---

(1) تجهمتني: تنكرت لي، و أظهرت عدم قبولها لي.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص119. ظُلَم: جمع ظلْمة، أي : ظلمة الليل.

(3) أمرك : فِـعـلُك.

(4) الطوانة: بلد بثغور المصيصة، انظر: الحموي، معجم البلدان،ج4،ص45. والمصيصة: مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية، وبلاد الروم، انظر: الحموي، معجم البلدان،ج5،ص144ـ145،ويرى العمّاري:أنَّها " في الشام؛ لأنَّـه يشير إلى تحويل الكنيسة إلى جامع" ، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1،ص207.

فالأمر من الخليفة " أمرك "،أي: فعلك في الروم بانتصارك العظيم والعطاء من الله للجميع " الله أعطانا"، فعديّ يرى أنّ النصر عطاء من الله تعالى، إنّه نصر إلهي، وانتصار للدين. وهذه فضيلة يركز عليها عديّ في مخاطبته عمر بن عبدالعزيز.

وتعد القصيدة الدالية المشهورة(3)في ديوان عديّ من غرر مدائحه، وتَـنُم عن جميل انتمائه للبلاط الأموي، وخصَّصَ فيها مدحه للوليد، وتضمنت تلك القصيدة العديد من الصور البيانية الشعرية من تشبيه، وكناية، واستعارة، وغيرها، فقال:

نَزَلَ الوليدُ بها فكانَ لأَهْلِها غَيْثاً أغاثَ أنيسَها وبلادَها

أوَلا تَرَى أنَّ البَريَّةَ كُلَّها أَلقَتْ خزائِمَها[4] إليهِ فقادَها[5]

ثم يقول:

تأتِيهِ أسْلابُ الأَعِزَّةِ[6]عَنْوَةً[7] قَسْراً ويجمعُ للحروبِ عَتادَها[8]

ثم يقول:

---

(1). هكذا في الديوان بكسر الدال. وأثبته العاملي بفتح الدال:"دَيْنِنا"،انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف بياً وعيني امرأة،ص112، ورواية الديوان هي المناسبة وذلك؛ لأنَّ ما يقابل "الدُّنيا" هو "الآخرة".

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 174.

(3) اكتسبت شهرتها من قوله: تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرة رَوقه قَلمٌ أصاب من الدَّواة مِـدادَها

(4) حزائم: جمع خُـزامة، وهي حلقة من صفر توضع في أنف الناقة.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 91.

(6) الأعزة: الملوك أهل النعمة، والقوة ، والعزة.

(7) عنوة: طاعة ، وعن غير طاعة، وقيل: أي قهراً، وغلبةً.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص93.

أطـفـــأتَ نـيــرانَ العدوّ وأوقِــدَتْ نارٌ قَدَحْتَ براحَتَيْكَ زِنادَها[1]
فَـبَـــدَتْ بصيرتُها لِمَنْ تَبَعَ الهُـــدى وأصابَ حَرُّ شَرارِها حُسَّادَها
وإذا غَـــدَا يـــوماً بـنَـفْـخَـةِ نائِلٍ عَرَضَتْ له الغَدَ مِثْلُها فأعادَها[2]

في الأبيات السابقة يتمثل البعد الانتمائي، إذ وظّف الشاعر الضمير الذي يعود إلى المكان، وذلك في قوله:"بها"، "لأهلها"، "أنيسها"، ونجده يصرح بالبلاد فيقول: "بلادها"، فالضمير يوحي بالانتماء، وكذلك يشعرنا بما اكسبه نزول الوليد بتلك الأماكن، أو ذلك المكان، ونتيجة ذلك الخصب، نجده في قوله: "البرية..... ألقت خزائمها إليه فقادها".

ويجول بنا عديٌّ، في ذلك المكان، الآمن، الخصب، ويرى سبب ذلك الخصب، هو نزول الوليد فيه، فيرى أنّه أينما يحل الوليد تحل معه تلك الصفات، فيخبرنا عن صفات الممدوح لكثرة عطائه وإنعاشه للناس مثلما ينعش الغيث الأرض والبلاد، وهذا العطاء ليس منقطعاً، ولا قليلاً، وإنما هو كثير متواصل، وفي الأبيات كذلك شبه الشاعر الوليد بأنه كالغيث جاء لأهل الشام وبلادهم، وأنَّه محارب، قويّ، يجمع للحروب العتاد، وتأتيه أسلاب ذوي العزة والمكانة، إما قسراً ، أو كرهاً، فمن معه يجاهدون الأعداء، ويهزمونهم. لقد جعل الوليد يطفئ نيران العدو، وجعله يشعل ناراً أخرى براحتيه تضيء الطريق لمن أراد، وعـن هذه الصـورة تقول مـريم الحارثي :"يُحْكِم عديّ هذه الـصورة "[3].

لقد استعمل عديّ الفعل الماضي، ليدل على الأسبقية له، والفضل له بحلوله تلك الديار، فـ"نزل " تعني بأنَّ نزوله في تلك الأماكن كان عنوة وسيطرة، والفعل " أغاث" تدل على أنّ إغاثته ستستمّر من أول نزوله بهذه الأرض المفتوحة، فكان خيراً يطال من حل بتلك الديار. وهو يوظِّف المقابلة بين "أطفأت"، و"قدحت"، فالصورة الحركية التي تشتملها تلك الكلمات تكسب المكان حيوية.

---

(1) الزِّناد: جمع زَنْد و زَنْدَةٍ، ويقال للرجل الظافر.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 94-95.

(3) الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ، ص196.

ولننظر في هذه الصورة الرائعة جدّاً كنموذج على جمال تلك القصيدة، فهو إذ يقول:

أوَلا تَرَى أنَّ البَريَّةَ كُلَّها أَلقَتْ خزائِمَها إليهِ فقادَها

فوظّف"ال" الجنسية في "البرية"، فهي للعموم، مع تأكيد هذا بأداة التأكيد "كُلها"، فجعلها طائعة، ذليلة، خاضعة، أمرها كُلّه بيده، وذلك في صورة مبدعة حين صور البرية كالإبل الجامحة التي سلَّمت له وقادها "ألقت خزائمها"، منقادة له.

ثم يأتي البيت الأخير:

وإذا غَـــدَا يـــوماً بـنَـفْـخَـةِ نائِلٍ عَرَضَتْ له الغَدَ مِثْلُها فأعادَها

ليدلّ دلالة قاطعة على أنّ الفتح، والنصر لم يكن للهزيمة والإذلال، وإنّما للخير والنعمة والسلام، إنّه خير غير منقطع"عَرضَت له".

لم يكتفِ عديّ بتشخيص الأماكن، وإلباسها صفة من صفات البشر، بل تجاوز ذلك إلى ما هو غير محسوس، فنجده تناول الظلم، وشخصه، يقول :

ييأسُ الظلمُ أَنْ يكونَ بأَرْضٍ هُمُ بها أو يجيء مِن حَيثُ جاءوا[1]

سِنَّةُ الله والرسولِ فما في أَمْرِهم رِيبَةٌ ولا لَحْجاءُ[2]

قوّم المسلمين حتى استقامتْ سنّةُ الحَقِّ فيهمُ والوفاءُ[3]

وما يزال عديٌّ يُبْرز البعد الانتمائي، لبني أميَّة، ففي قوله" أرض" وجعلها نكرة، ليشمل بها سائر المكان، ولم يحددها، فلو حددها بمعلم، أو حدود بارزة، للزمتها حالة الخصوصية، بخلاف إطلاقها نكرة، فتفيد

---

(1) هكذا في الديوان، " جاءوا"، و وفق القاعدة الإملائية تكتب الهمزة على الواو"جاؤوا".

(2) لحجاء: لحجت عليه الخبر تلحيجاً، إذا خلطْتَه عليه، وأظهرت غير ما في نفسك.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص160.

عامة الأماكن "الأراضي"، فأي أرض يحل بها الخليفة، ينتفي الظلم عنها، ويرحل، فثنائية "البقاء"، "الانتفاء" تكسب ذلك المكان الأمن، والرخاء، والخصب.

ونلمح ملمحاً آخر، وهو تشخيص " اليأس"، فعندما شخص اليأس، كإنسان يستشعر، ويرغب ويتأمل، فجعله ييأس بأنْ يحِلّ بالأرض التي يحلّ بها الوليد، أو يأتيها"جاؤوا"، فمقدرة الشاعر على التشخيص سواء في الأماكن، أو غيرها كالظلم ونحوه، يدل على "قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيما لا حياة فيه، وعلى إكساب الجمادات أو قوى الطبيعة شخصيات بمعنى أن يتخيلهم أشخاصاً أحياء، قائمين بأنفسهم "[1].

على أنّ ما يلفت النّظر في مديح عديّ على إطلاقه هو التركيز دائماً على البعد الديني، بل أشدُّ من ذلك تثبيت دعائم الإسلام، ونشر العدل والخير بين الناس من منطلقات دينية صرفة، كما هو حال الأبيات السابقة.

ومن ناحية أخرى فقد أفاض عديٌّ في وصف الإبل من تفاصيل جسمها، إلى تطور مراحلها وسيرها، وشربها، وأكلها، وكل ما يتعلق بها؛ لأن الناقة هي الوسيلة التي يعتمد عليه العربي، فيحمل عليها أمتعته، وتساعده في إمضاء همومه، فتولدت بينهما علاقة وثيقة، ما جعل الناقة تحنُّ إليه، وهو بدوره يحن إليها، ويخاطبها من خلجات قلبه.

فلقد صور الشاعر الناقة وهي تسير أو تسرع في أبياته، فيقول:

أَفَلَا تَنَاسَاها بِذاتِ بَرايَةٍ [2] (عَنْسٍ) [3]تَجُلُّ[4]إذا السِّفارُ [1]بَراها [2]

---

[1] النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة :طبعة مكتبة الخانجي، ط1 ، 1949م) ص248.

[2] هكذا في الديوان، بفتح الباء. وأثبتت بالضم" بُـرايةٍ"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ،ص84، العاملي، عديّ بن الرِّقاع العاملي أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص118. البراية: القوة. ودابة ذات بُراية أي ذات قوة على السير.

[3] هكذا في الديوان بتنوين الكسر. وأثبتها العاملي بتنوين الضم" عنسٌ"، انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع العاملي أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص118. و العنس: الناقة القوية، والجمع عُنْسٌ، وعُنُوس، وعُنَّس، قال الراجز: يُعْرِسُ أبكاراً بها و عُنَّساً.

[4] تجلُّ: تعظم وتشتد.

تَطْوِي الإكامَ[3] إذا الفلاةُ [4]تَوَقَّدَت طَيَّ الخَنِيفِ[5]بِوَشْكِ[6]رَجْعِ[7]خُطاها[8]

فهذه الناقة صلبة، شديدة القوة، تقطع الصحراء مسرعة إذا اشتد الحر، وصارت الأرض كقطع الكَتَّان البالية، وترجع يديها إلى الخلف أثناء سيرها، وهذا السير يسمى بالخنيف، فالشاعر هنا جعلها تطوي الآكام، فمنحها القدرة على الطي، وهنا تشخيص للحيوانات، وهو ما سار عليه عديّ، وهذا التشخيص ممزوج بالحركة التي تجعل المتلقي يتصور ذلك المنظر، ويتصور جماله كذلك .

ثُمّ إنّ عديّاً يربط بين فخر بأمجاد قومه ـ كغيره من الشعراء ممن يتغنون بأمجاد أقوامهم، فيذكر قوتهم ومقدرتهم على منازلة الأعداءــ ،وذكر الإبل، فيعمد إلى نقلنا إلى ساحة المعركة؛ لعلنا نجول فيما يحدث، ونتحرك مع كل ما يحدث خلال تلك الساحة، فقال الشاعر:

قد شَهِدتُ الجِيادَ يخرجْنَ فَوْتاً[9] من غُبارٍ مُجَلَّلٍ مُنْجابِ[10]

ساطِعٍ[1]يصطنعْنَ منه ذُيولاً كمُلاءِ[2]العِراقِ ذي الهُدَّابِ

---

(1) السفار: سفار البعير: وهي حديدة توضع على أنف البعير فيخطم بها ، أو هو: حبل يشد طرفه على خطام البعير، فيُدار عليه، ويجعل بقيته زِماماً.

(2) براها : أي أذهب لحمها ، والبرة: الحلقة في أنف الناقة.

(3) هكذا في الديوان. وروى العاملي كلمة" الفلاة" محل "الإكام"، انظر: العاملي، عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص118. والأكام: جمع أكمة: وهو الموضع الذي أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو عليظ.

(4) والفلاة: المفازة، وقيل: القفر من الأرض؛ لأنها فُلِيت عن كلّ خير أي قُطِعت وعُزِلت، وقيل : هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة، والجمع فلاً وفلوات وفُلِيٌّ.

(5) الخنيف: ضرب من الكتان ،رديء، وجمعه خُنُفٌ.

(6) الوشك : السرعة.

(7) رجع الخطى : يريد ثنيها قوائمها لتخطو.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 100.

(9) فوتاً: يندفعن ويتدافعن في الانطلاق، ويفوت بعضهن بعضاً.
(10) مُجَلَّلٍ مُنجاب: يتكاتف، ثم ينكشف.

ضَرَبَتْهُ الرياحُ فاغتَصَبَتْهُ(3) جلدَ الأرضِ(4) وَقعُ صُمٍّ صِلابِ[5]

ففي المقطع السابق انتماء مكاني إذ وظَّف التشبيه؛ لخدمة ذلك البعد، فجعلنا أمام صورة حسية بصريّة، مستوحاة من بيئته البدوية، وذلك عندما شبّه صورة الغبار الذي تثيره الخيل في ساحة الحرب، وما تخلفه وراءها من ذيول، بـــ"بملاء العراق"، وهو نوع من الملابس، مصنوعةً في العراق، فنجد أنّ الشاعر يصف الغبار الذي يثار من أرجل الخيل والجياد وأقدامها، يلمع فيرتفع في السماء، كالجبال الشامخة، وقد صار في أثر الجياد كـلأردية المنسوجة بالعراق المذَّيلة"ذات الهداب"، فالشاعر يصور هذه الخيل "بصور جمعت كل الصفات ، وهي خيل قومه بني قاسط وبني زهد الذين هم للشاعر كالظفر والناب في الفتك بالأعداء"[6].

وإضافة إلى هذا نجده يصف الروضة في انعكاس لوصف روح البداوة، وما فيها من غناء المكاكي:(وهو طوير في رجليه طول، وفي أطراف رجليه توشم سوادٍ، يُحَلِّق في السماء، ثمّ ينحطُّ على رأسه مُصوتاً في رياض الربيع)، فقال في ذلك الوصف:

يَـــتَـــغَنَّى بِـــهَا عَلى نَغِمٍ بَـالٍ[7] في ضَوَاحِي رياضِها المَكَّاءُ[8]

كتغني اللذيذِ أصْبَحَ نَشْوَا نَ تُزْنِي) ـهِ[1]نَشْوَةٌ عَشْوَاءُ[2]

---

(1) ساطع: مرتفع.
(2) الـمُلاء: جمع مُـلاءة، وهي الإزار والرَّبْطة.
(3) اغتصبته: أثارته.
(4) جلد الأرض: الغليظ من الأرض

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 55.

(6) الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ ، ص 127.

(7) بالٍ: قديم.

(8) المكَّاء: طائر وجمعه مكاكِيُّ. ويرى أستاذنا الدكتور: ناصر الرشيد: أنّها تعرف اليوم بـــ "أم سالم". وذكرها امرؤ القيس في معلقته، في قوله:

كَـأنَّ مَـكَـكِـيَّ الجِـواءِ غُـــدَيَّـة صُـبِـحْـنَ سُـــلافاً مِـــنْ رَحَـيـقٍ مُـفَـلْـفَلِ

انظر: الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، ديون امرؤ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي(بيروت : دار المعرفة،ط2 ،1425هـ ـ2004م) ص68.

وهذه الرّوضة التي أصابها الوسمِّي، فامتلأت من السيول، فأصبحت موئلاً لطائر المكاء فهو يأتي إليها، ويتغنى كما يتغنى مَن به نشوة الخمر، فعديٌّ هنا جعل الطائر يتغنى، فرحاً، وابتهاجاً، وسروراً. وهذه الصورة الجميلة، وما تحمله من حركة، تجعل تلك الروضة ذات إطارٌ جميل، فقد " لاحظ ابن الرّقاع كلّ متحرك في الصحراء من طير وحيوان واستفاد منه في رسم صورة وتكوين مادتها، فوصف غناء المكاء في الرياض المخضرة"[3]. ألسنا هنا في صورة من البادية، تأكيداً على عمق صلة عديّ بها، إذ إنّ هذه الصورة الجميلة لا تبعد في جمالها كثيراً عما قاله عنترة[4]:

فترى الذّبابَ بها يُغَنّي وَحْدَهُ هَزِجاً [5]كَفِعْلِ الشَّارِبِ[6] المُتَرَنِّمِ

غَرِداً[7] يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بذراعِهِ فِـعْـلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ[8] الأجْذَمِ[9]

وعديّ كسائر الشعراء يفخر بقومه ونسبه ووطنه، "وبين ذلك في رده عندما هجاه الراعي النميري، فيرد عليه عديّ بذكر قومه وأجداده، فقضاعة قبيلته التي تنصره إذا افتخر الناس برؤساء قبائلهم وبأجدادهم، وقبيلة حمير إخوانهم، قد بنت ملكاً وفضلاً والحمد لا يبنى من فراغ ولكن على أعمدة، وكذلك فجذام إخوانهم الأقربون وأخوهم ينصرونه دائماً فلا يحزن، وقبيلته طيء أقرب الفروع إلى (أدد) جدهم...يعرب

---

(1) تزْنيه: تميله. والتفعلية مكسورة بهذا الرسم (تـرْنيه)، وتصحَّ القراءة بتحريك الراء بالفتح، وتشديد النون.

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 152.عشواء: مفسدة للعقل، وأصل العشواء : العمياء.

(3) الحارثي ، التصوير البياني في شعر عديّ، ص 65.

(4) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منا، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، لم يحدد تاريخ ميلاده، وحددت وفاته بنحو 22 ق ه، انظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص236.

(5) الهزج: المتتابع الصوت.

(6) كفعل الشارب: شبه غناء الذباب بغناء الشارب، والمترنّم الذي يترنّم بالغناء أي يمدّ صوته ويرجعه.

(7) عرداً: الغرد الذي يمد في صوته ويطرب.

(8) الزناد: أراد بالزناد الزند، وهو العود الأعلى، والزندة العود السفلى.

(9) التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيْد طرَاد (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1412هـ ـــــ 1992م) ص 158 ـــ159 . الأجذم: المقطوع الكف.

بن قحطان، ومن أولاد قحطان... طيّء، والأشعر، وقضاعة، وغسان، وأوس، والأزد، ولخم، وجذام، وعاملة،... وغيرها"[1].

فيجمعهم الشاعر في ردّه على الراعي النميري عندما هجاه، وذلك دليلٌ على انتمائه لقومه وقبيلته ونسبه، يقول:

(فإنَّكَ)[2] والشِّعر (إذْ)[3] تُزْجِي قوافِيَهُ كمُبْتَغِي (4)الصَيْدِ[5] في عِرِّيسَةِ[6] (الأَسَدَ)[7]
وما قُضَاعَةُ عن نَصْرِي بنابِيةٍ[8] إذا تسامَتْ قُـرومُ النَّاسِ[9] في لـبَـدِ[10]
إخـوانُـنا حِمْـيَـرٌ تبني التَّمـام لـنا والـحَـمْدُ لا يُبْتَنَى إلاَّ على عَـمَـدِ
جُذامُ إخوتُنا الأَدْنَـونَ قـد عَـلِمُوا وما أَخـوهـم (بـمُضْطَـرِ)[1] ولا وَجِدِ

---

(1) المرسي زيد، مأمون السيد عبد العزيز شعر عدي بن الرقاع، دراسة فنية (مصر: كلية الآداب، جامعة المنصورة ، رسالة ماجستير،1996م) ص 127.

(2) هكذا في الديوان "فإنَّك"،بتشديد النون. والصواب هو تسكينها" فإنْـك".

(3) هكذا في الديوان "إذ"، وأُثبت " ذو"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57.

(4) مبتغي: مُـريـد.

(5) هكذا في الديوان "الصَيد" بفتح الصاد دون من التشديد. وأُثبت " الصَّيد" بتشديد الصاد، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57. و ما في الديوان هو الصواب.

(6) عرِّيسة : الشجر الملتف، وهو مأوى الأسد.

(7) هكذا في الديوان" الأسدَ" بفتح الدال مع كونه مضاف. وأُثبت " الأسدِ" بكسر الدال، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرّقاع،ص54، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص57. وما في الديوان خطأ مطبعي.

(8) نابية: أي مبتعدة ومتخلية.

(9) قروم الناس : القرم من الرجال هو: السيّد المعظم.

(10) لبد: ولَبِدَ بالأَرض وأَلْبَد بهَا، إذا لَزِمَها فأَقَام، انظر: الزبيدي، تاج العروس، (لبد). يريد أنْ يقول إنّ قضاعة لا تلزم مكانها عندما يحتاج الشاعر نصرها بل تهب لنصرته ومساندته.

(وطَـيِّـئٌ)[2]مَـعْـشَرٌ ناءٍ ومَـجْـمَـعُـنا أقْصى الـدّيارِ و أربـاهُـمْ إلى أدَدِ[3]

فالشاعر في الأبيات السابقة نجده يتحدث عن نسبه، وانتمائه القبلي، وتسلسله من قضاعة وطيّء، وأدد، فهو كغيره من الشعراء يفتخر بقبيلته ونسبه.

ووظَّف المكان في قوله"عرِّيسة"، وهي مأوى الأسد، فكأن الشاعر، ينسب صفة الشجاعة لقومه، وأنهم يحمون، ويذودون عن كل من تمتد يده قبل لسانه إلى حمى قبيلته.

ولم يكتفِ عديّ بتصوير البعد الانتمائي لقبيلته أو لبني أمية ؛ ليبين أنّهم ذوو حق بالخلافة. ونحو ذلك، بل نجد أنّ هناك أبياتاً توحي بذلك، ومن هذه الأبيات قول عديّ:

كأنَّها وهي تَحْتَ الرَّحْلِ لاهِيَةٌ إذا المَطِيُّ على (أَنْقَابِهِ)[4]ذَمَلا(5)
جُونِيَّةٌ[6]من قَطَا الصَّوَّانِ[7]مَسْكَنُها جَـفَـا جِـفٌ[8]تُـنْبِتُ القَفْعاءَ والبَقَلا[9]
باضَـتْ بحَزْمِ[10]سُبَيْعٍ[1]أوبـمَرْفَضِـهِ ذي الشِّيحِ حيثُ تَلاقى التَّلْعُ(فانْسَجَلا)[2]

---

(1) هكذا في الديوان بتشديد الطاء، ويبدو أنّه خطأ مطبعي، إذ أنّ الشدة على الراء " مضطَـرّ".

(2) هكذا في الديوان ، ويبدو أنّه خطأ مطبعي، إذ الصواب "طيُّ".

(3) ابن الرّقاع، ديوان عديّ ،ص 176.

(4) هكذا في الديوان، وفي رواية أخرى "إيفائه"، أي: على إشرافه. وأُثبتت " أنـقائه " ، انظر : البركاتي ، ص68 ، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفض من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص88. وأنقابه: جمع "نقب"، أي: نقبت أخفافها من طول السير.

(5) الذمل: الذميل : ضرب من سير الإبل.

(6) جوانية: الجوانية من القطا وهي سود الظهور، وسود الأجنحة، والأعناق، وظهورها تعلوها غُبشة فيها رقـط.

(7) الصّوّان : موضع كثير الحجارة.

(8) الجفاجف :جمع جفجف ، وذكر محقق الديوان أنّ معناها "وهو مستوى من الأرض في غلظ"، انظر: ابن الرّقاع، ديوان عديّ،ص78.

(9) القفعاء: من أحرار البقول تنبت متصدحةً كأن ورقها ورقُ الينْبُوت، والبقل: شبيهٌ بالبرسيم .

(10) الحزم : الغليظ من الأرض المرتفع.

وعديّ تناول وصف ناقته وصفاً مستفيضاً، ثم ختم وصفه لها بأنْ شبهها في نشاطها وسرعة سيرها بقطاةٍ جونية تسكن أرضاً قد أخصبت، و أنبتت البقل.

فالشاعر لَـحِـظ الأماكن: "تحت الرحل"، و "قطا الصوان"، و"جفاجف"، و"بحزم سُبيع"، و "... بمرفضه/ ذي الشيح"، و"تلاقي التلع"، والممعن في تلك الأماكن يجدها أماكن صحراوية خالصة، ولا سيما بوصفه الموضع بأنّه "حزم"، وأنّه "ذو الشيح"، وهذه الأماكن عرفها وعاشها، وتنقل بين جنباتها، فانغرست في مخيلته، وبرع في وصفها، فهذا الانتماء يوحي بالصلة لهذه الأماكن، والتعلق بها.

وهناك ملمح آخر، وهو كون تلك الأماكن ذات الطابع الصلب، فمجرى المسيل تتلاقى، وهذا ما اعتدنا على سماعه في ذكر وصفٍ أو نحو ذلك كثيراً، وفي هذا إسقاط صفة من صفات الإنسان على ذلك الموضع، وإضفاء طابع الحركة عليه.

وتناول عديّ النخل، ووظَّفها في تشبيهاته، حيث قال :

كأَنَّ ظَعْنَهُمُ في الآلِ حِينَ نَأَوْا إذا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ بَيْداءُ أَوْ شرَفُ

نَخْلٌ تَبِيْتُ عِناقُ الطَّيْرِ آمِنَةً بحَيْثُ(يَنْبُتُ)[3]مِنْهُ البُسْرُ والسَّعَفُ[4]

فظعائن الحي تبدو لعين عديّ ــ المتتبع لها ــ وقد ابتعدت عن الحي، فارتفعت نخلاً سامقاً، حتى إنَّ الطّير تبيت في أعاليها آمنةً، لا تخشى على نفسها، وقد كرر عديّ التشبيه بالنخل في موضوعين من

---

(1) سبيع: واد بنجد في قول عديّ بن الرّقاع، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3،ص187، ويرى العمّاري: أنّه" لم تحدد المصادر هذا الموضع، حيث إنّ ابن الرّقاع يتحدث دائماً عن منطقة كلب في السماوة حتى شرق الأردن، فالموضع يقع في جهة طريف"، انظر: العمّاري، الموسوعة،ج1، ص143.

(2) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 78، وأُثبت في الديوان " فانسجلا " ، وأثبت " انسحلا " ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ ، ص69، العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص88. والمعنى القريب هو " انسحلا"، ومعنى انسجلا: انصبّ، ويقال: باتت السماء تنسحل ليلتها ، أي: تصب.

(3) هكذا في الديوان. ويبدو أنّ هنا تصحيفاً ، و الصواب " ينبتُ".

(4) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 235.

ديوانه[1]، وإذا كانت الصورة تقليدية في تشبيه الظعائن بالنخل المثمر، فإنَّ صورة عديّ ـ وهي كذلك ـ تضيف الإحساس بالمكان في أمان الطير، في أعالب النخيل،

فـ"الظعن"، ومكان المبيت في قوله "تبيت"، تشعرنا بالأمان، والراحة، والعطاء، والكرم، فكلمـة "يَـنبت"، وبين نوع هذا النبت بأنَّه البسر، وهو : طلع النخل قبل أنْ ينضُج.

والشاعر هنا وظّف التضاد بين "الظعن" و"نأوا"؛ ليظهر ما في نفسه من الحسرة و الألم، مما يحدثه ذلك المنظر في نفسية الشاعر، وكذلك شخص الأماكن حيث جعل البيداء تقلهم، فهذه الصورة المتكاملة الجوانب، وما فيها من حركة تكسو المكان جمالاً وروعةً.

ومن صوره التي استعان بها تلك الصورة التي جعل فيها السماء تجود على الأرض، فاعتمد على التصوير في إبراز جمال ذلك المنظر، وبث فيه الحيوية، إذ قال :

لَجِبُ[2] السحابِ إذا أَلَمَّ ببلدةٍ لم تَسْقِها الأمْطارُ مُذْ زَمَنٍ بكى

ويَمُجُّ[3] رِيقَتَهُ(4) بكلِّ تَنُوفَةٍ[5] سَـــحَّ[6] المَزَاد[7] إذا تَـبَـعَّــجَ[8] وانْفَرَى[9]

---

(1) انظر: المرجع نفسه، ص 97 ، 204.

(2) لجب: اللَّجَبُ : ذو صخب وصوت عالٍ.

(3) يمج: مَجَّ الشرابَ والشيء من فيه يمجُه مجًا ومجَّ به : رماه، ومجَّ بريقه يمُجُه إذا لفظه.

(4) والقراءة التي تبدو صائبة هي "ريقه"؛ لأن رَيّق كل شيء أفضله و أوَّلـه، وهو ما يتناسب مع الربيع ، وريق المطر ناحيته وطرفه، يقال: كان ريقه علينا وجِـــمِـــرٌ علة بني فلان، انظر: ابن منظور، اللسان،(ريق).

(5) تنوفة: مفازة.

(6) سح: مُنصب متتابع.

(7) المزاد: جمع مزادة، وهي القربة ،أو الراوية التي يحمل فيها الماء.

(8) تبعج: تشقق.

(9) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 166.

فمن خلال الصورة التي رسمها الشاعر لتلك السحابة، كما بينا في الفصل السابق[1]، نجد أنّه عمد إلى تشخيص تلك السحابة، فلم يكتفِ هنا بتجسيد حالة واحدة للسحابة، بل جعلها تمتلك أكثر من صفة، مما ينوع في الحركة ، ويزيد المنظر بهاء، فاتكاء عديّ على الصور الفنية، وما تحمله من تجسيدات في تصوير مشهد الغيث أضفى على المكان الحركة، متوجةً بالصورة ومنظر المطر، وإذا كان للملحم رأي في كون إبراز جمالية الصمت، حين يقول: "وليس هناك من لغة قادرة على إحداث تلك الجماليات سوى الصمت الذي يجعل الإنسان أكثر قدرة على الإدراك، والإحساس بالجمال، والعيش بقوة في المكان..." (2)، فإنَّ لغة الصوت"لَجِبُ" أشد تأثيراً، و أكثر إحداثاً للجمال، ولها القدرة على الإدراك، والإحساس بالجمال، وتأثيرها محسوس في هذا الجانب، وذلك بتوظّيف الشاعر لكلمة "لَجِب". فهنا "بلدة" على إطلاقه ـ جافة، لا حياة بها ـ أو بتعبير الملحم "صمت"، فإنّ صورة عديّ بعثت الحياة في المكان، فتغيّر وجه الأرض كلّه بهطول الأمطار، وكلُّ ذلك من خلال الحركة "لجب"، "يمج"،"سَحّ"، "تبعّج"، "انفرى"، وهي كلّها مرتبطة بالمكان كلَّ الارتباط.

ونجد الشاعر يكني بالمكان " الرابية " ليبن شرف أصل ورفعة " عمر بن الوليد"، فيقول:

يَرَوْنَكَ مُرْتَفِعاً فَوْقَهُمْ بِعَلْياءَ مَنْظَرُها مُشْرِفُ

وُلِدْتَ برابِيَةٍ رَأسُها عـلـى كُـلِّ رابِـيَـةٍ نَـيِّـفُ[3]

فعديّ شاعر بني أمية، ولا غرابة في أنْ يمجدهم، ويراهم هم ذروة القوم، فنجده يشير إلى كرم نسب ممدوحه؛ لأنَّه من نسب الخلفاء، فبوأه مكانة رفيعة يسمو فيها على الجميع، واستمد لدلالة على رفعة مكانته ، وأصله صورتين من صور الطبيعة، فالناس حين ينظرون إليه يرونه مرتفعاً فوقهم في موضعٍ عالٍ، مشرف عليهم، وفي قوله:"ولدت برابية " يقصد أنّه من سلالة الخلفاء ذو الرفعة والمكانة العالية، فالكناية هنا عن شرف الأصل ورفعته، ونجد عديّاً يشخص الرابية فجعل له رأس، ومن خلال هذا التشخيص الذي ألبسه على الرابية، وهنا تلازم بين المكان وتوظِّيفه، فالصورة تحيل عمر بن الوليد إلى

(1) انظر الفصل الثالث، ص 107.

(2) ملحم، شعرية المكان، ص51.

(3) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 214.

وضع خالد لا يساميه أحد، فهو مرتفع (مكان)، "بعلياء" ينظر إليه الناس جميعاً، لا لأنّه حظي بهذا المكان في الخلافة فحسب، بل لأنّهُ كذلك أصلاً وحقيقةً، فنجد المكان مشروعاً بينه وبين سواه، فهو في " رابية رأسها/ مشرف"، والآخرون "كل رابية" أي : دونه.

وهذا هو المعنى الذي طرقه الشاعر سابقاً في مدح أبيه "الوليد"، بالمعنى نفسه، وذلك في قصيدة أخرى، فيقول:

نَمَا(الى) [1]شَرَفٍ ما فَوْقَهُ شرفُ فكُلُّ رابِيَةٍ منه قَدِ اطّلَعَا[2]

فرفعة المكان، والنسب مقترنة بالخلفاء، من وجهة نظر الشاعر، فقد كسبها ابنه "عمر" من أبيه" الوليد"، وهكذا دواليك، أصل ثابت.

لقد تجلى البعد الانتمائي في شعر ابن الرِّقاع، وخير دليل على ذلك هو مدحه للبلاط الأموي، وللخلفاء الأمويين خليفة بعد خليفة، وكذلك ما يدل على انتمائه لوطنه، فقد ورد في شعره أبيات تناولت الحديث عن الوطن، وهذا الوطن هو بلاد الشام ومنها حمص، وجآذر جاسم، وهناك ما دل على أن الشاعر من البادية فتغنى بشعره في البادية وما تحويه من صحراء، وخيل، وإبل، وغيرها، والشاعر عديَّ بن الرِّقاع كان يعرف بانتمائه وولائه للبيت الأموي، وقد انعكس ذلك في ديوانه، وكان يعرف كذلك بأنَّه شاعر أهل الشام وهي موطن الأمويين، ويعدّ ابن الرَّقاع بأنَّه شاعر الأمويين، اختص بمديحهم، ولا سيما الوليد بن عبد الملك، وقد ظهر ذلك في عدد من قصائد الديوان التي بلغت تسعاً وعشرين قصيدة كان للوليد نصيب كبير منها إذ مدحه بعشر قصائد. وقد عاصر عديّ ابن الرِّقاع عدداً من الخلفاء الأمويين بدءاً من عبد الملك بن مروان، ومروراً بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم انقطعت أخباره بعد ذلك.

وقد كان ثابت الانتماء والولاء لهم، وأثبت حبه بمناصرته إياهم، ووقف شعره على نصرتهم، فاحتل الشاعر مكانة عند بني أمية، وكانت دليلاً على انتمائه، وولائه لهم ودفاعه المتفاني عنهم، وبهذه المكانة أصبح خصماً لكبار الشعراء في ذلك العصر أمثال: جرير، وغيره ممن عاصرهم.

---

(1) هكذا في الديوان. والصواب" إلى".

(2) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 220.

المبحث الثالث

البعد السياسي

إنّ ارتباط العلاقة بين الشعراء و الحكام، تُلزم الشعراء ـ غالباً ـ في توظيف مخرجاتهم الشعرية، لخدمة مقاصدهم السياسية، مع التأكيد على أنّ عديّاً كان موالياً ذاتياً للخلافة الأموية، وشخصياً، وقبِيلةً، وانتماءً، ومنهم[1] من يرى أنّ المكان يقترن في ثقافة الشاعر بالمواقف السياسية، وتحقيق أهدافهم المقصودة، وكذلك للذود عن حكمهم، وبيان أنّهم أحق بذلك من غيرهم؛ لمحاولة قطع الأمل لدى من يتأمل في جلب عدد ممكن حوله؛ للحصول على الحكم، أو نحو ذلك.

وعندما يضفي الشاعر البعد السياسي للمكان في شعره، فإنّ هذا يعكس بدوره الترابط بينه وبين المكان، فرؤية الشاعر للمكان رؤية متعمقة، وخاصة، ووفق هذه الرؤية العميقة للمكان ـ ذات البعد السياسي ـ نجد أنَّ الشاعر عديّ بن الرّقاع قد أظهره من حيث الانتماء الولائي في شعره لبني أمية خليفة من بعد خليفة، وبيَّن أحقِيتهم في الحكم، وبيَّن الوقائع والمعارك التي خاضها خلفاء بنو أمية، وانتصروا فيها، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر بصدق الإحساس والمشاعر، فلم يترك تلك الأحداث تمرّ دون القول فيها، وقد عُرف عن عديّ بن الرّقاع ـ كما أوضحت سابقاً ـ بولائه للبيت الأموي، الذي جاء واضحاً في ديوانه، وقد عُرف بأنّه شاعر أهل الشام[2]، وهي موطن الأمويين، فلقد كان "شاعر بني أميَّة يُناضل دُونهم، وقد تعرّض وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ولم يجسر جرير على هجائه خوفاً من الوليد؛ لأنه هدّده بالأذى إذا فعل"[3]، واختص بالمدح للأمويين، ويبدو ذلك جليّاً في ديوانه، ويبقى دور القارئ في تلقيه تلك الأبيات واستقرائها، فالقارئ "يرتقي في الاختيار أضعاف ما يرتقي الشاعر في الأداء والابتكار"[4]، فربما تهيأ لشاعر جميع البواعث المعينة لقول الشعر، من طبيعة المكان، وجماله، وتشجيع خلفاء بني أمية له، وغير ذلك مما يُساعد على قول الشعر، وتجويده.

---

(1) انظر: عليمات ، يوسف ، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر القديم (إربد : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،ط1 ، 1430هـ ، 2009م) ص 171.

(2) المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117.

(3) الفاخوري ، حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) (بيروت: دار الجيل ، ط1 ، 1986م) ص 462.

(4) العقاد، عباس محمود، و المازني، إبراهيم عبد القادر، الديوان في الأدب والنقد (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ط4، 1417هـ ـ1997م) ص 13.

وكان عديّ مقدماً عند بني أمية[1]، ومن أمثلة ذلك الاهتمام والمكانة ما نجده من اهتمام الوليد بن عبد الملك له، وحبه له، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الثعالبي :"لمّا زوّج الوليدُ بن عبد الملك ابنه عبد العزيز بأمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكم ، وأمّها بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان يقال لها: الواصلة؛ لأنَّها وَصلت الشرف بالجمال، أمهرها بأربعين ألف دينار، وقال لجريرٍ وعديّ بن الرِّقاع : اغدُوَا عليّ فقولا في عبد العزيز و أمّ حكيم ، فَغَدوَا عليه، وأنشدَه جرير قصيدةً منها:

ضَمّ الإمامُ إليه أكرمَ حُرّةٍ في كلِّ حالاتٍ من الأحوالِ

حَكَمية عَلَت الحرائرَ كلّها بمَفاخِر الأعمامِ و الأخوالِ

فإذا النساءُ تفاضلَتْ ببُعولةٍ فَضَلَتْهمُ بالسيّد المِفضالِ

ثمّ قام عَدِيّ فأنشدَ :

قمرُ السماءِ وشمسُها اجتَمَعَا بالسّعد ما غابا وما طَلَعا

ما وارت الأستارُ مِثلَهما فيمن رأى منهمْ ومَن سمعا

دامَ السرورُ له بها و لها وتَهنَّيَا طولَ الحياةِ معا

فقال له الوليد: لئن أقللتَ فقد أحسنت، و أمر له بضعف ما أمر لجرير"[2]، وهذا يدل على ما كان لعديّ من منزلة متيّنة عند الأمويين، وإحسان السامعين بتأثير شعره، فقد أشار الثعالبي إلى ذلك، إذ قال: "وعديٌّ هذا أوّل من شَبّه الزوجين بالشمس والقمر، ومنه أخذ الشعراءُ هذا التّشبيه وأكثروا"[3]. فليس مستغرب إعجاب العلماء بأبيات عديٍّ، وسبق أنْ بيان ذلك في الفصل السابق[4].

وعايش عديٌّ الحياة السياسية في ظل الدولة الأموية، وتغنى بأمجاد بني أمية، وأفعالهم، وأشْهَرها على المسامع، فمن المعارك التي خاضها بنو أمية، ولم يغفلها عديّ المعركة التي قتل فيها مصعب، فعندما خرج عبد الملك إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير، والقضاء على الحكم الزبيري فيه، خرج عديّ معه شاهراً سيفه على أعدائه، مجنّداً نفسه في خدمة دولته بكل ما يملك من قدرات، فقد ذكر ذلك

---

(1) انظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117، بابتي ، عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998م) ص283.

(2) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب ،ص 299.

(3) المرجع نفسه، ص 299.

(4) انظر: الفصل الثالث، ص103.

الدينوري في"الأخبار الطوال"، أنّ عديّاً بن الرِّقاع كان مع عبد الملك في معركته تلك [1]، ولم يكتفِ عديّ بالمشاركة بسيفه ، بل خلَّد انتصار الخليفة الأموي، بقصيدة مدحه فيها، وأشاد بظفره، وهجا خصمه، فيقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ[2] خَيْلُنا بأَكْنافِ[3] دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

وَرَدْنا الفراتَ و خابُورَهُ[4] وكَانَا هُمَا ثِقَةَ المَشْرَبِ

على كُلِّ رَبْوٍ(5)تَرَى مُعْلماً[6] يُصَرِّفُ(7) كالجَمَلِ الأَجْرَبِ[8]

ونجد هذه الأبيات في "كتاب الأخبار" مع اختلافٍ يسير إذ يوردها، فيقول:

لَعَمْري لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بأَكْنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

يجرُّون كلَّ طويلِ الكُعُو بِ[9]معتدلِ النَّصل[10] والثعلب[11]

بكلّ فتى واضحِ وَجهه كريم الضرائب و المَنصِب[12]

---

(1) الدّينوري ، أحمد بن داوُدَ ، الأخبار الطوال (القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 ، 1330هـ) ص 301.

(2) أصحرت :أي برزت بنا في الصحراء، وتجاوزناها لمقاتلة مصعب.

(3) أكناف: جمع ومفرده،"كنف" ناحية الشيء.

(4) سبق تحديده، انظر :ص59.

(5) هكذا في الديوان. و أُثبتت "رَيْـــــقٍ" ، انظر : العاملي ،عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة، ص35، البركاتي ، ديوان عديّ بن الرّقاع ، ص46، والربو: المكان المشرف.

(6) مُعْلِمُ : فارسه قد أَعْلَمَ نَفْسَهُ بعلامة ليُعرَف.

(7) يصَرِّف: يصدر صوتاً.

(8) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ، ص 232.

(9) الكعوب ، جمع كعب، وكعب القناة هو: أنبوبها، و ما بين كل عُـقْـدَتَين منها كعب، وكل شيء علا وارتفع ، فهو كعب.

(10) النَّصل : حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف مالم يكن مَـقْـبِـض.

(11) الثعلب : طرف الرُّمح الداخِـلُ في جُـبَّـة السِّنان.

(12) الدّينوري ، الأخبار الطوال، ص 301.

ففي المقطع السابق يطلق عديّ صرخة الفرح والسرور بالانتصار الذي حققه الخليفة، ولم يغفل قوة الجيش، وما أبرزه من شجاعة، في مقابلة الأعداء.

فالشاعر يوظّف حاسة السمع في ذلك المشهد؛ لأن صوت الحماسة الذي يدويّ في المعركة، ويصدره الفرسان، أصبح عالقاً في مسمعه، ومخيلتـه، فيربط بين ذلك، وهدير الجمل الأجرب، ويبدو أنّه اختار كلمة "أجرب" لشدة هديره، فالشاعر هنا وظّف حاسة لسمع، التي تنقلنا إلى جو المعركة، وأسمعتنا بعض ما يمكن أنّ نسمعه، والمشهد الحركي ممزوج بالصوت الصاخب، يشكل إطاراً جميلاً لمكان المعركة، والشاعر في وصفه للحرب "تفخّم العبارات ،تُهوّل الأوصاف، ويحسن الاطّراد في اقتصاص ما وقع"[1].

وفي السياق نفسه نجده يبين حجم ذلك الجيش العظيم وقوتـه، فمن كثرة عدده قليلاً ما يُـفقد منه، فيقول :

إذا ما مُنافِقُ أَهْلِ العرا ق عُـوتِبَ (يَوْمـاً)[2]فـلـمْ يُـعْـتِبِ

دلَـفْـنـا[3] إلـيـه بـذي تُـــــذْرٍ [4] قليلِ التَّـفَـقُـــدِ لـلـغُـيَّبِ[5]

فهو يبين من خلال الأبيتين السابقين، تصويره لسبب النصر، الذي ناله الخليفة، وهي نتيجة طبيعية، بالنظر لهذا الجيش العظيم العدد و العتاد، وقليل التفقد، ويخلع على مصعب عدة صفات، ومنها أنّه منافق، فالشاعر هنا يبرز حجم جيش الخليفة، " قليل التفقد"، بما يدل على كثرة ذلك الجيش، وما يبيّن قوة الممدوح، فالشاعر يظهر مكانته السياسية، وقدرته على القتال.

وفي المقابل نجد صفات الخليفة، ومنها : واضح الوجه، كريم النسب و الأصل، أبيض يضيء بنوره ، فتنجلي الشدة عن الناس، فيقول:

---

(1) القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 275.

(2) هكذا في الديوان. وأُثبتت "ثـمّـت"، انظر: البركاتي، ديوان عديّ بن الرِّقاع،ص46، العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً و عيني امرأة،ص35.

(3) دلفنا: دلف يدلف دلفاً، إذا مشى وقارب الخطو.

(4) هكذا في الديوان. وأثبتها الركاتي بـ"تُذرا"، انظر: البركاتي، ديوان عدي بن الرقاع،ص47.، وأثبتها العاملي بـ" تَـذْراءٍ"، انظر: العاملي، عدي بن الرقاع أفضل من وصف ظبياً وغيني امرأة،ص35. والرسم الأخير خطأ. ومعنى(بذي تدرأ): يعني بذي جيش ذي دفعٍ، وهو من درأته، أي: دفعته.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 233.

يُقَوِّمُنا واضِحٌ وَجْهُهُ كريمُ المَضاربِ [1]والمَنْصِبِ(2)

أَغَرُّ[3]يُضِيءُ لنا نُورُهُ إذا ما انْجَلَتْ غَمْرَةٌ[4]المَوْكِبِ(5)

فالشاعر وظّف المكان "المضارب"، وجعله كريماً، وخلع عليه جملةً من الصفات، التي تكسبه رفعةً وعزاً، و "المضارب" كذلك اسم مكان، وكذلك "المنصب" بكونه المكان الذي ينصب عليه القدر، بل إنّ الإشارة إلى وجه الخليفة، إشارة إلى الخير المصاحب له، والمقرون بوجوده، في المكان، فيتضح هذا أكثر بذكره "الموكب"، وهو يسير في المكان.

ولقد كان لأحدى الانتصارات التي حققها، وحاز عليها الخليفة بكل جدارة في أحد الثغور، صدى في نفس الشاعر طرب لها وجدانه، وتناغمت له حروفه، فقال في ذلك الجيش:

أَجدَّ أبوحَفْصٍ بنا السّيرَ و ارتمت بنا الأرضُ حتى ما تُعَدُّ المسائِر

فسار بعُظْمِ الجيشِ ليسَ يروعُهُ مَضِيقٌ ولا نَهْرٌ من الماءِ غامِرُ

إذا ما هبطنا بلدةً غَصَّ فَرْجُها بنا وكَسَا الأحدابَ(6) أَصْهَبُ ثائِرُ (7)

فنلمح مع الفعل المستعار "غصَّ" تشخيصاً للأرض، فقد مثُلت، و وظَّف الفعل " كسا " ليظهر لنا شمولية ذلك الغبار و إحاطته بكل ما هو حوله من تلال وهضاب.

فنلحظ الجانب السياسي في عبارته "فسار بجيش عظيم"، ومن عظمته فـ "لا يروعه" "مضيق"، "ولا نهر"، ومن عظمته كذلك، يملأ الأماكن التي يحل بها "بلدة"، فالجيش في نظر الشاعر جيش عظيم، ودفعه لذلك الوصف حبُّه لأبي حفص؛ ليخوضوا المعارك مع الأعداء.

ومن المعارك التي ذكرها عديّ معركة المرج، فقد قال :

---

(1) هكذا في الديوان. وأثبت العاملي " الضرائب"،انظر: العاملي، عديّ بن الرِّقاع أفضل من وصف ظبياً وعيني امرأة،ص36.، ومعنى المضارب: مضارب القوم ، أي: الأماكن التي يقطنها.

(2) المنصب: هُوَ مَا يُنْصبُ عَلَيْهِ القِدْرُ نَصْباً، إذا كَانَ من حَدِيد، انظر: الزبيدي، تاج العروس، (نصب).

(3) الأغر: الأبيض الوضاح.

(4) الغمرة: الشدة التي تغمر الناس، وينغمسون فيها.

(5) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص249. والموكب: الجماعة من الناس ركباناً ومشاة.

(6) الأحداب : جمع حَدَبٌ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(7) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص198. الأصهب : الغبار.

لولا الإلهُ وأَهْلُ الأُرْدُنِّ اقتسمتْ نارُ الجَماعةِ يومَ المَرْجِ نِيرانا

كانوا زُواراً [1] لأهْلِ الشّامِ قَدْ عَلِمُوا لمَّا رَأَوْا فِيهِمُ جَوْراً وأَضْغانا [2]

فالشاعر يوثق موقفاً تاريخياً مشرفاً –كما يرى – فيُبيّن هنا موقف أهل الأردن، وثباتهم يوم المرج ـ مرج راهط سنة(13هـ)، وما فعلوه، وأنّ لهم الفضل بعد الله في الوقوف سداً منيعاً في وجه العدو، فما قاموا به يُعدّ عملاً جبّاراً في إخماد نار الحرب، وتوحيد صفوف المسلمين، وتجنيبهم الفرقة و الانقسام. لقد اتخذ الشاعر من "النار"في قوله:" اقتسمت نار الجماعة، يوم المرج نيرانا"، مادته التعبيرية، للدلالة على حال الأمة التي كادت تتفرق بعد وحدتها، واجتماعها حول الأمويين، وركز الشاعر على "نار" والتي يرمز بها إلى الفتنة وكيف تحولت إلى "نيرانا" تلتهم الأخضر واليابس، وما تحتوي عليه من شر، وركز كذلك على دور "أهل الأردُنّ" وموقفهم الشجاع في مناصرتهم لأهل الشام.

فالشاعر يشير إلى الجهود التي قاموا بها، ويؤيدهم، و ذكر مروان، وابنه عبد الملك، عرضاً مبيناً بذلك موقفه الثابت من بني أمية ـ مؤسّسي هذه الدولة ـ ،والذين يقول فيهم:

فَبَيَّضَ اللهُ يَومَ المَرجِ أَوجُهَهُم بِنَصرِهِ وَبِسَيفِ اللهِ مَروانا

وَبِابنِهِ بَعدَهُ عَبدُ المَليكِ فَقَد زادوا ذَوي عَقلِنا شُكراً وَإيمانا

ثُمَّ اصطَفى اللهُ لِلإسلامِ بَعْدَهُما وَاختارَ مِنّا الّذي يَرْضى وَأرضنا(3)

فالتركيز على ناحيتين ـ كعادته ـ نصر الإسلام، والتثبيت من الله.

ومن المعارك التي أوردها عديّ، قوله:

وكان أمْرُكَ في أهْلِ الطُّوانَةِ مِن نصرِ الذي فَوْقَنا واللهُ أعطانا

أَمْراً شَددْتَ بإذْنِ اللهِ عُقْدَتَهُ فزادَ في دِينِنا[4] خَيراً و دُنيانا [5]

---

(1) هكذا في الديوان بضم الزاء، وأُثبتت بكسر الزاء "زِواراً "، وفتح الواو، والزِوار: كُلُّ شيْءٍ كَانَ صَلاحاً لشَيْءٍ وعِصْمَةً، يريد أنهم كانوا صلاحاً وعصمةً لأهل الشام، كزِوار الدابة. انظر: الأزهري ، تهذيب اللغة، ج13،ص239 ، الزبيدي ، التاج ، (زور).

(2) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص170. هكذا في الديوان، أُثبت "طُغياناً"، انظر: الأزهري، تهذيب اللغة،ج13،ص239، الزبيدي ، التاج ، "زور. ضغن: الضغِن: الضَّغَنُ: الحِقْد، والجمع أَضْغانٌ. والطغيان : الظلم.

(3) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص171

(4) هكذا في الديوان بكسر الدال. وأثبته العاملي بفتح الدال:"دَيْنِنا"،انظر: العاملي، عديّ بن الرّقاع أفضل من وصف بياً وعيني امرأة،ص112، ورواية الديوان هي المناسبة وذلك؛ لأن ما يقابل "الدُنيا" هو "الآخرة".

(5) ابن الرّقاع، ديوان عديّ، ص 174.

لقد اتخذ عديّ من الحبل مادة خصبة، واستمدها في صوره؛ لدلالة على عزم الخليفة وحزمه، وصرامته، فهو حازم في الأمور، فقد صور شدة عزيمة الخليفة في أمره الذي أدى به إلى تحقيق النصر على الروم في إحدى الثغور متخذاً شدة عقد الحبل رمزاً للقوة و المنعة. وفي سياق آخر نجد صورة عقد الحبل تؤدي دلالة العهد و الميثاق، فيقول مُشِيداً بعزّ جار قوم الممدوح ومنعته، وحمايته وحفظ حق الجوار ، فيقول :

وجـــارُهُـــمُ أَعـــزُّ مـــن الـــثُّرَيَّا إذا عَـقَـدُوا لـجـارهـم الـحِـبالا [1]

فالجار ـ سواء بالمفهوم الجاهلي، أو حتى الإسلامي ـ يعني الرباط والتلازم، فها هو الخليفة يعز الجار، ويجعله عزيزاً، وهنا ثنائية التضادّ، فالجار على الأرض، و الثّريّا في السماء، فجارهم أعز من الثريا، وهو ما يفيد بأنّ ذلك الجار ممنوع من الضيم، فهو أبعد عِزّاً من "الثريا" التي لا يوصل إليها؛ لأنهم متصلون بتلك الحبال.

ويتبين من ذلك أن سبب وفائه لبني أمية، ودفاعه عنهم، والتفاني في الذود عنهم، يعود لحب ذاتِي لهم، وللمكانة التي حظي بها عند خلفاء بني أمية، فكان شاعرهم، والناطق الرّسمي باسمهم.

ولم يكن عديّ بن الرِّقاع يطلب منفعة كغيره من الشعراء خارج حسّه الشخصي ذلك ما يبرز جلياً في ديوانه في مدحه عمر بن الوليد، وهو صاحب النصيب الأكبر من المدح بعد والده الوليد بن عبد الملك، وإنْ جاء في مدحه عمر بن الوليد فيه شيء من التصريح بطلب العطاء، كما جاء في قوله:

أَتَيْتُكَ ثُمَّ عُدْتُ فَعُدْ بخَيْرٍ وخـــيـــرُ الخَـــيْـــرِ مـــــا يُجْزَى عِلالا(2)

فَصَدِّقْ مَدحَتي وأَجِزْ كَرِيماً إذا مـــا عَـــــفَّ عَـــنْ بَـلَدٍ أَطـالا(3)

وفي مدحه للوليد بن عبد الملك وصفه الشاعر عديّ بن الرّقاع بأنَّه فتى قريش، وفتى البأس، وفتى الناس، وفي أبياتٍ لمدحه للوليد يصفه بأنّه فتى البرية، وذلك تعظيماً لقدره وشأنه، ومن هذه الأبيات في ديوانه يقول عديّ:

لَقَد مَدَحتُ رِجالاً صالحِينَ فَأَمّا أَنْ يَـنـالـوا كَـمـا نالَ الـوَليدُ فَلا

هُوَ الفَتى كُلُّهُ(4)مَجْداً وَمَكرَمَةً وَكُـلُّ أَخـلاقِهِ الخَيْراتِ(1) قَد كَمَلا(2)

---

(1) المرجع السابق، ص 114. الحبل: العهد والذمة.

(2) العلل : الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.

(3) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص114.

(4) كل الفتى أراد أنَّه كامل.

فَتى الرَّبِيَّةِ(3) يَسْتَسْقي الغَمامُ بِهِ كَالبَدرِ وافَقَ نِصْفَ الشَهرِ فَاعْتَدَلا

يَدعو إِلَيهِ بُغاةُ الخَيرِ نائِلهُ إِذا تَجَهَّزَ مِنهُ نائِلٌ قَفَلا

فَجَئتُهُ أَبتَغي ما يَطلُبونَ وَما الـ مُستَورِدُ البَحر كَالمُستَورِدِ(4) الوَشَلا(5)

غَيثٌ خَصيبٌ(6) وَعِزٌّ يُستغَاثُ به إِذا أَتاهُ طَرِيدٌ خائِفٌ وَألا(7)

ففي هذه الأبيات زاد عديّ على الصور المألوفة في تشبيهه لممدوحه، بأنّه شبهه بالبدر في نصف الشهر، أي في ليلة تمامه، إذ يكون البدر في ليلة التمام أكمل وأجمل، يكتمل حجمه، وتعتدل صورته، وتشبيهه بالبدر أبلغ في الوضاءة والضياء والجمال، و أنّه واضح لمن يقصده وغير محجوب، وبعد ذلك أكد على أن الممدوح صاحب عطاء مستمر، وذلك لشهرته، كأنَّه يدعو الناس إليه، فكان الشاعر فيمن لبى تلك الدعوة، فجاء مع من جاء يبتغي ما يبتغيه الناس، وسيرد البحر وهو الممدوح، و سيرد الغيث ويجد عنده الأمان والعز.

ولا يفتر عديّ في مدح جيش الممدوح ، وبيان ضخامته، وقوته، ومن ذلك قوله :

وإذا رأى نارَ العَدُوِّ تَضَرَّمَتْ سامَي جماعَةَ أَهْلِها فاكتادَها (8)

بعَرَمْرَمٍ(9) يئِدُ(1) الروابي(2) ذي وَغىً(3) كالحَرَّةِ(4) احتملَ الضُّحى أَطْوادَها(5)

---

(1) هكذا في الديوان"الخيْراتِ" بسكون الياء جمع "خير"، صفة لـ" أخلاقه".

(2) يقال: كَمَلَ يَكمُل و كَمِل يَكْمَلُ.

(3) الرَّبيّة ما ارتفع من الأرض.

(4) المستورد: الذي يطلب ورود الماء، انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص 292.

(5) الوشل : بالتحريك: الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتَّصِلُ قطره، وقيل : هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً والجمع أوشال.

(6) خصيب: كثير النبات والعشب كثير الخير.

(7) ابن الرِّقاع، ديوان عديّ ، ص 79 ــ 80 . وألا : أي نجا.

(8) هكذا في الديوان. وأثبت البركاتي " اقتادها ، انظر : البركاتي، ديوان عديّ بن الرِّقاع ، ص54.

(9) العرمرم : الكثير الشديد.

أطفأت نِيرانَ العدوِ وأوقِدَتْ نارٌ قَـدَحْـتَ بـراحَتَيْكَ زِنادَها (6)

فعديّ يجنح إلى الطبيعة؛ ليبيّن حجم ذلك الجيش العظيم ، فينقل لنا صورة نعايشها معه، ونستطيع أنْ نتصور حجم ذلك الجيش العظيم، والذي طمر كل شيء ، وغمر كل شيء، فمن خلال المنظر الذي جعلنا نُعايشه، بما يحدثه ذلك الجيش "العرمرم" من تغطيته لتلك الأماكن "الراوبي"، نستشعر عظمة ذلك الجيش ، وشدته ، وكثرة عدده وعتاده.

وكان شعر عديّ في خلفاء بني أمية وبطولاتهم وانتصاراتهم يمثل الوجه المشرق لتاريخ الدولة الأموية، وقد آثر الولاء لبني أمية في شعره، ووقف في ديوانه على مدحهم، وذكر أمجادهم، وفي هذا دليل على ولائه للأمويين، وقد وجد في بيت الخلافة الأموية الأمجاد العربية والكرم والشجاعة ، جميع مكارم الأخلاق، فكان ذلك مجالاً خصباً لشاعريته وإظهار ولاءه ووفائه لخلفاء بني أمية ؛ لذلك كان هواه معهم، يمدح أحيائهم ويرثي موتاهم، ويظهر عديّ بن الرقاع في شعره ،ولا سيما في خواتم قصائده تلخيصاً لمذهبه السياسي، وثباته على المذهب والترويج له، فقد كان هدفه فوق إظهار مكانة الخليفة إيصال هذه المكانة ونشر حب الخليفة بين الرعية، ودعوتهم للالتفاف حوله، وفي ذلك يقول عديّ:

فَسَـوْفَ يَنـالُكَ ممَّا أقولُ حَـمْدٌ (يـسـيـرٌ) [7]**ويُـسْـتَـطْـرفُ**[8]

ويقول كذلك:

فهذا ثنائي صادقاً غيرَ كاذِبٍ عليهم ومَنْ لَمْ يقضِ بالحَقِ يَنْدَمِ[9]

---

(1) يئد: يغمزها بالوطء الشديد كأنّه يئدها.

(2) الروابي : جمع رابية، أي : ما ارتفع من الأرض.

(3) الوغى : الوغى الأصوات في الحرب.

(4) الحرة : الأرض التي ألبستها حجارة وصخور سود.

(5) احتمل الضحى أطوادها: أي : رفع الضحى إذا كان فيه السراب حيالها، فإذا رآها الناظر، يقدّر أنَّها قد عظمت.

(6) ابن الرِقاع، ديوان عديّ ، ص94.

(7) ضُبط في الديوان ، بـ" تنوين الرفع"" يسيرٌ" وفيه قلب للمدح إلى هجاء ، والصواب هو " يسيرُ"، بالضم (فعل مضارع).

(8) ابن الرِقاع، ديوان عديّ، ص 214.

(9) المرجع السابق، ص 135.

ومن قراءة البيتين السابقين نرى أنه يقوم بدور الناشر والباحث الذي يتمسك بالمحافظة على الحضارة الإسلامية المتمثلة في دولة الخلافة الأموية، ويدعو إلى الإحساس بالعروبة، وإلى الإحسان في مخاطبة الخلفاء، وحسن إتباعهم ؛كون ذلك يؤدي للحفاظ على ديمومة الدولة، وتماسكها ووحدة صفها.

لقد ظهر لنا البعد السياسي للمكان في شعر ابن الرِّقاع في ولائه، وطاعته لأهل الحكم، وأصحاب السلطة والخلافة، وعلى وفق هذه الرؤية العميقة للمكان ذي البعد السياسي نجد أنَّ الشاعر قد أظهر فيه الانتماء، والولاء في شعره لبني أمية، خليفةً في إثر خليفةٍ، وبين الوقائع والمعارك التي خاضها خلفاء بنو أمية، وانتصروا فيها.

وقد عبَّر عن ذلك بصدق الإحساس والمشاعر، فلم يترك تلك الأحداث تمر دون القول فيها، فقد عايش عديّ بن الرِّقاع الحياة السياسية في ظل الدولة الأموية، في الوقت الذي بايع فيه المسلمون معاوية بن أبي سفيان أميراً عليهم، وذلك في الحادي والأربعين للهجرة، بعد أنْ قامت الدولة الأموية رسمياً، فأصبح معاوية ـ رضي الله عنه ـ خليفة للأمة، وغدت دمشق حاضرة الدولة الإسلامية، بعد نقل مقر الخلافة لها، وكان شعر عديّ بن الرِّقاع في خلفاء بني أمية وبطولاتهم، وانتصاراتهم يمثل الوجه المشرق لتاريخ الدولة الأموية الذي طالما اعتراه التشويه، والاختلاف، والكذب على الخلفاء، وقد تمسَّك ابن الرِّقاع بالولاء لبني أمية في شعره، ووقف ديوانه على مديحهم، وفي هذا دليل على وفائه لهم، فقد وجد في بيت الخلافة الأموية الأصالة العربية، والندى والسخاء، وسن السياسة، فكان ذلك مجالاً خصباً لشاعريته، وإظهار ولائه، ووفائه للأمويين؛ لذلك كان هواه معهم، يمدح أحيائهم، ويرثي موتاهم.

ويُظْهِر ابن الرِّقاع في شعره، ولا سيما في خواتيم قصائده تلخيصاً لمذهبهم السياسي، وثباتهم على ذلك المذهب والترويج له، فقد كان هدفه فوق إظهار مكانة الخليفة إيصال هذه المكانة، ونشر حب الخليفة بين الرعية، ودعوتهم للالتفاف حوله، وحثهم على وحدة الصف، والترابط، فقد كان بنو أمية حُماة الإسلام ومؤسّسي قواعده في خلافتهم، وهذا ما كان يدافع عنه عديٌّ بن الرِّقاع على الوقوف في صفهم، والدفاع عنهم.

الفصل الثالث

النتائج

7- اكد الشاعر ان للبعد الوجداني أثر كبير في كيانه ، لذلك يحاول إبرازه في شعره وفي تعاملاته مع من حوله ، اذ يذكر في قصائده كل الاثار وكل ما يشعر به في الاماكن من حياة او فرح او حزن.

8- ان البعد الوجداني عند الشاعر لا يكون فقط في البعد الرومانسي أو الغزلي وانما يكو فيما يملكه من أشياء وبيوت وأنعام وكل ما يحيط به .

9- يعمد الشاعر عدي الى توظيف التضاد والتشبيه والحركة الى حد يجعل المتلقي يتخيل الموقف مما يضفي على الابيات حيوية واستمرار.

10- وظف الشاعر الكثير من الكلمات المدحية والتشبيه والصور البلاغية التي تؤكد على البعد الانتمائي للمكان الذي يعيش فيه .

11- اضفى الشاعر عدي بن رقاع البعد السياسي للمكان في شعره معبرا عن ذلك بصدق الاحساس والمشاعر.

12- كان عدي بن الرقاع في اغلب قصائده يلعب دور الباحث والناشر الذي يتمسك بالحضارة الاسلامية والاحساس بالعروبة.

الاستنتاجات

4- أن الاعمال الفنية عادة تنبثق من أشخاص وأناس واجهوا الخطر و وصلوا الى النهاية القصوى للتجربة ، وصول الى نقطة لا يستطيع أي كائن بشري أن يتجاوزها

5- كثيرا ما يلجأ الشعراء ف تشخيصهم للأماكن الى الباسها صفة من صفات البشر لتقديم صورة حسية بصرية

6- أن جمالية الصمت هي أبلغ لغة تجعل الانسان أكثر قدرة على الادراك والاحساس بالجمال والعيش بقوة في المكان.

المصادر والمراجع

7- القرطاجنّي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 341.

8- معجم لسان العرب لابن منظور http://wiki.dorar.aliraq.net

9- حسن مجيد العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، (العراق : دار الشوؤن الثقافية العلمية بوزارة الثقافة)، 1987 ،ص28

10- الملا، أسامة محمد، أثر المكان في تشكيل الرواية السعودية لدى جيل الرواد من الفترة 1349هـ إلى1380هـ (الهفوف: جامعة الملك فيصل، رسالة ماجستير،1419هـ ( ) إسماعيل، محمد السيد ، بناء " فضاء المكان" في القصة العربية القصيرة (الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام ،ط1 ، 2003م) ص12.

11- الأزرعي، سليمان ، البحث عن وطن (عمان: الإمارة ، د.ط، 1426هـ ــ 2005

12- - الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، ديون امرؤ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي(بيروت : دار المعرفة،ط2 ،1425هـ ـ2004م) ص68.م) ص40.

7- النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي (القاهرة :طبعة مكتبة الخانجي، ط1 ، 1949م)

8- باشلار، جماليات المكان ، ص189.

10-النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية (الأردن : دار الفارس، د.ط ، 1994م) ص 83.

13 - باقازي، عبد الله أحمد، عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ (الطائف: نادي الطائف الأدبي ،د .ط، 1992م) ص 117.

14 - المنصوري، شاعرية المكان، ص 16.

15 - ملحم، إبراهيم أحمد، شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة(إربد: دار عالم الكتب الحديثة ،د .ط، 20011م) ص51.

13- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيْد طرَاد (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1412هـ ـ 1992م) ص 158 ـ159.

14- المرسي زيد، مأمون السيد عبد العزيز شعر عدي بن الرقاع، دراسة فنية (مصر: كلية الآداب، جامعة المنصورة ، رسالة ماجتسير،1996م) ص 127.

15-عليمات ، يوسف ، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر القديم (إربد : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،ط1 ، 1430هـ ، 2009م) ص 171.

16- المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117.

17- الفاخوري ، حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) (بيروت: دار الجيل ، ط1 ، 1986م) ص 462.

18- العقاد، عباس محمود، و المازني، إبراهيم عبد القادر، الديوان في الأدب والنقد (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ط4، 1417هـ ـ1997م) ص 13.

19- المرزباني ، معجم الشعراء ، ص 117، بابتي ، عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998م) ص283.

20- الدّينورِي ، أحمد بن داوُدَ ، الأخبار الطوال (القاهرة: مطبعة السعادة، ط1 ، 1330هـ) ص 301.

الوسائلُ التكميليَّة لتعويض المخاطر الطبيَّة

الوسائلُ التكميليَّة لتعويض المخاطر الطبيَّة

2- م.د كرار ماهر كاظم / كلية الكوت الجامعة الاهلية- قسم القانون.
Karar.maher@alkutcollege.edu.iq
3- م.م أوس طارق عبود / كلية الكوت الجامعة الاهلية- قسم القانون.
aws.tareq@alkutcollege.edu.iq
4- م.م محمد احمد شطب/ كلية الكوت الجامعة الاهلية- قسم القانون.
mohammed.a.shatob@alkutcollege.edu.iq

الملخص:

صناديق الضمان: عبارة عن أجهزة، غالبًا ما تتمتَّعُ بالشخصيَّة الاعتباريَّة، تأخذ على عاتقها تعويضَ بعض أنواع الأضرار، ثم يمارس الرجوع على المسئول عن الضرر إذا كان معروفًا، ويمكن أنْ تُمَوَّلَ صناديق الضَّمان من أموال الميزانيَّة العامَّة للدولة، وهذا هو الغالب من اشتراكات بعض عقود التأمين.

ويُمَثِّلُ نظام الصندوق الخطوةَ الأخيرةَ في تعويض الحوادث الطبيَّة، وتأتي قبله خطوتان، هما: إصلاح قواعد المسئوليَّة المدنيَّة باعتناق مسئوليَّةٍ موضوعيَّةٍ، وخطوة إبرام التأمين من المسئوليَّة الطبيَّة، وآخر خطوةٍ هي التي يُمَثِّلُهَا نظام الصندوق ويبرزُ كدورٍ تكميليٍّ في تعويض المضرور الذي لم يحصلْ على حقِّه من شركة التأمين.

الكلمات المفتاحية: الضمان،التعويض، المخاطر الطبية، صندوق الضمان.

Complementary means to offset medical risks

Karrar Maher Kazem / Kut University College

Eligibility- Law Department. Karar.maher@alkutcollege.edu.iq

Aws Tariq Abboud / Al-Kut University College-

Eligibility- Law Department. aws.tareq@alkutcollege.edu.iq

mohammd ahmad shatb/ Al- Kut University College

Eligibility- Law Department. mohammed.a.shatob@alkutcollege.edu.iq

Summary:

Guarantee funds: They are devices, often with a legal personality, that take upon themselves the compensation of some types of damages, and then exercise recourse against the person responsible for the damage if it is known. Insurance.

The fund's system represents the last step in compensation for medical accidents, and two steps come before it: reforming the rules of civil liability by embracing objective liability, and the step of concluding insurance from medical liability, and the last step is represented by the fund's system and emerges as a role for the injured person who did not obtain a supplementary right in compensation Insurance company.

Keywords: guarantee, compensation, medical risks, guarantee fund.

مقدِّمة

أولاً: موضوع البحث

يترتَّبُ على مُزاولة مهنة الطب في ظلِّ تطوُّر وسائل التكنولوجيا الطبيَّة، سرعة إنجاز العلاجات الطبيَّة والتدخُّل العاجل الذي قد يكون على حساب عدم الدقَّة في بعض الأحيان في تنفيذ هذه الإعمال الطبيَّة، وذلك باستخدام موادَّ طبيَّةٍ ذات مُواصفاتٍ غير مُطابقةٍ أو رديئة النوعيَّة، فضلاً عمَّا تُسببه الأخطاء في إجراء الجراحات الطبيَّة أو الإهمال في المُتابعة والإشراف عند تلقِّي العلاج الطبيّ عقب التدخُّلِ الجراحيّ، ممَّا قد يؤدِّي إلى وقوع أضرارٍ بالمرضى، وعندئذٍ يترتَّب على ذلك أضرارٌ جسيمةٌ، قد لا يمكن حصرُها، فضلاً عن إتلاف الأموال وفقدان الاطمئنان.

وبما أنَّ المسئوليَّة المدنيَّة الطبيَّة صورةٌ من صور المسئوليَّة المدنيَّة بوجهٍ عامٍّ، فهي لا تنهضُ إلاَّ إذا توافرت لها ثلاثةُ أركان، هي: خطأٌ يقع من الطبيب، وضررٌ يلحق بشخصٍ يؤدِّي إلى الوفاة أو الإصابة بأذًى، وعلاقة السببيَّة بين الخطأ وحدوث الضرر، وفي المسئوليَّة المدنيَّة الطبيَّة يكون الطبيبُ هو محور ركن الخطأ، ويدور الخطأُ وجودًا وعدمًا مع وجود الطبيب المُعالج.

ولمَّا كان التعويضُ عن هذه الأضرار يُشَكِّلُ عبئًا ماليًّا كبيرًا ينوء به كاهلُ مَن نهضت مسئوليته المدنيَّة عن القيام بهذه الإعمال الطبيَّة؛ كان لا بدَّ من إيجاد وسيلةٍ للاحتياط من المسئوليَّة المدنيَّة تضمن حماية المضرور، وتمكينه من الحصول على تعويضٍ مُناسبٍ وسريع، وحماية المسئول عن الإعمال الطبيَّة من خلال تمكينه من القيام بعمله دون خوف قد يتعرض له من خلال مُطالبة المتضرِّر له بالتعويض، ومن ثمَّ تشجيعه على البحث والابتكار واستخدام الأساليب الحديثة في العمليات الطبيَّة، وإزاء ذلك كانَ التأمينُ من المسئوليَّة بمثابة وسيلةِ احتياطٍ من المسئوليَّة لتحقيق هذا الغرض، وعلى هذا الأساس تدخَّلَ المشرِّعُ في العديد من الدول لتوفير هذه الحماية، وذلك بفرضه تأمينًا إلزاميًّا يُغَطِّي المسئوليَّة المدنيَّة في مجال الإعمال الطبيَّة.

ومن مزايا نظام التأمين من المسئوليَّة أنه يمكِّنُ المضرور من الحصول على حقِّه في التعويض سواء من المسئول (الطبيب) أم شركة التأمين من دون الحاجة للدخول في إجراءاتٍ قضائيَّةٍ تحتاج لنفقاتٍ ووقتٍ طويل، إلاَّ أنَّ آليَّة حصول المضرور على تعويضه من شركة التأمين لا تكفي لتغطية التعويض في بعض الأحيان، كحالة حصول أمراضٍ بشكلِ كوارث، لذلك نشأت صناديقُ الضمان كوسائلَ تكميليَّةٍ

للتعويض، ولعلَّ أهمَّها على الإطلاق التجربة الفرنسيَّة في صندوق الضمان لضحايا الإيدز الذي أنشأه القانون الصَّادر في 31 ديسمبر سنة 1991.

ثانيًا: أهميَّة البحث

نحاول من خلال هذا البحث أنْ نعرضَ للحلِّ الواجب توفيره لحماية من يُسهم في الإعمال الطبيَّة، والذي قد تنهضُ مسئوليته المدنيَّة، وتتمُّ مُطالبته من قبل المضرور بالتعويض في الوقت الذي قد لا تكون لديه القدرةُ الماليَّةُ لأداء هذه التعويضات، وبالتالي تعذّر حصول المضرور على حقِّه بشكلٍ عادلٍ.

وعلى الرغم من أهميَّة الموضوع فإنه لم يَحْظَ بتنظيمٍ تشريعيٍّ من قبل المشرِّعَيْنِ العراقيّ والمصريّ، حيث يُشَكِّلُ هذا الموضوعُ فراغًا وثغرةً تُحسب عليهم يجبُ تجاوُزها، ولهذا السبب لم يَحْظَ هذا الموضوعُ بمكانةٍ مُتَخَصِّصَةٍ على صعيد الفقه العراقيّ والمصريّ.

ثالثًا: إشكاليَّة البحث

لقد واجهت المسئوليَّةُ المدنيَّةُ في المجال الطبيّ مشكلةَ تحقيق التوازُنِ بين اعتبارَيْنِ مُختلفين؛ الأول هو حماية المريض ممَّا قد يصدرُ عن الأطبَّاء من أخطاء قد تكون لها آثارٌ سيئةٌ من جهة، ومن جهةٍ أخرى ضمان توفير العناية الطبيَّة اللازمة، وذلك من خلال تأكيد مسئوليَّة الأطبَّاء المدنيَّة، والتأكيد على سلامة المريض الجسديَّة وشفائه، كونه هدفًا أساسًا للتدخُّل الطبيّ، أمَّا الاعتبار الثاني فهو توفير الحماية اللازمة للأطبَّاء المُمارسين للإعمال الطبيَّة؛ من أجل مُعالجة مرضاهم دون خوفٍ من تحمُّلهم المسئوليَّة المدنيَّة الطبيَّة بعد إصابة المريض بالضرر.

وبناءً عليه، فيمكن التوفيقُ بين هذين الاعتبارين المُختلفين؛ من أجل إقامة التوازُن في توفير الحمايتين المذكورتين، وذلك من خلال الوسيلة المُثلى لذلك، ألا وهي الأنظمة المُكملة في تعويض المخاطر الطبية، مثل: صناديق الضمان، والتعويض عن طريق الدولة كي تتضافرَ كلُّ هذه الوسائل لتوفير حمايةٍ فعليَّةٍ للمريض وللطبيب على حدٍّ سواء.

خامسًا: منهج البحث

حاولنا مُعالجة الموضوع محلَّ هذه الدِّراسة من خلال الأخذ بمنهجَيْنِ رئيسَيْنِ: التحليليّ والمُقارن.

أمَّا عن **المنهج التحليليّ** فقد قمنا بعمليَّة استقراء كاملةٍ للنصوص القانونيَّة الفرنسيَّة والعراقيَّة والمصريَّة المُرتبطة بموضوع البحث، كذلك قمنا باستقراء الأحكام القضائيَّة في الدول الثلاث محل البحث، ومن ثمَّ فقد انصبَّ التحليل عن النصوص القانونيَّة والأحكام القضائيَّة.

أمَّا **المنهجُ المقارن**ُ فقد التجأنا إليه لإجراء مقابلةٍ بين موقف كلٍّ من المشرِّع العراقيّ والتشريعات المُقارنة، خاصَّةً المشرِّعَيْنِ المصريَّ والفرنسيَّ فيما يتعلَّقُ بالضوابط المتعلِّقة بالوسائل المكملة لتعويض في مجال الإعمال الطبيَّة وفق ما تبلوره خطة الدِّراسة.

سادسًا: خطةالبحث

ونُقَسِّمُ موضوع الوسائل التكميلية لتعويض المخاطر الطبية إلى ثلاث مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: المبادئ العامَّة في صناديق الضمان.

المطلب الأول: ماهيَّة صناديق الضمان.

المطلب الثاني: صعوبات إنشاء صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة.

المطلب الثالث: أهميَّة صندوق الضمان.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقيَّة على صندوق الضمان الفرنسيّ لضحايا الإيدز.

المطلب الأول: أساس ونطاق تعويض صندوق ضحايا الإيدز.

المطلب الثاني: دور صندوق الضمان الفرنسي لضحايا الإيدز.

المطلب الثالث: آليَّة تنظيم عمل صندوق الضمان في دفع التعويض.

المبحث الثالث: التعويض عن طريق الدولة.

المطلب الأول: مدى التزام الدولة بالتعويض.

المطلب الثاني: مميِّزات التعويض عن طريق الدولة.

المبحث الأول

المبادئ العامَّة في صناديق الضمان

تمهيدٌ وتقسيمٌ:

سنحاول هنا أنْ نُلْقِيَ الضوء على فكرة صناديق الضمان بوجهٍ عامٍّ من حيث ماهيتها وعلاقتها بالمسئوليَّة المدنيَّة، كذلك فهي كفكرةٍ مستحدثةٍ يجبُ بيانُ مصادر تمويلها والرقابة عليها؛ لكي نضمنَ قيامَها بوظيفتها بفعالية، كذلك يجبُ بيانُ أهميَّة هذه الصناديق، وبذلك نحقِّقُ معرفةً متكاملةً بهذه الفكرة المستحدثة.

وعليه؛ سنتناول هذا المبحث في ثلاثة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: ماهيَّة صناديق الضمان.

المطلب الثاني: صعوبات إنشاء صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة.

المطلب الثالث: أهميَّة صندوق الضمان.

المطلب الأول

ماهيَّة صناديق الضمان

اتجه المشرِّعُ في العصر الحديث إلى إنشاء صناديق الضمان. وهذه الصناديقُ عبارة عن أجهزة، غالبًا ما تتمتَّعُ بالشخصيَّة الاعتباريَّة، تأخذ على عاتقها تعويضَ بعض أنواع الأضرار، ثم يمارس الرجوع على المسئول عن الضرر إذا كان معروفًا. ويمكن أنْ تُمَوَّلَ صناديق الضَّمان من أموال الميزانيَّة العامَّة للدولة، وهذا هو الغالب من اشتراكات بعض عقود التأمين.

وبعضُ هذه الصناديق لا تتدخَّلُ إلاَّ بشكلٍ احتياطيٍّ، مثل صناديق الضمان ضدَّ حوادث السيارات والصيد في فرنسا (المادَّة L.421-1 et s. من قانون التأمين ومرسوم 18 مارس 1998)، التي لا تتحمَّلُ تعويض الأضرار إلاَّ عندما يكون فاعلُ الضرر غيرَ معروفٍ أو غير مؤمّنٍ على مسئوليته أو عندما يعسر المؤمن. ومثل صناديق الضمان عن حوادث السَّيارات في مصر، الذي أنشأه القانون رقم 72 لسنة

2007، الذي لا يتدخَّلُ إلاَّ في أحوالٍ مُعَيَّنَةٍ، مثل عدم معرفة الفاعل أو عدم وجود تأمين أو إعسار شركة التأمين، وهكذا.

غير أنَّ غالبيَّة هذه الصناديق في فرنسا تتدخَّلُ بشكلٍ أساسٍ، مثل صندوق تعويض ضحايا الإصابة بفيروس الإيدز، وصندوق ضمان المضرورين من الأميانت أو الإسبستوس l'amiante، وصندوق ضمان ضحايا إعمال الإرهاب وغيره من الجرائم[1].

والواقع أنَّ الأخذ بنظام صناديق الضمان هو نظامٌ حديثٌ فرضته عدة عوامل، منها:

أولاً: أنه يعبِّر عن تطوُّرٍ حاصلٍ في النظم القانونيَّة نحو تعويض المضرور وضمان حصوله على هذا التعويض، بدلاً من إقرار مسئوليَّة المسئول دون التأكُّد من ضمان التعويض من عدمه.

ويأتي هذا الاتِّجاه كثمرةٍ لتحوُّل المسئوليَّة المدنيَّة من نظامٍ يهدفُ إلى تحقيق وظيفةٍ عقابيَّةٍ إلى نظامٍ يهدفُ إلى إقرار وتعظيم وظيفةٍ تعويضيَّة[2]، وربما وجد هذا التحوُّل سببه في تحوُّل وظيفة التأمين من المسئوليَّة، وهو الذي يُبرم بواسطة شخصٍ ضد مسئوليته، من نظامٍ يضمن المسئوليَّة إلى نظامٍ يكفل ضمان الحقِّ في التعويض[3].

ثانيًا: أنه نظامٌ يكفل بالفعل حصولَ المضرور أو ورثته على التعويض عن (الحوادث) ويُجَنِّبُهُ المشكلات العمليَّة، بل والمخاطر القانونيَّة لحصوله على هذا التعويض.

فمن المشكلات القانونيَّة مثلاً ضرورة إقامة المسئوليَّة وما يتعلَّقُ بها من صعوبةٍ في ذلك. صحيحٌ أنَّ أساس المسئوليَّة في بعض الحوادث (تهدم المباني – السيارات) تقوم على الخطأ المفترض، ولكن في بقيَّة الحوادث (الأخطاء الطبيَّة مثلاً) لا زالت قائمةً على أساس الخطأ واجب الإثبات، وحتى في مجال المسئوليَّة المفترضة أو الخطأ المفترض، يمكنُ لفاعل الضرر أنْ يُثْبِتَ انقطاع علاقة السببيَّة بين فعله والضرر الواقع، بما يجعلُ المضرورَ يتحمَّلُ العبء النهائيَّ للضرر.

---

(1) *C. VINEY, Traité de droit civil, Introduction à la responsabilité, 2e éd., LGDJ, Paris, 1995, no. 114 et s.*

(2) *Y. LAMBERT-FAIVRE, "L'évolution de la responsabilité civile d'une dette de responsabilité à une créance d'indemnisation", RTD civ., 1987, p. 1.*

(3) *محمود التلتي، النظريَّة العامَّة للالتزام بضمان سلامة الأشخاص، دون دار نشر، 1989، ص158 وما بعدها.*

فضلاً عن ذلك، ماذا يفعل المضرور في حالة عدم معرفة الفاعل أو يكون المبنى المنهدم أو السيارة مُحدثة الضرر غير مؤمَّن عليها ضد المسئوليَّة المدنيَّة؟

كما أنَّ من المشكلات العمليَّة تعمُّد شركات التأمين المُماطلة في دفع التعويض، وتستميت في هذا الأمر، ولا تدفعُ إلاَّ بعد الحصول على حكمٍ يلزمها بدفع التعويض.

ثالثًا: تقليل المُنازعات وتخفيف العبء على المحاكم، وخاصَّةً إذا كان التعويض التلقائيُّ كاملاً وكافيًا لكلِّ الأضرار التي تحدثُ للمضرور. وحتى لو كانت قيمةُ التعويض أقلَّ من الضرر فإنها تؤدِّي في كثير من الحالات إلى إحجام المضرورين عن مُتابعة التقاضي للحصول على مبالغَ أكبر، بما يعني الاكتفاء بالمبلغ المحدَّد قانونًا[1].

- **العلاقة بين صناديق الضمان ونظام المسئوليَّة:**

إنَّ أخذ التشريع بتعويض بعض طوائف المضرورين وفقًا لنظام صناديق الضمان يظلُّ أمرًا متميزًا عن التعويض وفقًا لنظام المسئوليَّة. ويرجعُ ذلك إلى أنَّ تعويض المضرور وفقًا لنظام الضمان لا يدخلُ في حالات المسئوليَّة؛ لأنَّ المسئوليَّة تعني تحديدَ مَنْ يكون "مسئولاً"، كما تعني التزام هذا المسئول "بالتعويض".

وفي المقابل لا نجد الدولةَ مسئولةً عندما تتدخَّلُ بنظام صناديق الضمان، وإنما هي فقط لا تريد أنْ تتركَ المضرور دون تعويض، خاصَّةً في الأحوال التي يتسبَّبُ في الضرر فيها القوَّة القاهرة. من هنا فإنَّ تدخُّلَ الدولة يبدو ضروريًّا[2]، كذلك أيضًا فإنه في مجال تعويض ضحايا الإيدز، فإنَّ المشرِّع يهدفُ إلى تعويض هؤلاء الضحايا استقلالاً عن أيِّ تحديدٍ للأشخاص الذين يُحتمل أنْ يكونوا مسئولين عن الأضرار النَّاشئة عن انتقال فيروس الإيدز بسبب عمليات نقل الدم، ودون الإقرار بأية مسئوليَّةٍ مباشرةٍ للدولة في إحداث هذه الأضرار[3].

---

(1) عابد عبد الفتاح، التعويض التلقائي للأضرار بواسطة التأمين وصناديق التعويض، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2014، ص15.

(2) LAMBERT-FAIVRE, "L'évolution de la responsabilité civile d'une dette de responsabilité à une créance d'indemnisation, op. cit. p.16.

(3) محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ح 2000، ص131.

وكمثال على اختلاف صناديق الضمان عن نظام المسئوليَّة نشير هنا إلى أنَّ رابطة السببيَّة تشغلُ مكانًا أساسًا في نظام المسئوليَّة؛ لأنها شرطٌ من شروط تطبيقه، سواء تعلَّقَ الأمر بالمسئوليَّة بخطأ أو دون خطأ، فيجبُ على المضرور أنْ يقيمَ الإثباتَ على أنَّ السببَ المباشر للضرر ناشئٌ عن نشاط الإدارة[1].

أمَّا في مجال "صناديق الضمان" فإنَّ الأمرَ يمكنُ أنْ يختلفَ:

فقد يتطلَّبُ القانون "إثبات علاقة السببيَّة"، فالمادَّة 6 من المرسوم 111 في 15 أكتوبر 1986 بشأن تعويض ضحايا إعمال الإرهاب تُلْزِمُ طالب التعويض، سواء المضرور أو خلفه، أنْ يُقِيمَ الإثبات بكلِّ الطرق على أنَّ الأضرار التي أصابته في شخصه ناشئةٌ عن عملٍ إرهابيٍّ.

وقد لا يشترط المشرِّع إثبات رابطة السببيَّة، فيقتصرُ دور المضرور على إثبات الضرر والفعل الضارِّ. وعلى سبيل المثال، فإنه وفقًا للمادة (4/47) من القانون الخاصِّ بتعويض ضحايا الإيدز "يجبُ على المضرورين أو خلفائهم أنْ يُقيموا الإثبات في طلباتِ التعويض على الإصابة بفيروس نقص المناعة المُكتسبة ونقل الدم أو الحقن بمنتجاتٍ مشتقةٍ من الدم". ومؤدَّى هذا النصِّ أنَّ قبول طلب التعويض يخضعُ فقط للإثبات من جانب المضرور بوجود الإصابة بالفيروس من ناحية، ونقل الدم أو حقن منتجاتٍ مشتقةٍ من الدم من ناحيةٍ أخرى. وهذا يعني – بوضوحٍ – أنَّ المضرور لا يلزمُ بإثبات رابطة السببيَّة[2]، وفي هذه الحالة، فإنَّ مشكلة السببيَّة تفقدُ أهميتها، والذي يُؤخذ في الاعتبار هو الضررُ نفسه[3].

المطلب الثاني

صعوبات إنشاء صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة

(1) *LAMBERT-FAIVRE, "L'évolution de la responsabilité civile d'une dette de responsabilité à une créance d'indemnisation, op.cit. p.23.*

(2) *آمال بكوش، المسئوليَّة الموضوعيَّة عن التبعات الطبيَّة، دار الجامعة الجديدة، 2017، ص154.*

(3) *محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، المرجع السابق ، ص132.*

يجبُ إصدارُ تشريع، أو تعديل قانون النقابات المهنيَّة المُتَعَلِّقة بأصحاب المهن الطبيَّة؛ من أجل إيجاد صندوقٍ لضمان تعويض المخاطر الطبيَّة يوجب فيه اقتطاعًا من اشتراكات المُنتسبين للنقابات[1]، ويبيّن كيفيَّة تمويل الصندوق، بأنْ يُحَدِّد مصادر تمويله والتي تكونُ من قبل الأعضاء، تتولَّى دفعها النقابات، كذلك وضعُ نظامٍ لكيفيَّة انتخاب الإدارة التي ستتولَّى إدارته وكيفيَّة استثمار رأس ماله، والذي سيكونُ كبيرًا قد يُضاهي ميزانيَّة وزارة الدولة، كما على المشرِّع أنْ يُخضعه لرقابة ديوان المُحاسبة، وأنْ يعترفَ للصندوق بالشخصيَّة الاعتباريَّة المستقلَّة عن النقابات[2]، ويجبُ أنْ يكونَ لرجال القانون دورٌ في إدارته[3]، ويُبين آليَّة دفع التعويض للمضرور من خلال تشريع قانون، أي بوضع مجموعة إجراءاتٍ تُتَّبَعُ للتأكُّد من أنَّ المضرورَ صاحبُ حقٍّ في التعويض لكي يدفعَ للمضرور مبلغَ التعويض، كما أنَّ القانون يجبُ أنْ يُبَيِّنَ كيفيَّة رجوع الصندوق على المسئول من خلال الدعاوى التي يحقُّ له إقامتها على المتسبِّب، ومن الصعوبات الأخرى التي تواجهه إنشاء الصندوق، وهي من جانبين:

الجانب الأول: كيفيَّة تمويل صندوق الضمان:

تعدُّ هذه المسألة من أول المُشكلات التي يُواجهها إنشاء صندوق تعويض المخاطر الطبيَّة، بل أكثرها أهميَّةً؛ لأنَّ فعالية الصندوق في دفع التعويضات ترجعُ إلى ما هو متوفرٌ من مقدَّراتٍ ماليَّةٍ لديه، ويثارُ تساؤلٌ بهذا الصدد عن ماهيَّة الجهة التي ستتولَّى تمويل هذا الصندوق للقيام بأداء دوره في دفع التعويضات للمتضرِّرين؟[4].

والتمويلُ الماليُّ للصندوق يرتكز على خمسة محاور:

---

[1] أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة النَّاتجة عن الأخطاء الطبيَّة، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2012، ص٢٤٢؛ محمد عبد الظاهر حسين، التأمين الإجباريُّ من المسئوليَّة المهنيَّة – دراسة تطبيقيَّة على بعض العقود، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 1996، ص١٧٣.

[2] محمد عبد الظاهر حسين، التأمين الإجباري، المرجع السابق، ص١٧٣.

[3] أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص243؛ أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة للأطبَّاء، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1999، ص457.

[4] أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص241.

1-التمويلُ من خلال أصحاب المهن الطبيَّة وأعدادهم الكبيرة التي تتكوَّن من أطبَّاء، وممرِّضين، وأطبَّاء أسنان، وصيادلة، وذلك باقتطاع جزءٍ من اشتراكاتهم السنويَّة إلى الصندوق، وفق آليَّةٍ تشريعيَّةٍ مُعَيَّنة.

2-التمويل بجزء من ميزانيَّة وزارة الصِّحَّة، وذلك عن الحوادث الطبيَّة التي تحصل في المستشفيات الحكوميَّة.

3- كما يجبُ أنْ تقومَ بتمويل صندوق الضمان شركات إنتاج الآلات الطبيَّة المُستخدمة في الطب وغيرها بدفع جزء من أرباحها لتمويل هذا الصندوق، كإسهامٍ منها لتعويض المتضرِّرين الذين يُصابون بالضرر نتيجةَ استخدام الآلة(1).

4- ويتمُّ تمويل الصندوق من المرضى أنفسهم، بأنْ يدفعَ كلُّ مريضٍ نسبةً بسيطةً للإسهام في تمويل ميزانيَّة الصندوق.

5- يتمُّ التمويل عن طريق شركات التأمين، وَفْقَ نسبٍ تتفقُ عليها شركاتُ التأمين فيما بينها(2).

الجانب الثاني: الرقابة على صندوق الضمان (الإداريَّة والماليَّة):

إذ يمكنُ حلُّ هذه الصعوبة عن طريق إيجاد صندوقٍ واحدٍ لكلِّ مُشتركي النقابات، ويتمُّ إدارة الصندوق عن طريق لجنةِ تعويضاتٍ مسئولةٍ عن إعلان طلبات التعويض التي تصل إليها أو مجلس إدارة يُنتخب من النقابات، وتقوم الدولةُ بتعيين مُراقبين من قبل الدولة كأعضاء في مجلس الإدارة(3)، ويرأس الصندوق رئيس دائرة أو مستشار في محكمة النقض سواء كان يُزاول المهنة أم أُحيل إلى المعاش(4)، ويكون لهذا المجلس نظامٌ إداريٌّ رسميٌّ يُحدد الصلاحيات، وكيفيَّة اتِّخاذ القرارات، ويخضع لرقابة ديوان المُحاسبة، ويخضعُ لسجلاتٍ رسميَّةٍ مُوَثَّقَةٍ بصورةٍ دقيقةٍ لكي تنظِّم عمله.

---

(1) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئولية، المرجع السابق، ص464.

(2) ثروت عبد الحميد عبد الحليم، تعويض الحوادث الطبيَّة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2007، ص163.

(3) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel, Dalloz, 2019, P. 862.

(4) عاطف عبد الحميد حسن، المسئوليَّة وفايروس الإيدز: المسئوليَّة النَّاشئة عن عمليَّة نقل دم ملوثٍ بفايروس مرض الإيدز، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 2001، ص216.

المطلب الثالث

أهميَّة صناديق الضمان

يُمَثِّلُ نظام الصندوق الخطوةَ الأخيرةَ في تعويض الحوادث الطبيَّة، وتأتي قبله خطوتان، هما: إصلاح قواعد المسئوليَّة المدنيَّة باعتناق مسئوليَّةٍ موضوعيَّةٍ، وخطوة إبرام التأمين من المسئوليَّة الطبيَّة، وآخر خطوةٍ هي التي يُمَثِّلُهَا نظام الصندوق ويبرزُ كدورٍ تكميليٍّ في تعويض المضرور الذي لم يحصلْ على حقِّه من شركة التأمين(1).

وهو يُحَقِّقُ الفوائد الأتية:

1- يؤمِّن صندوق الضمان التعويضَ الكاملَ للأضرار ذات الطبيعة الخطرة، مثل الإصابات المُتَعَلِّقة بالإصابة بالعدوى، والتعويضُ الممنوحُ يجبُ أنْ يكونَ وحده كافيًا في الأساس للتعويض الكامل عن الضرر.

2- يقومُ الصندوقُ بتقدير التعويض لكلِّ ضررٍ رئيسٍ، ويستطيع القضاءُ رقابة ذلك، وعلى خلاف ذلك عند المُطالبة بالتعويض أمام القضاء الذي يقوم بالتقدير وفق سُلطته التقديريَّة(2).

3- تتعدَّدُ الأضرارُ التي يقوم الصندوق بتقديرها وفقًا للصيغة المُقترحة من صندوق التعويضات، ومنها الأضرار ذات الطبيعة الشخصيَّة والطبيعة النفسيَّة التي خضع لها الضحيَّة والنَّاتجة من تقلُّص الأمل لديه في الحياة والتي تُسَبِّبُ له اضطراباتٍ في الحياة الاجتماعيَّة والأسريَّة والجنسيَّة ومُعاناة الخوف من الموت. وكذلك الأضرار المُتَعَلِّقة بنفور الآخرين منه، وأيضًا مُعاناة من كلِّ الأمراض الانتهازيَّة المُصاحبة لفيروس الإيدز (3).

---

(1) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p756.

(2) *بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة للطبيب، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة طنطا، 2010، ص536.*

(3) Cass. Civ, 2 avr. 1996. J.C.P. 1996 iv,

منشور على الموقع الآتي:

https://www.legifrance.gouv.fr.تاريخ الزيارة 2021/9/15

4- يعدُّ وسيلةَ أمانٍ واطمئنانٍ للمريض المضرور والطبيب المسئول؛ أي يُشعر أطراف العلاقة - وبخاصَّة المضرور - بالطمأنينة والأمان مع وجود الصندوق؛ لأنه في النهاية سيحصلُ على تعويضه إنْ أصابه ضررٌ، فيُقبل على العلاج وهو مطمئنٌّ، حيث ستكونُ للصندوق آليَّةٌ لدفع التعويض بصورةٍ تكميليَّةٍ احتياطيَّةٍ عندما تثبت مسئوليَّة العضو المنتسب لهذا الصندوق من أصحاب المهن الطبيَّة، ويكونُ هذا العضو مُعسرًا أو مُفلسًا أو أنَّ الشركة المؤمنة قد أفلست، كما أنَّ أصحاب المهن الطبيَّة يشعرون بالاطمئنان في حال إفلاس الشركة المؤمِّنة؛ لأنهم يعتمدون على صندوق الضمان الذي سيتولَّى دفع التعويض للمضرور في حالة رجوعه على أيٍّ منهم، ويكون للصندوق بعد ذلك الرجوعُ على الطبيب المسئول(1).

5- يبرزُ دور صندوق ضمان في تعويض مخاطر الإعمال الطبيَّة خاصَّةً بعد انتشار الآلات الدقيقة والحديثة نتيجةً للتطوُّر العلميّ والتكنولوجيّ، التي أسهمت في تطوير المخاطر الطبيَّة من خلال استعمالها وانتشارها في المجال الطبي، وأصبحت ضروريَّةً جدًّا للمعالجة في المستشفيات كافة، ولا يمكن الاستغناءُ عنها(2).

6- وفي بعض الأحيان تكون الشركةُ المؤمَّن لديها الطبيب مسئوليتها محدودة، من حيث الاتِّفاق بينها وبين الطبيب على مبلغ، وهذا المبلغُ لا يتناسبُ مع الضرر الذي أصاب المضرور، ففي مثل هذه الحالة يدفع الصندوقُ الفرقَ بين مبلغ التأمين ومقدار التعويض الذي حكمتْ به المحكمةُ للمضرور(3).

7- وفي حال عدم إبرام الطبيب المُعالج لعقد التأمين، فإنَّ الصندوق يضمن مسئوليته، ويدفع ما يترتَّبُ عليه من تعويض، وبهذا يكون المضرورُ في حالة اطمئنانٍ كاملٍ في الحصول على حقه، ومن ثم رجوع الصندوق على الطبيب بما دفعه من تعويضٍ للمريض المضرور(4).

8- تبرزُ أهميَّةُ صندوق الضمان في حال احتجاج المؤمِّن بحالات استبعاد الضمان في مُواجهة المضرور، وعلى سبيل المثال: ما نصت عليه وثيقة التأمين الجماعيَّة لمراكز نقل الدم، من أنها لا تغطِّي

---

(1) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.. P. 838.

أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة النَّاتجة عن الأخطاء الطبيَّة، المرجع السابق، ص٢٣٩.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p 837.

(3) *أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص240.*

(4) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p. 836.

الأضرارَ التي تصيبُ متلقِّي الدم ما لم يثبت أنَّ الخطأ من جانب مركز الدم، بمعنى أنها تستبعد حالات المسئوليَّة دون خطأ[1]، وبالتالي فإنَّ الصندوقَ سيقومُ بدفع التعويض[2].

6- ولصندوق الضمان أهميَّةٌ كبيرةٌ في حالات إفلاس المؤمِّن أو فسخ عقد التأمين أو بُطلانه، حيث يقوم الصندوقُ بدفع التعويض عند تحقُّق الحالات أعلاه.

(1) أُبرمت هذه الوثيقة الجماعيَّة في أول يناير 1990، وتُسَمَّى GATS، التي هي ثمرةُ اتِّفاقٍ جماعيٍّ بين مجموعات شركات التأمين FFSA,GEMA Mutualite' agricole وبين مراكز نقل الدم.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p. 812.

أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص241.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقيَّة على صندوق الضمان الفرنسيِّ لضحايا الإيدز

تمهيدٌ وتقسيمٌ:

لعلَّ أشهرَ صناديق الضمان الطبيِّ هو الصندوقُ الفرنسيُّ الذي أنشأه المشرِّعُ الفرنسيُّ عام 1991 لتعويض ضحايا الإيدز، وسوف نحاولُ في هذا المبحث دراسة هذا الصندوق دراسةً تطبيقيَّةً موجزةً، حتى نقدِّمَ نموذجًا لأحد صناديق الضمان الشهيرة.

وعليه؛ نتناولُ هذا المبحث في ثلاثة مطالبَ، على النحو الآتي:

المطلب الأول: أساس ونطاق تعويض صندوق ضحايا الإيدز.

المطلب الثاني: دور صندوق الضمان الفرنسي لضحايا الإيدز.

المطلب الثالث: آليَّة تنظيم عمل صندوق الضمان في دفع التعويض.

المطلب الأول

أساس ونطاق تعويض صندوق ضحايا الإيدز

وعليه؛ سنتناولُ في هذا المطلب عددًا من النقاط فيما يلي:

أولاً: أساسُ تعويض الضمان:

يثيرُ تعويضُ الضمان – خصوصًا بالنسبة لضحايا الإيدز – سؤالاً مهمًّا يتعلَّقُ بأساس هذا التعويض، وهذا الأساسُ لا يخرجُ عن إحدى فكرتين: المخاطر، والتضامن القومي[1].

أمَّا فكرة المخاطر فمؤدَّاها أنه يجبُ تعويضُ الأشخاص المُصابين بالإيدز بسبب عمليات نقل الدم؛ نظرًا للمخاطر التي يحملونها. وقد أكَّدت الحكومةُ في أثناء مُناقشة القانون أنَّ هذه المخاطر هي مخاطرُ استثنائيَّة، وذلك على غرار المسئوليَّة على أساس المخاطر والتي تفترضُ أنَّ المخاطرَ تتجاوزُ حدًّا معينًا لإمكانيَّة التعويض عنها. والحياة الاجتماعيَّة تتضمَّنُ مخاطرَ يجبُ أنْ يتحمَّلها الأفراد؛ لأنها ناشئةٌ عن الحياة في المجتمع، وتلك المخاطرُ لا يجوز التعويضُ عنها.

---

(1) محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، المرجع السابق، ص136.

وقد اشترطت السلطاتُ العامَّةُ فكرة المخاطر الاستثنائيَّة لإمكانيَّة تعويض ضحايا الإيدز؛ لسببين: أمَّا السببُ الأولُ فإنه يرجعُ إلى خطورة الضرر الذي يتحمَّله الإيدز، فالمخاطرُ الاستثنائيَّةُ ترتبطُ بالأضرار الاستثنائيَّة، وهذه الأخيرةُ ناشئةٌ بسبب الارتباط القويّ بين الإصابة بالإيدز ومعدل الوفيات. وأمَّا السبب الثاني فهو يرجعُ إلى الرغبة في استبعاد المُصابين بالفيروسات الأخرى، مثل فيروس التهاب الكبد الوبائي "سي"؛ لأنه على الرغم من أنه سببٌ أساسٌ في تليُّف أو ورم الكبد، وهو ما يؤدِّي إلى الوفاة، فإنَّ الحكومةَ رأت أنَّ تطوُّرَ هذا المرض وصيرورته مميتًا يظلُّ أقلَّ احتمالاً من مخاطر الإصابة بالإيدز.

وأمَّا فكرةُ التضامُنِ القوميّ فإنها وإن لم تظهرْ في القانون نفسه، إلاَّ أنها كانت كامنةً خلف كلِّ نصوصه. وقد وردت هذه الفكرةُ في خطاب تعديل مشروع القانون الخاصِّ ببعض النصوص ذات الطبيعة الاجتماعيَّة قانون رقم 31 ديسمبر 1991، فهو يعلنُ أنه "من العدالة أنْ يظهرَ التضامنُ القوميُّ تجاه هؤلاء الأشخاص الذين يُقاسون بمرارة، والذين قد لا يُعطيهم الطريقُ القضائيُّ رضاءً كافيًا". كما ركَّز وزير الشئون الاجتماعيَّة والتضامُن على القول: إنه "في مُواجهة هذه المأساة الاستثنائيَّة، فإنَّ الإجابة يجبُ أنْ تكونَ استثنائيَّة، إنها يجبُ أنْ تلجأَ إلى التضامُن القومي"، وقد وردت فكرة التضامُنِ القوميّ في مقدمة دستور 1946 التي تعلن: "تقرِّر الأمَّةُ التضامنَ والمساواةَ بين جميع الفرنسيين أمام الأعباء التي تحدثُ بسبب الكوارث القوميَّة"[1].

والراجحُ لدى البعض أنَّ المخاطرَ تعدُّ أساسًا لتعويض الضمان، أمَّا التضامنُ فليس إلاَّ مجرد وسيلةٍ لتحديد المدين في الحالة التي لم تَعُدْ رابطة السببيَّة قادرةً على إحداث آثارها، أي إنها مجردُ تبرير لإلزام الدولة بتعويض الأضرار في هذه الحالة[2]. وتفسيرُ ذلك، أنَّ حقَّ التعويض هو حقٌّ أساسٌ لكلِّ فرد. وهذا الحقُّ نتيجةٌ ضروريَّةٌ لمبدأ المُساواة في الحقوق المنصوص عليه في إعلان حقوق الإنسان والمُواطن الصَّادر في 1789. غير أنَّ هذا الحقَّ لا يعني أنَّ التعويضَ يُطَبَّقُ على "جميع الأضرار"، وأنْ يكونَ بالضرورة "كاملاً". ويمكنُ ممارسةُ الحقِّ في التعويض وفقًا لنظام المسئوليَّة أو وفقًا لنظام الضمان. وهذان النظامان لا يتعارضان، وإنما يتكاملان. وبالتالي يعدُّ التضامنُ القوميُّ هو أساس الحقِّ في التعويض، لكنه مجردُ أسلوبٍ لإلزام الدولة بالتعويض خارج نطاق المسئوليَّة[3].

---

(1) محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، المرجع السابق، ص137.
(2) آمال بكوش، المسئوليَّة الموضوعيَّة عن التبعات الطبيَّة، المرجع السابق، ص231.
(3) محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، المرجع السابق، ص137.

ثانيًا: أسسُ الحصول على تعويض صندوق الضمان:

1- اشترطت المادَّةُ رقم 1/47 من القانون الفرنسيّ رقم 91/1406 الصَّادر في 31 ديسمبر عام 1991م أنْ يكونَ سببُ الإصابة الدمَ المنقولَ إلى المُصاب سواءً بشكلٍ مباشرٍ أم بطريقةٍ غير مُباشرة، ويتمُّ إثبات علاقة السببيَّة بين الإصابة والدم من خلال قرينةٍ نصَّ عليها القانون لصالح المضرور بحيث ينطبقُ عليه إثبات عمليَّة النقل والإصابة، إلاَّ أنَّ هذه القرينة البسيطة تقبلُ إثبات العكس [1].

وتكونُ هذه القرينةُ خاضعةً لسلطة لجنة التعويضات التقديريَّة التي تتحقَّقُ من الإصابة، ومن تاريخ النقل قبل صرف التعويض، كما تقومُ بإجراء الفحوص الطبيَّة على المُتبرعين، فإذا ثبت لديها خلوُّهم من مرض الإيدز فإنها ترفضُ طلب التعويض؛ وذلك لأنَّ الإصابة بالفيروس في هذه الحالة ليس مرجعها الدم، وإنما تعود إلى أيِّ سببٍ آخر بما يعنيه ذلك من عدم قيام القرينة في جانب المضرور، وفي المقابل إذا ثبت وجودُ شخصٍ من بين المتبرِّعين مصابًا بالفيروس فإنَّ حقَّ المضرور من الدم المنقول في التعويض يثبتُ وتقوم القرينةُ لمصلحة المضرور، إلاَّ أنه تعترضُ هذا الأمرَ صعوباتٌ تتعلَّقُ بإصابات أحد المتبرِّعين بالدم بعد عمليَّة النقل، أو أنَّ الدم المنقولَ ليس هو دم المتبرِّع المُصاب؛ ولذلك فإنَّ المحكمة تفصلُ في هذه الأمور على ضوء ما توافرَ لديها من أدلةٍ ومُستنداتٍ، وأيضًا حسب ما آلت به من ظروف كلِّ حالةٍ وملابساتها[2]، مع ملاحظة أنَّ القرينة هي وسيلةٌ سهلةٌ للإثبات ولترتيب آثارٍ قانونيَّةٍ على وقائعَ أوليَّة[3].

2- اشترطت المادَّة رقم 4/47 من القانون الفرنسيّ سابق الذكر أنَّ عدوى المرض التي يتمُّ التعويضُ عنها بواسطة الصندوق هي عدوى الإيدز، وهكذا لا يختصُّ الصندوقُ بنظر دعاوى التعويض عن الأمراض الفيروسيَّة الأخرى مثل التهاب الكبد الوبائيّ، حتى وإنْ حدثتْ بسبب نقل دمٍ ملوَّث،

---

[1] بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة للطبيب، المرجع السابق، ص526.

[2] حمد سلمان سليمان الزيود، المسئوليَّة المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث – دراسة مقارنة في الفقه الإسلاميّ والقانون الوضعي، رسالة دكتوراه، كليَّة الحقوق، جامعة عين شمس، 2007، ص661.

[3] وهناك ما يُسَمَّى بالقرائن القاطعة؛ أي هي القرائنُ التي لا يجوزُ إثباتُ عكسها.

وهذه المسألةُ تثيرُ صعوباتٍ باثولوجيَّةً إكلينيكيَّةً، حيث تتشابَهُ عدة فيروساتٍ مع فيروس (vih) المُسبب للإيدز، ومثال ذلك: الفيروس المُسبب للالتهاب الكبديّ الوبائيّ (v.h.c)، وأمام صعوبات التعرُّف على الفيروسات المُتشابهة يمكنُ لمرضى التهاب الكبد الاستفادة من التعويض الذي يدفعه الصندوق، وقدم رئيس الصندوق Mr. Hichaucl في يناير 1993م تقريرًا يوضِّحُ فيه إحصائيَّةً عن عدد المُصابين بفيروسات الالتهاب الكبديّ من الفئة "C" في فرنسا الذي تراوح بين 100 إلى ٢٠٠ ألف شخص، وأنَّ الإصابة بالأمراض الأخرى غير الإيدز تضمنها المؤسَّسة الفرنسيَّة للدم المُنشأة في عام 1998م، ولا يضمنها الصندوق[1].

3- في فرنسا يجبُ أنْ يتمَّ نقل الدم أو أحد مشتقاته بصرف النظر عن جنسيَّة المضرورين، فإذا تحقَّقت واقعةُ النقل في فرنسا أصبح من حقِّ المضرور الحصولُ على التعويض القانونيّ من الصندوق حتى لو كان المضرورُ أجنبيًّا، أمَّا إذا حدث العكسُ فلا يُستحق التعويض إذا تمَّ نقل الدم خارج فرنسا حتى لو كان المضرورُ مواطنًا فرنسيًّا[2].

4- والتعويضُ الذي يُدفع من الصندوق يشملُ الأقاربَ الذين لحقتهم أضرارٌ شخصيَّةٌ بسبب ما أصاب المضرورَ من أضرارٍ من خلال تطبيق نظام التعويضِ القانونيّ، فالزوج أو الأولاد لهم حقٌّ في الحصول على هذا التعويض، بل لقد قضي بحقِّ الطبيب المُعالج للمريض في مركزٍ طبيّ في الحصول على التعويض المقرَّر من الصندوق على الرغم من انعدام قرابته بالشخص المصاب، وقضت محكمة النقض الفرنسيَّة بأنَّ المضرورَ بأضرارٍ ناتجةٍ عن الإصابة بمرض ضعف المناعة النَّاتج عن نقل المنتجات الدمويَّة أو الحقن بهذه المنتجات أو الذي تمَّ على الإقليم الفرنسي، هؤلاء يثبتُ لهم الحقُّ في التعويض من الصندوق المنشأ لهذا الغرض، وقد نقضت بذلك المحكمة حكم قضاة الموضوع الذين رفضوا دعوى التعويض عن الإصابة بمرض الإيدز المرفوعة على الصندوق من جانب جرَّاحٍ يعملُ في مركزٍ طبيّ، بحجة أنه إذا كان افتراضُ الإصابة يمتدُّ ليشملَ الزوج والطفل المُصاب قبل الولادة فإنَّ موقف الطبيب يختلفُ عن موقف هؤلاء، ولا يمكنُ أنْ يتمتَّعَ بقرينة افتراض الإصابة أو قرينة قيام علاقة السببيَّة بين الضرر النَّاتج والإصابة بمرض الإيدز نتيجةَ نقلِ دمٍ مُلوث أو الحقن بحقنةٍ مُلوثة، وانتهت محكمة الموضوع

---

(1) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص528.

(2) استنادًا إلى نص المادَّة (1/47) من القانون الفرنسيّ رقم 91/1406 سابق الذكر.

إلى أنَّ إصابة الطبيب لا تخرجُ عن كونها إصابةَ عملٍ تُثير القواعدَ المُتَعَلِّقةَ بإصابات العمل وتخضعُ لإجراءاتها[1].

فهؤلاء المضرورون غير المُباشرين (الأقارب) لهم حقٌّ في الضمان الذي تُقَدِّمُهُ الدولة في الصندوق، بشرط أنْ يُثبتوا مقدار الأضرار التي أصابتهم وارتباطها بضرر المضرور المباشر[2].

5- يُعتبر التعويضُ القانونيُّ الذي يدفعه الصندوق تعويضًا جماعيًّا تنظِّمه الدولةُ دون الرجوع إلى القواعد المعروفة في المسئوليَّة المدنيَّة[3].

6- لا يقومُ الصندوقُ بدفع تعويضٍ للمرض الذي يترتَّبُ على نتائج العدوى بالإيدز إصابتُهم ببعض النتائج القاتلة مثل سرطان الكبد، وبالرغم من ذلك فإنَّ الصناديقَ لا يحقُّ لها أنْ تقومَ بتعويض مثل هذه الحالات، وليس على المضرورين سوى اللجوء إلى الطريقة العاديَّة في أحكام المسئوليَّة المقرَّرة في القانون المدني[4].

ويُعتقد بأنَّ هناك حاليًّا مئات من القضايا المرفوعة في هذه المسألة وحوالي ٦٠ منظورة أمام المحاكم[5].

ثالثًا: مضمون التعويض:

من خلال نصوص قانون ٣١ ديسمبر ١٩٩١م يتضحُ أنَّ المشرِّعَ قد سهَّل للمضرور إجراءات الحصول على التعويض، ويسَّر سُبُلَ الوصول إلى ذلك، بحيث يتعيَّنُ على المضرور من دعوى الإيدز

---

(1) Cass, civ 2eme ch 18-6-1997.

منشور على الموقع الآتي:

https://www.legifrance.gouv.fr. تاريخ الزيارة 2021/10/3

(2) *Benoît Apollis, Droit de la santé publique, Dalloz, 10e éd, 2020. p 348.*

(3) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص530.

(4) حمد سلمان سليمان الزيود، المسئوليَّة المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث، المرجع السابق، ص639.

(5) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص530.

بسبب نقل الدم الملوَّث أنْ يُقَدِّمَ طلبًا إلى الصندوق بخطابٍ مُسَجَّلٍ بعلم الوصول، وعلى الصندوق – وبمرور مدةٍ أقصاها ثلاثة أشهر – أنْ يبتَّ في الطلب المقدَّم، وأنْ يقومَ بعرض تعويض، وتزيدُ هذه المدة إلى أربعة أشهر بالنسبة للطلبات المقدَّمة قبل أول سبتمبر ١٩٩٢م، وعلى الضحيَّةِ أن يؤشِّرَ بقبول أو رفض عرض التعويض على نفس الرسالة، وفي حالة قبول العرض المقدَّم من الصندوق فإنَّ هذا الأخيرَ يدفعُ المبلغَ للمضرور من قبوله عرض التعويض وبمدة شهرٍ واحدٍ من تاريخ القبول للعرض[1].

وأقرَّ المشرِّعُ الفرنسيُّ مبدأ التعويض الشامل الذي يأخذ في الاعتبار جميع عناصر الضرر التي تصيبُ ضحايا المرض، فيُحَدِّدُ مبلغ التعويض مقسمًا على كلِّ عنصرٍ من عناصر الضرر[2]، وقد تمَّ تحديدُ مبلغ التعويض على النحو التالي: مليون وستمائة وأربعة عشر ألفًا من الفرنكات بالنسبة للضحايا الذين لا تتجاوز أعمارُهم ٣٠ سنة، ومليون ومائتان وثلاثة وتسعون ألفًا لمن لا يتجاوز عمرهم 40 سنة، وتسعمائة وثمانية وثمانون ألفًا لمن لا تتجاوز أعمارهم 50 سنة، وسبعمائة وأحد عشر ألفًا لمن يبلغ عمرهم 60 سنة، وأربعمائة وواحد وستون ألفًا عند ٧٠ سنة، وأخيرًا يتمُّ تعويض الضحايا الذين تبلغ أعمارهم 80 عامًا بمبلغ مائتين وستة وخمسين ألف فرنك[3].

ويُلاحظ أنَّ المشرِّعَ الفرنسيَّ قد أخذ في نظر الاعتبار أنَّ عدوى الإيدز تؤدِّي حتمًا إلى الموت، وحدَّد مبلغ التعويض بالنظر إلى عمر المصاب، وجاء هذا التحديد كعلاقةٍ عكسيَّةٍ بين مبلغ التعويض وسنِّ الإصابة بالعدوى، أي إنه كلما كان عمر الضحيَّةِ أصغرَ كان مبلغُ التعويض أعلى، بافتراض أنَّ المرضَ سوف يحرمه من سنواتٍ أطولَ من الحياة، فإذا أُصِيبَ الشخصُ بالعدوى وهو في سنٍّ متقدِّمةٍ كان المبلغُ المحدَّدُ لتعويضه أقلَّ، ويُعتبر المضرور في هذه الحالة حاملاً للفيروس، وهذه الفترة غير ثابتةٍ، وقد تمتدُّ إلى اثنتي عشرة سنةً لا تظهر عليه فيها أعراض وعلامات المرض، وبالتالي إطالة أمد

---

(1) حسيني هيكل، الاتِّجاهات الحديثة في تقدير التعويض دراسة مقارنة، دار الكتب القانونيَّة، 2008، ص317.

(2) وهو ذات المبدأ الذي سبق أنْ قرَّره المشرِّع الفرنسيُّ في المادَّة (٢٩) من قانون 5 يوليه ١٩٨٥م الخاص بتعويض ضمان حوادث السيارات.

(3) حمد سلمان سليمان الزيود، المسئوليَّة المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوث، المرجع السابق، ص639.

العبور إلى مرحلة المرض الفعليّ بحيث يبقى هذا المبلغُ في ذمَّة الصندوق فترةً زمنيَّةً طويلةً قبل أن يدفع للضحيَّة[1].

وتقييمُ هذا الضرر يجبُ أنْ يأخذَ في الحسبان التقديراتِ القانونيَّةَ ولا سيما العروض غير المقبولة التي تكون موضعَ طعونٍ أمام محكمة الاستئناف بباريس[2].

المطلب الثاني

دور صندوق الضمان الفرنسيّ لضحايا الإيدز

يبرزُ دورُ صندوق الضمان كمكمِّلٍ للتعويض، وبالتالي يضمُّ الأضرارَ المادِّيَّة والأضرار الجسديَّة، وظهرت بعضُ المقترحات التي بيَّنت الدورَ الذي يلعبه الصندوقُ في تقديم التعويض، ومنها المقترح المقدَّم من اثنين وعشرين عضوًا إلى مجلس الشيوخ بتاريخ 28 أبريل 1993، ومقترح آخر تقدَّم به ثلاثٌ وعشرون عضوًا إلى الجمعيَّة الوطنيَّة بخصوص تعويض ضحايا الحوادث الطبيَّة بتاريخ 11 مايو 1993.

ولصندوق الضمان دورٌ في أداء التكاليف الإضافيَّة عن النفقات العلاجيَّة، وبوجهٍ خاصٍّ تكاليف نقل المضرور إلى مركزٍ طبيٍّ أو تنقُّله بين أكثرَ من مركز، وفي حالة إصابة المريض بعجزٍ سواء كان مؤقتًا أم دائمًا، يلتزمُ الصندوقُ بأداءِ ما يُعادل دخله أو المكاسب التي فاتته نتيجةَ هذا العجز، ويكونُ ذلك في حدود الحدِّ الأدني لمرتب أربعة شهور ذوي الدخل المُتغير، ويفرَّق هنا بين حالة عدم كون المريض خاضعًا لنظام التأمين الاجتماعيّ، بهذه الحالة يقومُ صندوقُ الضمان بأداء التعويضات المُلائمة، وبين ما

---

(1) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص533.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p. 839.

يكونُ المريضُ خاضعًا لنظام التأمين الاجتماعي، وبهذه الحالة يلتزمُ التأمين الاجتماعيُّ – فورًا ومباشرةً – بأنْ يؤدِّيَ إلى المريض النفقاتِ والتعويضاتِ الواجبةَ بمقتضى القوانين واللوائح الخاضعة التي تنظِّمه، ويقومُ صندوق الضمان بأداء الفرق بين هذه المبالغ التي يؤدِّيها التأمين الاجتماعي، وبين التعويض الذي يُحَدِّدُهُ القانون الذي يحكم صندوق الضمان[1].

ويوضعُ بنظر الاعتبار دائمًا تعويضُ الأضرار الجسديَّة بعيدًا عن الخوض في مشكلة توافر السببيَّة من عدمه، فهذه الأضرارُ يجبُ أنْ تُعَوَّضَ بصورةٍ موضوعيَّة.

كما يتحمَّلُ الصندوقُ أداء النفقات العلاجيَّة، وتكاليف الإقامة بالمستشفى، وتعويض الأضرار التجميليَّة نسبةً إلى جراحة التجميل، والتي يكون من شأنها أنْ تُخِلَّ ببقاء الشخص بصورةٍ سويَّةٍ بين أفراد المجتمع، ويعوّض أصحاب المهن الطبيَّة في حالة إصابتهم بأضرار، بالتنسيق مع صندوق الضمان الاجتماعيّ والتأمين الصِّحِّيّ[2].

ويُثار تساؤلٌ عن مدى التزام الصندوق بالتعويض في حالة وفاة المريض؟.

ويتمُّ الإجابة عن السؤال السابق بأنَّ الصندوقَ يبقى ملتزمًا في حالة وفاة المريض؛ بأنْ يؤدِّيَ إلى ورثته النفقاتِ والتكاليفَ العلاجيَّة التي لا يتحمَّلُها نظام التأمين الاجتماعيّ، فضلاً عن التعويض المتمثِّل فيما فاتهم من كسب وما لحقهم من خسارةٍ نتيجةَ وفاةِ مورِّثهم[3].

ويُلاحظ في بنود الاقتراح السَّابق أنَّ الصندوقَ يحتفظُ بالدورِ التكميليّ في حالة عدم وجود تأمينٍ اجتماعيّ، أو في حالة عدم وجود هذا الأخير أو عدم كفايته، ومهما يكنْ من أمر، فإنه لا مانعَ من أنْ يلعبَ صندوقُ الضمان هذا الدورَ فيما بينه وبين نظام التأمين من المسئوليَّة الطبيَّة، فنظامُ التأمين الاجتماعيّ إذا كان يُسْهِمُ بقدرٍ ما في تعويض ضحايا المخاطر الطبيَّة من المنتفعين به، فهو لا يمنعُ من قيام التكامُلِ بين صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة وبين التأمين من المسئوليَّة[4].

---

(1) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص466.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p. 829.

(3) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص467.

(4) أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص246.

إلى هنا نكون قد انتهينا من الدور الذي يقومُ به صندوقُ الضمان لتعويض المخاطر الطبيَّة، وسنتناول في المطلب الآتي آليَّة تنظيم عمل صندوق الضمان في دفع التعويض.

المطلب الثالث

آليَّة تنظيم عمل صندوق الضمان في دفع التعويض

سنتناولُ في هذا المطلب خطواتِ المُطالبة بالتعويض من صندوق الضمان كنقطةٍ أولى، وآليَّة عمل صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة كنقطةٍ ثانيةٍ، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: خطوات المُطالبة بالتعويض من صندوق الضمان:

ليس من الضرورةِ أنْ يأتيَ التنظيمُ الإجرائيُّ لصندوق ضمان المخاطر الطبيَّة في صورةٍ مُغايرةٍ أو على نحوٍ مُخالفٍ لصندوق ضمان ضحايا الإيدز الذي أنشأه المشرّعُ الفرنسيُّ في ٣١ ديسمبر 1991م، وتمتازُ إجراءاتُ الحصول على التعويض عن طريق صناديق الضَّمان بالسهولة وخلوّها من التعقيدات، وتكمن في طلبٍ يقدَّمُ من المضرور، وبعدها يتمُّ دراسة الطلب من قبل الصندوق[1].

عليه؛ يمكن اتِّباعُ خطوتين في سبيل الحصول على مبلغ التعويض عن طريق صندوق الضمان من المخاطر[2]، على النحو الآتي:

الخطوة الأولى: تقديمُ طلبِ التعويض من جانب المضرور أو ورثته:

ويقدَّمُ طلبُ التعويض إلى صندوق الضمان من المضرور نفسه أو من ذويه في حالة أنَّ شركة التأمين قد أفلست أو أنَّ الطبيب لم يكن مؤمّنًا، أو أنَّ نشاط المؤمَّن له غيرُ مشمولٍ بالضمان، ويفضَّلُ أنْ يُحَدِّدَ القانونُ الذي ينصُّ على إنشاء صندوق المخاطر الطبيَّة الحالاتِ التي يجبُ أنْ يطلبَ من

---

(1) ويُقصد بالتنظيم الإجرائيّ لأداء صندوق الضمان هو إجراءات الحصول على التعويض، والدعاوى المُحتمل إقامتها من أو في مُواجهة الصندوق من حيث إجراءاتها؛ أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة، المرجع السابق، ص467.

(2) محمد عبد الظاهر حسين، مشكلات المسئوليَّة المدنيَّة في عمليات نقل الدم، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 1995، ص172.

الصندوق تعويضها، وكذلك الأشخاص الذين يحقُّ لهم تقديمُ الطلب، وعند عدم تقدُّم أحدٍ من الذين لهم حقُّ التعويض، فإنه ينبغي تخويلُ مَنْ يَلُونَهُمْ في درجة القرابة هذا الحق[1].

وقد سلك المشرِّعُ الفرنسيُّ في قانون ٣١ ديسمبر ١٩٩١م مسلك عدم تطلُّب الإثبات (إثبات السببيَّة)، حين جعل التعويض عن طريق الصندوق تعويضًا آليًّا يكتفى فيه من المضرور بإثبات واقعةِ نقل الدم، أي يعتمد الصندوق على البيانات التي يقدِّمها المضرور[2].

الخطوة الثانية: إبداء الصندوق رأيه بالطلب المقدَّم له:

وتبدأ هذه الخطوةُ بقيام إدارة الصندوق بإحالة الطلبِ إلى لجنةٍ خاصَّةٍ لدراسته، وبعد أنْ تتيقَّنَ من أنَّ الطبيب المُعالج أو غيره من أصحاب المهن الطبيَّة، هو المتسبِّب بالضرر من خلال قرار المحكمة، وبثبوت مسئوليته وعجزه عن دفع التعويض، أو مبلغ التعويض غير كافٍ ولا يتناسبُ مع المضرور، أو أنَّ نفقات العلاج زادت عن حدود مسئوليَّة شركة التأمين، بعد أنْ يتأكدوا من ذلك يقوم الصندوق بدفع التعويض[3].

مع مُلاحظة أنَّ قرار الصندوق بالمُوافقة على تعويض المضرور أو برفض هذا التعويض لا ينبغي أنْ يُعَدَّ قرينةً على قيام مسئوليَّة الطبيب أو المستشفى في مُواجهة المضرور، وعلى هذا اقتُرح في مجلس الشيوخ الفرنسيّ عند وضع قانون 31 ديسمبر 1991م إضافة نصٍّ مؤدَّاه ألاَّ تكونَ لقراراتِ اللجنة المكلَّفة بدراسة طلبات التعويض أيُّ أثرٍ على قيام مسئوليَّة مركز الدم، وبالنسبة لقيمة التعويض يكون تقديرُها وفقًا لقواعد تقدير التعويض عن الأضرار الجسديَّة[4].

وبعد مُوافقة الصندوق على طلب التعويض، وحسب المعلومات والبيانات التي قدَّمها المضرور، يقوم الصندوقُ بعرض التعويض للمضرور، على أنْ يُبْدِيَ الأخيرُ رأيه بالقبول أو الرفض وفقًا للعرض

---

(1) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة، المرجع السابق، ص468.

(2) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص537.

(3) أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص247.

(4) حسيني هيكل، الاتِّجاهات الحديثة في تقدير التعويض، المرجع السابق، ص173.

السابق، وعندما يُصادف قبولاً من جانب المضرور على عرض الصندوق ينبغي على الأخير دفعُ التعويض خلال الشهر التالي من تاريخ قبول المضرور للعرض.

ويُثار بهذا الصدد تساؤلٌ عن: ما مدى حقِّ المضرور في حالة رفضه لِمَا عرضه الصندوق عليه؟.

حيث يحقُّ للمضرور التظلُّم من قرار الصندوق أمام محكمة استئناف باريس، كما يحقُّ له المُطالبة بالتعويض أمام القضاء العاديّ في حالة عدم اقتناعه بما عرضه الصندوق من تعويضٍ أو في حالة رفضه لِمَا تمَّ تحديدُه عن طريق محكمة الاستئناف، مع ملاحظةِ أنَّ المضرورَ لا يستطيعُ أنْ يحصلَ من القضاء إلاَّ على المقدار الذي يكملُ به مبلغ التعويض المُحَدَّد مسبقًا من قبل الصندوق[1].

وبالمقابل يحقُّ للصندوق رفعُ دعوى الحلول على الشخص أو الأشخاص المسئولة عن الضرر الذي قام بتعويضه، أو يرفع هذه الدعوى على شركة التأمين بحيث تقامُ على المتسبِّبين بالحادث مثل سائقي السيارات، وتكون هذه الدعاوى التي يرفعها الصندوقُ وفقًا لمبدأ الحلول محلَّ الضحيَّة في المُطالبة بالتعويض، وهذا الحلولُ يقعُ بقوَّة القانون، والدعوى الوحيدة التي تُؤَسَّسُ على أرض علاقة السببيَّة هي الدعوى ضد المسئول عن الضرر الواقع من العدوى المنسوب إليه الخطأ مباشرةً، ولا تُقبل هذه الدعوى إلاَّ إذا كان هناك خطأٌ ثابتٌ من جانب المسئول عن الخطأ[2].

ثانيًا: آليَّة عمل صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة:

أقرَّت لجنة التعويضات في صندوق الضمان استنادًا للمادة (3/47) من القانون الفرنسيّ رقم 1406 لسنة 1991 الصَّادر بتاريخ 31 ديسمبر 1991 نظامًا داخليًّا يُحدد الإجراءاتِ القانونيَّةَ والتنظيميَّةَ للتعويضِ التكميليّ من جانب الصندوق، وتجدُ اللجنةُ نفسَها أمام الموقف الذي كانت تتمنَّى أنْ تتناوله بمنطقيَّةٍ وبإنصافٍ، وفي هذه الحالة فإنَّ فكرة الجدولة قد أصبحت مطروحةً، وكذلك في أنْ تُطَبَّقَ، حيث يتمُّ تطبيقُها في بعض الدول المتقدِّمة المعنيَّة بحقوق الضحايا، وكذلك الطبيعة الخاصَّة للضرر تقتضي

---

(1) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص539.

(2) أحمد سعيد الزقرد، تعويض ضحايا مرض الإيدز والتهاب الكبد الوبائي بسبب نقل دم ملوَّث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2007، ص119.

إثباتًا واضحًا متطابقًا مع المراحل المُختلفة للمرض، وهي: إيجابيَّة المرض ثم ظهور المرض ثم الوفاة[1]، والمُعلنة من خلال رئيس صندوق التعويض (M.R.Jouhaud) الرئيس السابق للدائرة المدنيَّة الأولى لمحكمة النقض، والتي سمح فيها باستنباط الأساس الذي يؤخذ به نظريًّا في قرارات هذا الصندوق، والوثيقة التي تمَّ مناقشتها تتضمَّنُ استدعاء مُعطيات المشكلة من حيث ضرورة السرعة في إصدار قرارٍ سريعٍ وضرورة تعويضٍ مُوَحَّدٍ في جميع أنحاء البلاد، والإنصاف في التعويض والاحتفاظ بالمستوى الأعلى من التعويض[2].

وعلى صعيد تحديد مُحتوى مذهب التعويض، وعلى سبيل المثال قضيَّة التلوث، فإنَّ القانون المطبَّق بالنسبة للجزء الخاصِّ بالأضرار الاقتصاديَّة هو القانونُ العامُّ، حيث لا يتمتَّعُ هذا النوع من الضرر بأيِّ خصوصيَّة، فهو يُمَثِّلُ حالةً من تقدير الأضرار الاقتصاديَّة هدفها إصلاحُ الخسائر التي تعرَّض لها المضرورُ بتحمُّل أعباء المصاريف الطبيَّة والخسائر عن طريق الميراث، وقد أكَّدت المحكمةُ رفض العديد من القرارات المُتناقضة مع المبدأ السَّابق المُتَعَلِّق بأحداثٍ مختلفةٍ ناجمةٍ عن التلوُّث والصَّادر من خلال صندوق التعويض[3].

وجاء في أول حكم لمحكمة النقض الفرنسيَّة يتعلَّقُ بتطبيق القانون الصَّادر في31 ديسمبر ١٩٩١م – أنَّ السَّماح بالاحتفاظ بجزء من التعويض إلى حين وصول ضحيَّة العدوى إلى مرحلة المرض الكامل مسألةٌ تتعلَّقُ بالسُّلطة التقديريَّة لقاضي الموضوع، وتتلخَّصُ وقائعُ الدعوى في أنَّ السيد آلان (M.Alain) أحد المرضى بمرض الهيموفيليا أو سيولة الدم؛ ممَّا يحتاجُ معه إلى نقل كميَّةٍ من الدم الطازج لإنقاذ حياته، وقد حدث أن انتقلت إليه العدوى بالإيدز أثناء نقل الدم الملوَّث، وذلك في الفترة بين نوفمبر ١٩٨4م ويونيه ١٩٨5م، وعندما صدر قانون ٣١ ديسمبر 1991م تقدَّم بطلبٍ إلى صندوق

---

(1) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p 838.

(2) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص544.

(3) رفضت محكمة استئناف باريس الاعترافَ بالأضرار الاقتصاديَّة لأرملة الزوج المُصاب والذي مات نتيجةَ حادثةِ سيارة وقعت على الطريق أثناء رحلةٍ مهنيَّةٍ في مرحلةِ إيجابيَّة المرض والتي لم تتعرض أو تتحمل أيَّ أضرار اقتصاديَّة، أمَّا فيما يتعلَّقُ بالضرر الخاصِّ بالتلوث فيبقى هو الأكثر إثارةً للاهتمام، حيث إنَّ محكمة الاستئناف أعطت تحديدا عامًّا باعتبار أنَّ الضرر ذو طبيعةٍ شخصيَّةٍ وغيرُ اقتصاديٍّ في مرحلة إيجابيَّة المرض؛

Benoît Apollis, Droit de la santé publique, op.cit., P. 387.

التعويض الخاصّ، فأرسل له الصندوقُ عرض تعويض رفض الضحيَّة، ثمَّ بادر برفع دعواه أمام محكمة استئناف باريس[1].

ويحقُّ للمضرور أنْ يرفعَ دعواه ضد الصندوق في حالة ما إذا تمَّ رفضُ طلب التعويض أو إذا لم يتمّ تقديم عرض التعويض في الميعاد المحدَّد بثلاثة أشهر أو في حالة ما إذا كان التعويضُ المُقترح لا يتوافقُ وحجم الضرر، وتكون جميع الدعاوى المرفوعة في ذلك الشأن من اختصاص محكمة استئناف باريس، وقد أصدرت تلك المحكمةُ مجموعةً من الأحكام، وبعد العديد من التعديلات تمَّ توحيد طرق تقدير الضرر بين الصندوق والمحكمة[2].

يلزم القانون رقم (1406) نشر تقاريرَ سنويَّةٍ تقدَّم من قبل الحكومة إلى البرلمان، وبمتابعة تلك التقارير يمكن الخروجُ بالنتائج الآتية:

1- **من الجانب الماليّ** إلى ١ مارس 1996م فإنَّ مجموع الأشخاص المضرورين الذين قاموا بالتقدُّم بطلبات تعويض قد ارتفع إلى 4426 حالة، من بينهم ٣٩٢٥ طلبًا تمَّ البتُّ فيها وتقديمها عرض التعويض، حيث تمَّ تقديم 3544 عرض تعويض للمرضى المصابين و9305 عروض للأقارب من جرَّاء الضرر المُرتد الذي أصابهم، وتمَّ رفضُ٣٢٠ طلبًا آخر، ووصلت إلى أنَّ الالتزاماتِ الماليَّةَ الواقعة على الصندوق ٧١٠ ملايين فرنك لتعويض الأضرار المعنويَّة التي أصابت الأقارب، و١١٢ مليون فرنك لتعويض الأضرار المادِّيَّة، و5528 مليون فرنك من بين ذلك ٤٧٠6 ملايين فرنك لتعويض الضرر المعنوي[3].

---

(1) وقرَّرت المحكمةُ تعويضَهُ عن أضرار العدوى ذاتها، واحتفظت بربع مبلغ التعويض إلى حين عبور الضحيَّة إلى مرحلة المرض الفعليّ، وقالت: إنَّ ذلك يتوقَّفُ على الفحص الطبيّ وشهادة الأطبَّاء، وإنَّ العبور إلى المرض الفعليّ يعدُّ ضررًا غير مؤكَّد، وقد تأيَّد هذا الحكم في محكمة النقض التي قرَّرت أنَّ مبلغ التعويض الذي يدفعه الصندوقُ يكون عن ضرر مؤكَّد وحالٍّ؛ هو حمل الفيروس، بينما عبور الضحيَّة إلى المرض الفعليّ لا يُعوض عنه؛ لأنه يعدُّ ضررًا غير مؤكَّد؛ حكم محكمة النقض الفرنسية في 31 ديسمبر 1991 مشار إليه لدى: بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص546.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p845.

(3) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص548.

2- **من الجانب القانونيّ والمعنويّ:** على الرغم من أنَّ قضيَّة الدم الملوث قد أثارت العديد من أوجه التحلُّل في النظام المؤسسيّ لنقل الدم في ذلك الوقت، فإنه وعلى العكس تبدو نشاطاتُ صندوق التعويض مثاليَّة، ولا مبالغة إذا قلنا: إنها ليس لها مثيلٌ في العالم، مع مُلاحظة أنه فيما يتعلَّقُ بالتسويات الوِدِّيَّة فقد تمَّت فيما يخصُّ الأضرار التي تتطلَّبُ تعويضاتٍ كبيرةً، كما هو الحال بالنسبة لحوادث السير[1].

ومن أهمِّ العيوب التي صاحبت هذا القانونَ هو فتح الباب أمام المضرورين في المُطالبة بالتعويض بالطرق العاديَّة إلى جانب اللجوء إلى الصندوق، وكان الأجدرُ أنْ يتمَّ توحيد وتركيز جميع المُطالبات بالتعويض أمام جهةٍ واحدةٍ وهي الصندوق، وقد فُتح ذلك الباب للعديد من أوجه التعسُّف في استعمال حقِّ المضرور[2].

ويتضحُ أنَّ المضرورين الذين حصلوا وقبلوا عرض الصندوق لا يمكنهم أنْ يحصلوا على أيِّ تعويضٍ أيًّا كان عن نفس الضرر، ولم يَعُدْ من مصلحته التقدُّم بدعوى إلاَّ إذا كان الضررُ الجديدُ قد ظهر بشكلٍ يمكِّن السلطة القضائيَّة من أن تتلقَّى دعوى التعويض[3]، وبرز هذا الحلُّ من القضاء العاديِّ الفرنسيِّ خلال الأحكام الصَّادرة من محكمة النقض[4]، قبل أنْ يُخصص عن طريق مجلس النواب الجمعيَّة المنعقدة بكامل هيئتها بتاريخ 6 يوليو ١٩٩٧م، وفي المقدِّمة الافتتاحيَّة لهذا الحكم فإنَّ المجلس أعلن بناءً على مبدأ أنَّ صندوق التعويضات للمنقول إليه مرض الهيموفيليا نتيجة فيروس الإيدز فإنه يعوّض الضحيَّة تعويضًا كاملاً عن الأضرار، وعندما يرفضُ الضحيَّة، أو لا يقبلُ الصندوقَ، لا يستطيع

---

(1) حسيني هيكل، الاتِّجاهات الحديثة في تقدير التعويض، المرجع السابق، ص320.

(2) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p848.

(3) Cass civ 26 Janv 1994.

منشور على الموقع الآتي:

https://www.legifrance.gouv.fr تاريخ الزيارة 2021/10/26

(4) Cass. Civ 14 Jany. 1998.

الحصولَ على تعويضٍ عن طريق السلطة القضائيَّة إلاَّ عن أضرارٍ رئيسةٍ لا تكون مُعوضة عن طريق الصندوق من قبل، وبعض الأحكام أخذت بوجهة النظر هذه؛ منها حكم ١٤ يناير 1993م[1].

أمَّا القضاءُ الإداريُّ فقد انتهج طريقًا مختلفًا تمامًا عن نهج المحاكم السابق توضيحها، ففي إعلان أكتوبر ١٩٩٣م قرَّر مجلس الدولة أنَّ قبول المبلغ المقدَّم من قبل الصندوق لا يشكِّلُ عقبةً في إمكانيَّة تلقِّي دعوى المسئوليَّة، وعلى القاضي أنْ يلتزمَ بتخفيض مبلغ التعويض المُعلن[2].

وهذا الحلُّ جاء في العديد من إحكام القضاء الإداريّ والخاص بموضوع قضايا النِّزاع، وكذلك أكَّد مجلس الدولة من خلال الحكم رقم ١٦ يوليو ١٩٩٧م أنه لا يمنع الضحيَّة من البحث عن مسئوليَّة المتسبِّب في الضرر، ويفترض فقط أنْ يلزمَ القاضي الإداريّ بأنْ يأخذَ بطلب التعويض عن ضرر التلوث، وأنْ يُخبر الضحيَّة أو أصحاب الحقِّ المُعَوَّضين عن الضرر الذي طالبوا به، وأنْ يُحَدِّدَ القاضي من تلقاء نفسه المبلغَ الممنوحَ كمبلغ تعويضٍ عن الضرر[3].

منشور على الموقع الآتي:

https://www.legifrance.gouv.fr تاريخ الزيارة 2021/10/28

(1) حمد سلمان سليمان الزيود، المسئولية المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث، المرجع السابق، ص646.

(2) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص549.

(3) حكم محكمة القضاء الإداري الفرنسي في 16 يوليو 1977 مشار إليه لدى: عابد عبد الفتاح، التعويض التلقائي، المرجع السابق، ص126.

المبحث الثالث

التعويض عن طريق الدولة

تمهيدٌ وتقسيمٌ:

للدور الذي تقومُ به الدولة في تعويض الأضرار النَّاتجة عن المخاطر الطبيَّة أهميَّةٌ كبيرةٌ في الحالات الصعبة التي نكون أمامها بصدد ما يمكنُ أنْ يُطلق عليها كارثة طبيَّة، وعدم وجود آليَّةٍ لها القدرةُ على التعويض بحيث يبرز الدورُ الفعَّالُ للدولة في التزامها بدفع التعويضات[1].

وعليه؛ سنتناول هذا المبحث في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: مدى التزام الدولة بالتعويض.

المطلب الثاني: مميِّزات التعويض عن طريق الدولة.

المطلب الأول

مدى التزام الدولة بالتعويض

شهدت الدولةُ العديدَ من التطوُّرات في مختلف النواحي والتي لم يكن المجالُ الطبيُّ بمنأى عنها، **ونرى** أنَّ المجالَ الطبيَّ أرحبُ هذه النواحي وأيسرُها؛ لوجود هذه التطوُّرات، لذا فقد تطوَّر مفهوم مسئوليَّة الدولة فيما يتعلَّقُ بالتعويض، واتجه تطوُّر الدولة في اتِّجاهين؛ الأول: نحو الفصل بين المسئوليَّة والتعويض، أي التأكيد التدرجي للتعويض المستقل عن المسئوليَّة، أمَّا الثاني: فهو الثبات على التعويض بدون توافر المسئوليَّة.

- **الفصل بين المسئوليَّة والتعويض المقدَّم من الدولة:**

الاصلُ العامُّ أنَّ الدولةَ لا تستطيعُ الالتزامَ بتعويض الضرر النَّاتج عن فعاليتها وفقًا لقواعد القانون العامِّ إلا في حال تحقُّق مسئوليتها عن ذلك الضرر، لكنَّ هذا الأمرَ تطوَّرَ إلى أنْ أصبحت المسئوليَّةُ

(1) Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel.op.cit.p. 858.

بدون خطأ، وأصبح التزام الدولة بالتعويض مستقلاً تمامًا عن ارتكاب أيّ سلوكٍ خاطئ من جانبها، وبالتالي فإنَّ هذه المسئوليَّةَ ذاتُ طبيعةٍ تعويضيَّةٍ بحتة[1]، وإنَّ التزام الدولة بالتعويض أصبح يضيقُ إلى حدٍّ كبيرٍ في مجال المسئوليَّة، حيث اقتصرت على عمليات نقل الدم الملوَّث بفيروس الإيدز والكيد الوبائي[2]، التي تمت في أحد المستشفيات العامَّة أو مراكز الدم التابعة لها، أو حتى تلك التي تربطها بها علاقة التبعيَّة وخاضعة لإشرافها[3].

والتعويض عن الحوادث الطبيعيَّة تلتزمُ به الدولة؛ لأنها المسئولةُ عن تعويض الأضرار التي لا يوجد مسئولٌ عنها[4]، وكما ذكرتُ أنَّ الكوارث الطبيَّة إحدى تطبيقاتها؛ أي إنَّ هذا الالتزام بدفع التعويض من جانب الدولة يفرضه القانون ولا يعتمد على القضاء[5]، وهذا الالتزام بين استقرار المسئوليَّة من جانب

---

(1) محمد محمد عبد اللطيف، قانون القضاء الإداري، الكتاب الثالث، دار النهضة العربية.القاهرة، 2004، ص301؛ أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص472.

(2) إبراهيم الدسوقي أبو الليل، مدى التزام الدولة بتعويض ضحايا الإيدز، مجلة الفتوى والتشريع، العدد الثامن، ص55.

(3) وتنصُّ المادَّة (174) من القانون المدنيّ المصريّ على أنه: "1- يكون المتبوع مسئولاً عن الضرر الذي يُحدثه تابعه بعمله غير المشروع متى كان واقعًا منه في حال تأدية وظيفته أو بسببها. 2- وتقوم رابطة التبعيَّة ولو لم يكن المتبوع حرًّا في اختيار تابعه متى كانت له عليه سلطةٌ فعليَّةٌ في رقابته وفي توجيهه"، ولا يوجد نصٌّ يطابقُ هذه المادَّة السالفة الذكر في القانون العراقيّ، ولكن توجد مادةٌ من القانون المدنيّ العراقيّ تتقاربُ منها، وهي المادَّة (219 /1) من القانون المدنيّ العراقيّ والتي نصت على أنه: "الحكومة والبلديات والمؤسَّسات الأخرى التي تقوم بخدمةٍ عامَّةٍ وكل شخصٍ يستغلُّ إحدى المؤسَّسات الصناعيَّة أو التجاريَّة مسئولون عن الضرر الذي يُحدثه مستخدموهم، إذا كان الضررُ ناشئًا عن تعدٍّ وقع منهم أثناء قيامهم بخدماتهم".

(4) محمد إبراهيم الدسوقي، المسئوليَّة المدنيَّة بين الجماعيَّة والفرديَّة، مجلة المحاماة سنة 54، عدد 2/1 يناير وفبراير 1974، ص90.

(5) وفي العراق تتحمل الدولة تعويض المتضررين عن أضرار عمليات التطعيم الصناعي، ويتم تقدير التعويض من قبل لجنة متخصصة في وزارة الصحة، وهذا استنادًا إلى المادة (4) و(5) من قانون رقم (9) لسنة 2021 الخاص بتوفير واستخدام لقاحات كورونا ، ونصت المادة (4) منه على أن " تتحمل الدولة تعويض المضررين من الاعمال او الانشطة اللازمة لعملية التطعيم" ، ونصت المادة (5) من على أن " تشكل لجنة فنية مختصة في وزارة الصحة والبيئة لتحديد

الدولة وبين ثبات التزامها بدفع التعويض مرَّ بتطوُّرات، وعليه سنتناولها في ظلِّ الملامح الجديدة للتعويض دون مسئوليَّة.

- **الملامح الجديدة للتعويض بدون مسئوليَّة:**

مبدأُ المساواة بين المواطنين برزت بشكلٍ واضحٍ في أكثر الحالات التي منح فيها المشرِّع التعويضَ، هو أولُ الملامح الجديدة وفقًا لأساس التعويض بدون مسئوليَّة[1]، وقد لاقت أنظمة التعويض الجماعيّ مقبوليَّةً واسعةً وتأكيدًا على وجوب توفير الحماية للمضرورين ووجوب تعويضهم عن الأضرار التي تلحقُ بهم؛ وذلك بسبب تزايُدِ هذه الأضرار وانتشارها بشكلٍ واسعٍ، وتعاظُم المخاطر التي يتعرَّض لها الضحايا في هذا العصر، واعتناق مبدأ التضامُن الجماعي[2] في تعويض العديد من الأضرار، كالكوارث النَّاتجة عن انتقال عدوى مرض الإيدز، وحوادث الإرهاب، وبذلك أصبح طريقًا مكملاً لنظام التأمين من المسئوليَّة[3]، ويُعتبر ما يتعلَّقُ بآليَّة دفع التعويض من الملامح الجديدة أيضًا، بحيث تلتزم الدولةُ به دون أنْ يكلَّفَ ضحايا الكوارث الطبيَّة بإثبات قيام المسئوليَّة، وهو ما يعني أنَّ هذا التعويضَ هو تعويضٌ تلقائيٌّ مرتبطٌ بتحقُّق الضرر، ويدور معه وجودًا وعدمًا[4].

وعلى ذلك؛ فلا محل لإعفاء الدولة من هذا الالتزام، على أساس أنَّ المخاطرَ المرتبطةَ بالمجال الطبيّ لا يمكنُ أنْ تصلَ إلى درجة الصفر، وهو ما يستتبعُ امتناع القول بقيام القوَّة القاهرة كسببٍ لإعفاء الدولة من المسئوليَّة لتخلُّف أحد شروطه بصفةٍ شبه دائمةٍ، وهو شرط عدم التوقُّع، فالخطر الطبيُّ متوقَّعٌ

الاضرار الناتجة عن استعمال المنتج ....." والقانون منشور في جريدة الوقائع العراقية بموجب العدد رقم 4621، بتارخ 2021/3/15.

(1) حمد سلمان سليمان الزيود، المسئولية المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث، المرجع السابق، ص683.

(2) بركات عماد الدين، التعويض عن الضرر الطبي والتأمين من مسئوليَّة الأطبَّاء المدنيَّة، دار الفكر الجامعي،2017، ص93.

(3) G. DARCY, La responsabilité de l'administration, Dalloz, 1995. p.413.

(4) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص473؛ بركات عماد الدين، التعويض عن الضرر الطبي والتأمين من مسئوليَّة الأطبَّاء المدنيَّة ، المرجع السابق، ص95.

دائمًا، فلا يوجدُ خطرٌ طبيٌّ يمكنُ أنْ يُطْلَقَ عليه خطرٌ مُنعدم (Risqué zéro)[1].

وبعد تناول مدى التزام الدولة بالتعويض والتعرُّف على الملامح الجديدة التي طرأت عليها؛ يثور التساؤلُ عن المميّزات التي يمتازُ بها التعويضُ عن طريق الدولة؟ وعليه سيتمُّ الإجابةُ عن هذا التساؤل المطروح في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

مميّزات التعويض عن طريق الدولة

التعويضُ عن طريق الدولة في مجال مخاطر الإعمال الطبيَّة يمتازُ بأنه من جهةٍ تدخُّل من حيث طرقه (متنوّع)، ومن جهةٍ أخرى تدخُّل من حيث المبدأ (مكمل).

الميزة الأولى: تدخُّل من حيث طرقه (متنوع):

يأخذُ شكل تدخُّل الدولة في تقديم التعويض للمضرورين وفقًا لاعتبارات القانون العام صورتين، هما: **(المساعدات)** و**(التعويضات)**، فالدولةُ تتبعُ نظامَ تقديم المُساعدات إلى فئةٍ من فئات المجتمع ممَّن أصابتهم كوارثُ عامَّةٌ، مثل الزلازل والبراكين والسيول والأوبئة وغيرها من الكوارث التي تحلُّ بالمجتمعات، وهي كثيرةٌ جدًّا، وعلى الرغم من عدم مسئوليَّة الدولة بتقديمها فإنها تقدِّمها على أساسين، هما: الأساس الأول منحةٌ تجودُ بها الدولة على مواطنيها دون أنْ يكونَ لهم الحقُّ في التمسُّك والمُطالبة بها، والأساس الثاني أنها مجردُ مساهمةٍ من جانب الدولة تظهرُ به بأنها مهتمةٌ اهتمامًا واسعًا بمضروريها بشكلٍ خاصٍّ ومُواطنيها بشكلٍ عامٍّ[2].

أمَّا التعويضاتُ فهي على خلاف المُساعدات فإنَّ الدولةَ تقوم بها من أجل تعويض ضحايا

---

(1) G. DARCY, La responsabilité de l'administration, op.cit. p. 426.

(2) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص475؛ أمير طالب التميمي، المسئوليَّة المدنيَّة النَّاشئة عن التدخُّلات الطبيَّة في الجنين، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2015، ص615.

المخاطر الطبيَّة على أساس فكرة المسئوليَّة، وأنَّ التعويضَ يكونُ شاملاً لكافة الأضرار النَّاجمة عن المخاطر الطبيَّة؛ وذلك بسبب ارتباط التعويض بفكرة المسئوليَّة، إذ يُشَكِّلُ التعويض الذي تقدِّمه الدولة في هذه الصورة حقًّا للمضرورين وليس منحةً أو مساهمةً من جانب الدولة كما اعتبرته في تقديم المُساعدات[1].

ويأخذ تدخُّل الدولة في تعويض الأضرار النَّاتجة عن الإعمال الطبيَّة أسلوبين في التعويض، الأسلوب الأول: تخصيص جزء من ميزانيَّة الدولة، والأسلوب الثاني: أسلوب استخدام التكاليف المشتركة[2]، وعمل في الأسلوب الأول في قضيَّة مشهورة سُمِّيَتْ باسم (هرمون النمو الملوث)[3]، وتحمَّلت الدولة تعويض هؤلاء الضحايا؛ أي أقرت من جانبها بالمسئوليَّة، وهي المسئوليَّة بدون خطأ، والذين بلغ عددُهم تقريبًا أقلّ من خمسمائة شخص بتخصيص جزءٍ خاصٍّ من ميزانيَّة وزارة الشؤون الاجتماعيَّة ووزارة الصِّحَّة، ويُلاحظ أنَّ هذا الحلَّ لا يُعمل به إلاَّ في حالة كون عدد الضحايا محدودًا، وهذا يؤكِّد خصوصيَّة الدور الذي تقومُ به الدولةُ في تعويض ضحايا المخاطر الطبيَّة، والمتمثِّل في مُواجهة الكوارث الطبيَّة التي تصيب طائفةً من المجتمع وتقعُ بصورةٍ مؤقَّتة، أمَّا المخاطرُ التي تقع بصورةٍ دائمةٍ وتصيبُ عددًا كبيرًا من الضحايا فإنه يكون من اللازم الرجوعُ إلى صندوق ضمان المخاطر الطبيَّة لكي يتمَّ تغطيتها بالتعويض[4].

الميزة الثانية: تدخُّل من حيث المبدأ (مكمل):

يأخذ التدخُّلُ التكميليُّ للدولة طابعًا احتياطيًّا وطابعًا ضروريًّا في مجال قيام الدولة بتعويض المَخاطر المُرتبطة بالأضرار التي تلحق المضرور.

الطابع الاحتياطي: فإنه يعدُّ تدخُّلاً تكميليًّا، بحيث لا يبرز دور الدولة بوضوحٍ إلاَّ في حالة عدم وجود جهةٍ مسئولةٍ عن تعويض الأضرار، وكذلك في حالة عجز آليات التعويض السابقة عن تعويض المخاطر الطبيَّة، وبذلك يكون دورُ الدولة مكملاً لنظام التأمين من المسئوليَّة الطبيَّة وليس مُوازيًا له، ولا يعدُّ تدخُّلاً فرعيًّا؛ أي ليس ضروريًّا، وإنما يعدُّ هذا التدخُّل نتيجةً حتميَّةً لتحقيق مقتضيات العدالة التي

---

(1) G. DARCY, La responsabilité de l'administration, op.cit. 429.

(2) أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص475.

(3) وهو مرضٌ خطيرٌ يصيب الأطفالَ بتليُّف الجهاز العصبي: حمد سلمان سليمان الزيود، المسئولية المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث، المرجع السابق، ص686.

(4) بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص569.

يروم الحصول عليها متضرّرو المخاطر الطبيَّة، وأنَّ آليَّة التعويض العاديَّة لا توفي وتسدُّ حاجات المضرورين عندما يكون الضررُ ناتجًا عن كارثة وبشكلٍ خاصٍ[1].

على الرغم من أنَّ تأمين المسئوليَّة يُمَثِّلُ الوسيلةَ الأساسيَّة للتعويض فإنه لا يُشَكِّلُ حلاً كافيًا في جميع الحالات خاصَّةً عند وقوع الكوارث الطبيَّة التي لا يمكنُ معها لهذا النظام التكفُّل بتعويض كلِّ الأضرار الكارثيَّة الواقعة، وبالتالي من الممكن أنْ ترفضَ شركات التأمين التعويض عن المخاطر في بعض المجالات الطبيَّة، هذا فضلاً عن أنَّ مشكلة ظهور أعراض الأمراض نتيجة العلاج أو أيّ إجراءٍ طبيٍّ يأخذ فترةً زمنيَّةً من الوقت لكي يبدأ بالظهور؛ أي بعد انتهاء فترة سريان عقد التأمين، وخاصَّةً عند عدم قُدرة الجهة الطبيَّة لتعويض الأضرار الكارثيَّة وعدم وجود طريقٍ آخرَ للتعويض إلاَّ اللجوء للدولة للحصولِ على التعويضِ المُناسبِ والتي عجزتْ عن دفعِهِ الجهةُ الطبيَّة.

من ذلك يتضحُ أنَّ تدخُّلَ الدولة وإنْ كانَ تدخُّلاً تكميليًّا إلاَّ أنه ضروريٌّ في هذا المجال، وخاصَّةً عند تحقُّق الكوارث الطبيَّة وعَجْزِ المؤمِّن عن تغطيتها[2].

---

(1) أمير طالب التميمي، المسئوليَّة المدنيَّة النَّاشئة عن التدخُّلات الطبيَّة في الجنين، المرجع السابق، ص615؛ أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة، المرجع السابق، ص473.

(2) G. DARCY, La responsabilité de l’administration, op. cit. 343.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من بحثنا حان الوقتُ لكي نقدِّم خاتمةً له، نجملُ فيها ما توصَّلنا إليه من نتائجَ، وما نقترحُه من توصيات، على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

1- اتجه المشرِّعُ الفرنسي في العصر الحديث إلى إنشاء صناديق الضمان. وهذه الصناديقُ عبارةٌ عن أجهزة، غالبًا تتمتَّع بالشخصيَّة الاعتباريَّة، تأخذ على عاتقها تعويضَ بعض أنواع الأضرار، ثم يمارس الرجوع على المسئول عن الضرر إذا كان معروفًا. ويمكنُ أنْ تُمَوَّلَ صناديقُ الضمان من أموال الميزانيَّة العامَّة للدولة، وهذا هو الغالبُ من اشتراكات بعض عقود التأمين.

2- يختلفُ التعويضُ وفقًا لنظام صناديق الضمان عن التعويض وفقًا لنظام المسئوليَّة؛ لأنَّ المسئوليَّة تعني تحديدَ مَنْ يكونُ "مسئولاً"، كما تعني التزامَ هذا المسئول "بالتعويض"، وفي المُقابل لا نجد صناديقَ الضَّمان مسئولة، وإنما هي فقط لا تريدُ أنْ تتركَ المضرور دون تعويض، خاصَّةً في الأحوال التي يتسبَّبُ في الضرر فيها القوَّة القاهرة.

3- أصبح التزامُ الدولة بالتعويض مستقلاً تمامًا عن ارتكاب أيِّ سلوكٍ خاطئٍ من جانبها، وبالتالي فإنَّ هذه المسئوليَّةَ ذاتُ طبيعةٍ تعويضيَّةٍ بحتة، وهو ما يؤكِّدُ الدورَ الإيجابيَّ للدولة في مُواجهة المخاطر الطبيَّة.

ثانيًا- التوصيات:

1- نوصي المشرع العراقيَّ باعتماد الوسائل الوديَّةِ السَّريعةِ لضمان حصول المضرورين من الإعمال الطبيَّة على حقِّهم، واعتماد الأفكار التكميليَّة في التعويض، مثل الأخذ بصناديق الضمان.

2- نوصي المشرع العراقيَّ تقرير التزام الدولة بالتعويض في بعض الأحوال بضوابطَ وشروطٍ مُعَيَّنَةٍ.

3- ندعو المشرع العراقيَّ بوضع تقنينٍ متكاملٍ للتأمين على غرار الوضع في فرنسا، يشمل جنبًا إلى جنبٍ القواعدَ العامَّةَ في التأمين والقواعدَ الخاصَّةَ بأنواع التأمين المُختلفة، وذلك للتخلص من من المشاكل التي تثار بشأن تعويض المخاطر الطبية ، وصعوبة الحصول على التعويض العادل للمضرور.

المراجع

أولًا- المراجع القانونية:

1- أحمد الصرايرة، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة النَّاتجة عن الأخطاء الطبيَّة، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2012.

2- آمال بكوش، المسئوليَّة الموضوعيَّة عن التبعات الطبيَّة، دار الجامعة الجديدة، 2017.

3- أحمد سعيد الزقرد، تعويض ضحايا مرض الإيدز والتهاب الكبد الوبائي بسبب نقل دم ملوَّث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2007.

4- محمد عبد الظاهر حسين، التأمين الإجباريُّ من المسئوليَّة المهنيَّة – دراسة تطبيقيَّة على بعض العقود، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 1996.

5- ثروت عبد الحميد عبد الحليم، تعويض الحوادث الطبيَّة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2007.

6- عاطف عبد الحميد حسن، المسئوليَّة وفايروس الإيدز: المسئوليَّة النَّاشئة عن عمليَّة نقل دم ملوثٍ بفايروس مرض الإيدز، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 2001.

7- محمود التلتي، النظريَّة العامَّة للالتزام بضمان سلامة الأشخاص، دون دار نشر، 1989.

8- محمد محمد عبد اللطيف، قانون القضاء الإداري، الكتاب الثالث، دار النهضة العربية.القاهرة، 2004.

9- بركات عماد الدين، التعويض عن الضرر الطبي والتأمين من مسئوليَّة الأطبَّاء المدنيَّة، دار الفكر الجامعي،2017.

10- حسيني هيكل، الاتِّجاهات الحديثة في تقدير التعويض دراسة مقارنة، دار الكتب القانونيَّة، 2008.

11- عابد عبد الفتاح، التعويض التلقائي للأضرار بواسطة التأمين وصناديق التعويض، دار الجامعة الجديدة، الإسكندريَّة، 2014.

12- محمد عبد الظاهر حسين، مشكلات المسئوليَّة المدنيَّة في عمليات نقل الدم، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 1995.

13- محمد عبد اللطيف، التطوُّرات الحديثة في مسئوليَّة الإدارة، دار النهضة العربيَّة، القاهرة،ح 2000.

ثانيًا- الرسائل العلمية:

1- أمير طالب التميمي، المسئوليَّة المدنيَّة النَّاشئة عن التدخُّلات الطبيَّة في الجنين، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2015.

2- أشرف جابر مرسي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة للأطبَّاء، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1999.

3- بدر عبد الله البرازي، التأمين من المسئوليَّة المدنيَّة للطبيب، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة طنطا، 2010.

4- حمد سلمان سليمان الزيود، المسئوليَّة المدنيَّة عن عمليَّة نقل الدم الملوَّث – دراسة مقارنة في الفقه الإسلاميّ والقانون الوضعي، رسالة دكتوراه، كليَّة الحقوق، جامعة عين شمس، 2007.

ثالثًا- البحوث والمجلات:

1- إبراهيم الدسوقي أبو الليل، مدى التزام الدولة بتعويض ضحايا الإيدز، مجلة الفتوى والتشريع، العدد الثامن.

2- محمد إبراهيم الدسوقي، المسئوليَّة المدنيَّة بين الجماعيَّة والفرديَّة، مجلة المحاماة سنة 54، عدد 2/1 يناير وفبراير 1974.

رابعًا- المراجع الفرنسية:

1- C. VINEY, Traité de droit civil, Introduction à la responsabilité, 2e éd., LGDJ, Paris, 1995.

2- Y. LAMBERT-FAIVRE, “L’évolution de la responsabilité civile d’une dette de responsabilité à une créance d’indemnisation”, RTD civ., 1987.

3- Lambert-Faivre et Porchy-Simon, Droit du dommage corporel, Dalloz, 2019.

4- Benoît Apollis, Droit de la santé publique, Dalloz, 10e éd, 2020.

5- G. DARCY, La responsabilité de l’administration, Dalloz, 1995.

أثر منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول

The effecting of the international commerce organization on the sovereignty of the countries.

م.م ضياء عاتي حمود 669 م.م سجاد كاظم حسين670 م.م حسين علي حميد671

الملخص :

سعت منظمة التجارة العالمية الى تطوير العلاقات التجارية الدولية عن طريقها . وهدفت الى تحقيق التنمية من خلال رفع المستوى المعاشي لشعوب الدول الاعضاء ، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية للبلدان كافة ، ووضع اليات لحل المنازعات بين الدول الاعضاء والرقي في التعامل بين الدول الى مستوى اكثر شفافية . وتتركز هذه الدراسة على بيان مفهوم واهداف منظمة التجارة العالمية ومستقبلها . بالإضافة الى توضيح مدى تأثير عملية الانضمام الى المنظمة على سيادة الدول وبيان معنى السيادة . الدراسة اضا وصلت الى نتائج مهمة في تأثير منظمة التجارة العالمية على الجانب الزراعي والصحي وتطوير الاستثمار لدى الدول الاعضاء خاصة والعالم كافة .

الكلمات المفتاحية : منظمة التجارة العالمية ، السيادة ، اثار الانضمام

The effecting of the international commerce organization on the sovereignty of the countries

669 كلية الكوت الجامعة / قسم القانون - Dheyaa.Ati@alkutcollege.edu.iq
670 كلية الكوت الجامعة / قسم القانون - sajjad.kadim@alkutcollege.edu.iq
671 كلية الكوت الجامعة / قسم القانون hussein.a.hameed@alkutcollege.edu.iq

1-Dheyaae Ati Hammood - Dheyaa.Ati@alkutcollege.edu.iq
2- Sajjad kadim Hussein - sajjad.kadim@alkutcollege.edu.iq
3- Hussein ali hameed - hussein.a.hameed@alkutcollege.edu.iq
Department of Law / Kut University College

Abstract:

The international commerce organization sought to develop the international commercial relationships by its way. It aimed to achieve the development by improve the standard of living to the members countries peoples, and contribution in achieving the economic development for the all countries ,and putting mechanisms to dispute resolutions among the members countries and sophistication in the handling among the countries to a more transparent level. This study focus on a statement of concept and the international commerce organization targets and its future. In addition to clarify the impact the process of joining the organization on sovereignty of States and Statement of the meaning of sovereignty, the study also reached to important results in effecting the international commerce organization on the agricultural and healthy side and developing the investment for the members countries in private and all of the world in general.

The key words: the international commerce organization, sovereignty and the effects of joining.

- المقدِّمة:

شهد العالم تطورات دولية مختلفة وحاسمة في القرن العشرين وعلى مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي أثرت على المجتمع الدولي ككل ولكن مع تفاوت تأثير تلك التطورات على العالم بالسلب والإيجاب إن سيطرة العالم الرأسمالي بعد حرب طويلة بإرادة لم يكن بالسهل حيث وجد أنه لا بد من إنشاء منظمات تستطيع من خلالها تحقيق أهدافها.

أن نظام الرأسمالي سعى إلى تحرير التجارة على المستوى العالمي وذلك من أجل تحقيق مصالح الدول الكبرى ولقد لعبت منظمة التجارة العالمية دورا مهما منذ تأسيسها في تسهيل العملات التجارية بين الدول وخصوصا مع تعدد التشريعات وتنوع القاءات التجارية والابتكارات حيث تعرض معظم اتفاقياتها على دول الأعضاء أخطار غيرها بالتشريعات التجارية وغيرها من

الأنظمة والأحكام ذات العلاقة والتأثير في شؤون التجارة الدولية.

لقد تناول هذا البحث موضوع منظمة التجارة العالمية من حيث نشأتها وهيكلة عملها وأهدافها وشروط الانضمام إليها لقد تميزت هذه المرحلة بتنامي وتعاظم دور الشركات متعددة الجنسيات وتكتلات الاقتصادية العابرة للإقليم وسيادة آلية السوق وأدى إلى ميلاد نظام تجاري عالمي تقوده منظمة التجارة العالمية ونجد أن عوامل عديدة ساهمت في بروز ظاهرة العولمة التي أصبحت السمة الأساسية للنظام الاقتصادي العالمي الجديد.

فقد انتهى عهد اتفاقية الجات (اتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية) لتحيي منظمة التجارة العالمية حيث استطاع ممثلو الدول المتعاقدة بالجات أن يباركوا في 1990م، انطلاق منظمة تجارة حكم يشرف على التبادلات التجارية العالمية.

أوّلاً- أهميَّة الدِّراسة:

تكمن أهمية الدراسة في إبراز دور منظمة التجارة العالمية التي تعتبر أحد أبرز فاعلي في النظام الاقتصادي العالمي في ضوء الحديث عن التنمية وسعي الدول النامية لتحقيقها وبيان الأثار المباشرة والغير مباشرة من برامج وسياسات المنظمة وأثرها على سيادة الداخلية والخارجية للدول وكذلك إبراز التشريعات والقوانين المنظمة على الدول الأعضاء وما مطلوب من الدولة العضو من إجراء التعديلات المطلوبة.

ثانياً- أهداف الدِّراسة:

تهدف هذه الدراسة للوصول إلى الأمور الآتية:

- بيان أهداف منظمة التجارة العالمية، والآليات التي تستخدمها مع الدول الراغبة بالانضمام.
- رصد الاثار الاقتصادية والسياسية التي تصاحب عملية الانضمام للمنظمة .
- إبراز الالتزامات التي تقع على عاتق الدول سواء كانت التزامات اقتصادية أو سياسية
- رصد آثار وسياسة منظمة التجارة العالمية على سيادة الدولة الخارجية والداخلية
- بيان آثار الاتفاقات التي تقوم بها المنظمة وأثرها على السلع والمواد الصناعية وكذلك أثرها على التجارة والحرية الفكرية.
- دراسة سياسة الإغراق، وما هي الإجراءات المتبعة للحد من هذه السياسة.

ثالثاً- إشكالية الدِّراسة:

من خلال دراستنا هذه؛ ارتأينا طرح الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى أثرت منظمة التجارة العالمية على السيادة، في الدول النامية؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية أسئلة فرعية؛ وهي:

- هل ساهم انضمام الدول لمنظمة التجارة العالمية إلى خلق، وإعادة تكيف الكثير من القوانين والتشريعات؛ سواء أكانت اقتصادية أم سياسية؟
- هل أن إقرار هذه القوانين كشرط أساس للموافقة على عملية الانضمام والقبول؟
- هل أن الدول النامية أُفيدت فعلاً من دخولها كأعضاء في منظمة التجارة العالمية؟ وهل أن المكاسب ستكون على حساب سيادة تلك الدول داخلياً وخارجياً؟

رابعاً- فرضية الدِّراسة:

تُعَدُّ منظمة التجارة العالمية متغير مستقل، والسيادة هي متغير تابع مع انشاء منظمة التجارة العالمية و انضمام الدول اليها اصبح هناك انتقاص من مبدأ السيادة، بسبب قيام المنظمة بصياغة قوانين اقتصادية وسياسية ملزمة للدول التي انضمت اليها؛ مما ادى الى تنازل الدول من بعض من سيدتها اقتصادياً باحتكار الاستثمار الأجنبي على الاستثمار المحلي.

خامساً- منهجية الدِّراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج تحليل النظم، إذ يساعد هذا المنهج في دراسة منظمة التجارة العالمية بشكل واضح؛ وذلك من خلال دراسة الهيكل التنظيمي لها وشروط العضوية فيها والالية التي تعمل بها المنظمة، إذ يمكننا القول أن هناك مدخلات النظام السياسي، المتمثل بالدول المنظمة اليها؛ وذلك لتبيان هل أدت تلك المدخلات إلى أن تتخذ القرارات المناسبة، وتأخذ بعين الاعتبار تلك المدخلات.

سادساً- الدِّراسات السابقة:

1- دراسة بعنوان: (الجات ونهب الجنوب):

تناولت هذه الدراسة الاطار التاريخي لنشأة الجات؛ وأبرز اتفاقياتها. كما تناولت الأهداف والمبادئ وجولات التفاوض، وركزت هذه الدراسة – أيضاً- على تغيير الظروف الدولية التي سبقت قيام منظمة التجارة العالمية، التي كان من أبرزها انهيار المنظومة الاشتراكية. وفي النهاية؛ خلصت هذه الدراسة إلى أن الدول النامية هي الخاسر الوحيد، من تحرير التجارة وفق الشروط التي وضعتها المنظمة.

2- **دراسة بعنوان: (منظمة التجارة العالمية واقتصاديات الدول النامية):** وقد ركزت هذه الدراسة على الظروف الدولية النشأة المنظمة، والاثار المترتبة على الظروف الدولية النشأة المنظمة، وعلى الاثار المتوقعة على اقتصاديات البلدان النامية، إذ أكدت الدراسة – أيضاً- على أن السلبيات؛ وهي جمة وموجودة، والايجابيات بحاجة الى الكثير من المراجعات والمواقف الموحدة حتى تتحقق.

تقسيم الدِّراسة

-المبحث الأول:

-المطلب الأول: مفهوم وأهداف منظمة التجارة العالمية.

المطلب الثاني: الهيكل المؤسسي لمنظمة التجارة العالمية.

المطلب الثالث: العضوية والانضمام لمنظمة التجارة العالمية.

المطلب الرابع: مستقبل منظمة التجارة العالمية.

-المبحث الثاني:

المطلب الأول: مفهوم السيادة .

المطلب الثاني: تأثير منظمة التجارة العالمية في سيادة الدول.

المطلب الثالث: السيادة كمفهوم سياسي وارتباطه بوجود الدولة.

-المبحث الثالث:

-المطلب الأول: أثر اتفاقات منظمة التجارة العالمية على الجانب الزراعي.

المطلب الثاني: أثر اتفاقات منظمة التجارة العالمية على الصحة والصحة النباتية.

المطلب الثالث: أثر اتفاقات منظمة التجارة العالمية على الإجراءات الدولية والاستثمار.

- **الخاتمة.**

- **التوصيات**

-المصادر والمراجع.

المبحث الأول

المطلب الأوَّل- مفهوم منظمة التجارة العالمية وأهدافها:

وتُعَرَّفُ بأنها "منظمة عالمية مقرها في سويسرا، مهمتها الأساسية هي ضمان انسياب التجارة بأكبر قدر ممكن من السلامة واليسر والحرية. وهي المنظمة العالمية الوحيدة المختصة بالقوانين الدولية المعنية بالتجارة ما بين الدول".

تشاد منظمة التجارة العالمية عام 1995م، التي تعتبر من أصغر المنظمات عمراً، إذ إن المنظمة خليفة الاتفاقية العامة للتعرقات الجمركية (الجات). وبالرغم من حداثة المنظمة إلا إن النظام التجاري متعددة الأطراف، الذي تم وضعه تحت الجات بلغ خمسون عاما(672).

وأصبحت منظمة التجارة العالمية المؤسسة المسؤولة عن الاشراف على تنفيذ جميع الاتفاقات المتعددة الأطراف، التي جرى التفاوض بشأنها ويشملها التفاوض مستقبلا، إذ إن المنظمة التجارة العالمية تسعى إلى تطوير العلاقات التجارية الدولية من خلال إيجاد منتدى للمفاوضات الدولية. وتهدف الى تحقيق التنمية من خلال رفع مستوى المعيشة للدول الاعضاء، والمساهمة لتحقيق التنمية الاقتصادية لجميع الدول، وحل المنازعات وإيجاد آلية تواصل بين الدول الأعضاء وزيادة الشفافية في المعاملات التجارية تحكمها تلك التشريعات.

(672) (خطاطبة، ليث محمود حسن،٢٠١١)، قضايا منظمة التجارة العالمية وانعكاساتها على الأردن والدول العربية، بحث ، الجامعة الأردنية، الأردن/ عمان.

وعلى الرغم من الأهداف التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها؛ ولكن البعض يرى أن لها آثار سلبية وأخرى إيجابية، وخصوصاً بالنسبة للبلدان النامية.

فمن الناحية الإيجابية:

1- الاتفاقات الجديدة تتيح للدول النامية فرصاً واسعة، على تصنيع المنتجات، التي تمتلك فيها مزايا نسبية؛ فضلاً عن انفتاح الأسواق، من أجل تصدير بضائعها الصناعية.
2- تكفل لها معاملة متميزة في الكثير من المجالات.

أما من الناحية السلبية؛ فيرى البعض أن لها سلبيات تفوق إيجابياتها؛ وهي:

1- ترى البلدان النامية أن هناك عدم التزام من قبل الدول المتقدمة، وخصوصاً في جانب الإعانات الزراعية.
2- ارتفاع المنتوج الزراعي؛ وذلك بسبب إلغاء الدعم الزراعي.
3- ارتفاع تكلفة برامج التنمية؛ نتيجة لما سيترتب على تطبيق الاتفاقات الخاصة، بالملكية الفردية.(673)

ومن الأهداف الأساسية لمنظمة التجارة العالمية إرساء قواعد منافسة عادلة في معاملات التجارية والأسواق المحلية والدولية ولبلوغ ذلك الهدف تعمل المنظمة على تقليص، وإزالة الإعانات الحكومية التي تؤثر بشكل سلبي على المنافسة وعلى الأسعار والإنتاج بشكل خاص، وفي هذا الإطار؛ ضعفت اتفاقيات منظمة التجارية العالمية الدعم الحكومي للمنتجات السلعية إلى دعم محظور ودعم مسموح به. وأمام هذه المتغيرات المفروضة، على السياسات الصناعية الوطنية؛ فعلى الدول إعادة هيكلة دعم الحكومة الموجه

(673) د فهد، أيسر ياسين ،٢٠٠٩) منظمة التجارة العالمية واقع انضمام العراق، الهيئة الوطنية للاستثمار العراق (م. بغداد

للصناعات المحلية، وإعادة توزيعه والتركيز على جوانب الدعم غير المحظور، التي تكون له فائدة اقتصادية عالية(674).

المطلب الثَّاني- الهيكل المؤسسي لمنظمة التجارة العالمية:

أولاً- المؤتمر الوزاري:

هو الهيئة العليا المنظمة التجارة العالمية، ويكون من تمثيل الدول الأعضاء كافة، للمؤتمرات الدولية وسلطات اتخاذ القرارات، في الأمور التابعة كافة، لأي من الاتفاقيات المتعددة الأطراف منظمة التجارة العالمية. ومع ذلك؛ لا ينعقد بشكل متكرر منذ عام 1955.

وتعد جلسات المؤتمر الوزاري، من الأحداث العالمية الكبرى. وبالتالي؛ تركز تفكير القادة السياسيين من أعضاء المنظمة التجارة على تحديات الحالية التي تواجه مستقبل نظام التجارة.

ثانياً- المجلس العام:

يتكون المجلس العام من دبلوماسيين على مستوى السفراء، يجتمعون مرة كل شهرين؛ وهم ممثلون في المجلس العام، كما أن الهيئات الأخرى كافة، لمنظمة التجارة العالمية باستثناء المؤتمر التجاري يجتمع المجلس العام في المركز الرئيس في جنيف.

يقع على مجلس الإدارة اليومية للمنظمة ونشاطاتها المتعددة من بين الجلسات، التي يعقدها المؤتمر الوزاري يستخدم المجلس العام كل السلطات المخولة للمؤتمر الوزاري؛ علاوة على السلطات الخاصة للمؤتمر الوزاري ويتولى المجلس العام القيام ببعض المهام التي يكلف بها على وجه الخصوص، والمجلس العام مسؤول عن تبني الميزانية السنوية والقواعد المالية والمهام الأخرى للمجلس أيضاً، تسوية

---

(674) (مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية،٢٠٠٣)، اثار منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول في الوطن العربي.

النزاعات والمراجعة سياسة التجارة، وتعقد هيئة تسوية النزاعات اجتماعات المنظمة مرة كل شهر، وقد تعقد اجتماعاً إضافياً خلال هذا الشهر.

ثالثاً- مجالس متخصص لجان ومجموعات عمل:

من المستويات الأقل من المجلس العام هيئة تسوية النزاعات وهيئة مراجعة سياسة التجارية هناك ثلاث مجالس متخصصة؛ وهي: (مجلس تجارة السلع، ومجلس تجارة الخدمات)، واتفاقية حقوق الملكية الفكرية كان أعضاء منظمة التجارة العالمية ممثلون في هذه المجالس المتخصصة على الرغم من أن الكثير من الأعضاء وعلى الأخص أعضاء البلدان النامية، قد يجدون صعوبة الحضور لكل الاجتماعات تبعا لتوجيهات العامة للمجلس العام هذه المجالس المتخصصة تراقب تفعيل الاتفاقيات متعددة الأطراف؛ فهم يساعدون المجلس العام والمجلس الوزاري على تأدية مهامهم.

رابعاً- هيئة شبه قضائية وغيرها من الهيئات غير السياسية:

كانت هيئات منظمة التجارة العالمية المذكورة هم هينات سياسية بطبيعتهم لدى منظمة التجارة العالمية بعض الهيئات الشبه قضائية، وغيرها من الهيئات غير السياسية، وأكثرهم شهرة؛ هم الهيئات المخصصة لغرض تسوية النزاعات وهيئة الاستئناف الدائمة وللمنظمة هيئات أخرى التي لم تكن شبه قضائية بطبيعتها فهي بالتأكيد غير سياسية أفضل مثل لهذه الهيئات هي هيئة مراقبة المنسوجات وتتكون هذه الهيئة من وطنيين الذين يجلسون ليسوا كممثلين عن بلدانهم بل بصفتهم الشخصية .

خامساً- سكرتارية منظمة التجارة العالمية:

لدى منظمة التجارة العالمية سكرتارية قائمة في جنيف سويسرا، مع فريق عمل يصل إلى (550) من العالمين؛ وهذا يجعلها أحد أصغر السكرتاريات المنظمات الدولية الرئيسة، المدير العام الذي تم اختياره بواسطة المؤتمر الوزاري، إذ يتبني الأنظمة التي تحدد السلطات وواجبات وشروط الخدمة وشرط مكتب المدير العام. ويتكون نظام سكرتارية منظمة التجارية العالمية من أقسام لها دور وظيفي، على سبيل المثال: (قسم الزراعة، والسلع، والخدمات، وقسم الوصول للسوق)؛ وهذه الأقسام لها دور معلوماتي وإيصال متبادل؛ مثل: (قسم العلاقات الإعلامية). وأقسام لها دور في دعمها؛ مثل: (قسم الخدمات

العامة، وخدمات اللغة، والمستندات)، ويرأس الأقسام عادة مدير يقدم تقاريره لواحد من أربع نواب أو للمدير العام مباشرة(675).

المطلب الثَّالث– العضوية والانضمام:

في 1 سبتمبر أيلول من العام 200م؛ كان عدد الأعضاء (144) عضواً، وأن عضوية منظمة التجارة لا تشمل الدول فقط؛ بل تشمل مناطق جمركية لها استقلالية كاملة في التعامل في العلاقات التجارية الخارجية، والمواضيع الأخرى التي تغطيها اتفاقية منظمة التجارة العالمية؛ فمن الممكن انضمامهم لعضوية منظمة التجارة العالمية.

ومثل هؤلاء الأعضاء؛ هم ليسوا دولاً، ولكن مناطق جمركية لها استقلالية كاملة؛ هم: (هونج كونج، والصين)، والمنظمة الجمركية المستقلة لتايوان وبانجو؛ بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي الذي هو عضو في منظمة التجارة العالمية، ولكن هذه الحالية تكون منفصلة. منصوصاً عليها بشكل خاص، في اتفاقية منظمة التجارة العالمية كل من الاتحاد الأوروبي، و107 دولة للاتحاد الأوروبي؛ هم أعضاء منظمة التجارة العالمية.

أما البلدان النامية؛ فالأغلبية الكبرى من الأعضاء (144)، من البلدان النامية يعتمد إلى درجة كبيرة على الاختبار الذاتي. ويعلن الأعضاء عن أنفسهم سواء هم دولة متقدمة أو بلدان نامية ويتمتع أعضاء البلدان النامية بالمعاملة الخاصة والتفضيلية، تحت كثير من الاتفاقيات في المنظمة التجارة العالمية يتلقون معاونة فنية منظمة التجارة العالمية.

ويمكن لغيرهم من الأعضاء وهم يقومون بذلك بين حين وأخر الاعتراض على قرار من عضو ما؛ للاستفادة من شروط المعاملة الخاصة والتفضيلية المتاحة للبلدان النامية، إذ أدوا بشكل متزايد أعضاء البلدان النامية في الأعوام القليلة الماضية دوراً مهماً في المنظمة، وهذه الأهمية في المؤتمر الوزاري في نوفمبر تشرين الثاني 2008م، وانعكس ذلك على برنامج منظمة التجارة العالمية، الذي تم في الدوحة .

(675) (مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية، 2003)، تسوية النزاعات، منظمة الأمم المتحدة، بنيويورك وجنيف، ص15–18.

وتُعَدُّ البلدان الأقل نمواً؛ تم تعرفها بهذا الاسم من قبل منظمة التجارة، إذ لها معاملة خاصة وتفضيلية إضافية.

ويجب على الدولة الراغب بالانضمام، خلال المفوضات؛ الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة التحديد تشريعاتها الوطنية لتتفق مع قواعد المنظمة، ويجب عليها التعهد بتخفيض التعرفة الجمركية لتعديل أنظمتها لتسهيل وصول السلع والخدمات الأجنبية إلى أسواقها(676).

وتعتمد عملية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية على مبدأ (العقد شريعة المتعاقدين)؛ أي أن شروط الانضمام تختلف كل دولة عن الأخرى من حيث الانضمام والمفاوضات؛ فهي بالأساس عملية تفاوض بين الدول الراغبة في الانضمام، ولأعضاء الآخرين في المنظمة، إذ يتيح ذلك لكل دولة من فرض شروط على العضو الراغب بالانضمام، بما يتناسب مع مصالحها التجارية(677). أما الانسحاب؛ فقد أجادت المنظمة الطرف الراغب بالانسحاب ذلك الحق بأن يكون ساريا لمدة ستة أشهر من تاريخ إبلاغ الطرف الراغب بالانسحاب إخطار المحرر لدى مدير عام المنظمة ويعني الانسحاب من المنظمة واتفاقيتها سقوط حق الطرف المنسحب لكافة الامتيازات والمعاملة التفصيلية التي يحصل عليها بموجب التزامات الدول الأخرى كما يكون العضو المنسحب في حل كل التزاماته، وقد أعطت هذه المدة من أجل فسح المجال أمام دول الأعضاء من أجل تشاور مع العضو المنسحب(678).

المطلب الرَّابع– مستقبل منظمة التجارة العالمية:

مما لا شك فيه، أن اتفاقية الجات الجديدة ذات آثار مهمة، وبالذات بالنسبة للدول النامية بإلغاء سياسة دعم المنتجات الزراعية في الدول المتقدمة المصدر لهذه المنتجات؛ سيؤدي إلى ارتفاع أسعارها. وبالتالي؛ زيادة المبالغ المخصصة باستيراد المنتجات الزراعية، وما لذلك من تأثير سلبي على الميزان التجاري. كما أن فتح باب المنافسة الكاملة لسوق المنسوجات والملابس لهذا القطاع، الذي تعتمد على

---

(676) مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية 2003، تسوية النزاعات، بنود جنيف، ص١٩–٢٠.

(677) (م. د أيسر محمود، 2009)، منظمة التجارة العالمية واقع العالم العراق الهيئة الوطنية للاستثمار، العراق- بغداد، ص3.

(678) (حناشي أميرة، 2008)، مبدأ السيادة في التحولات الدولية الراهنة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري– كلية الحقوق، الجزائر، ص23.

صادرته الدول؛ سيؤدي إلى تزايد المنافسة بين المنتجين أصحاب التكاليف الأقل؛ وسيعرض قطاع المنسوجات والملابس إلى تغيرات هيكلية عميقة، على أساس تقسيم دولي جديد؛ للعمل في هذه الصناعة ليعود مرات أخرى، إلى الارتكاز على المزايا النسبية التي تتمتع بها كل دولة.

كما أنه لا يمكن أغفال أثار اتفاقيات الجات الجديدة على اقتصاديات الدول، وبالذات الدول النامية منها. غير إن التعامل مع هذه الآثار؛ أصبح لا بد أن يتجاوز مرحلة تزيد ورصد هذه الأثار، بأن يتم البحث عن إمكانية التعامل معها وموجهتها من الناحية العملية، في إطار منظمة التجارة العالمية. ويمكن تلمس آثار اتفاقية الجات الجديدة، في كل من النطاق الوطني والنطاق الدولي. ففي النطاق الوطني؛ فإنه لا بد من اتباع السياسات، واتخاذ التدابير اللازمة لتكييفه ولتطابقه مع ما تضمنته الاتفاقيات من قواعد؛ حتى لا تقع الدول تحت طائلة هذه الاتفاقيات. وفي النطاق الدولي؛ فإن منظمة التجارة العالمية يجب عليها أن تعمل على احترام الدول الأعضاء جميعها، لاتفاقيات المبرمة مع مراعة الظروف الخاصة بدول أو أوضاع معينة، وفقاً للدول التي تم إقراضها في اتفاقية الجات عام 1994.

كما نجد أن مستقبل المنظمة مرتبطاً بنوعين من التحديات: أحدهما؛ ذات طبيعة تتعلق بالمنظمة ذاتها. والأخر؛ ذات طبيعة واقعية يتصل بواقع كل المسائل محل التنظيم الدولي ذاتها. ومهما كانت التحديات؛ فإنه يظل في المنظمة من عناصر قوة؛ مما يكفل لها القدرة على مواجهة تحديات، أو على الأقل التحقيق من حدتها.(679)

كما نجد أن منظمة التجارة العالمية، تقوم بعدة وظائف؛ يمكن إيجازها بالآتي:

(679) (خطاطبة، ليث محمود حسن، 2011)، قضايا منظمة التجارة العالمية وانعكاساها على الأردن والدول العربية، بحث منشور – الجامعة الأردنية، عمان ص35–36.

1- الإشراف على تنفيذ الاتفاقات التجارية، متعددة الأطراف، التي تنظم العلاقات التجارية بين الدول.

2- تنظيم المفاوضات الدولية، بخصوص تنفيذ الاتفاقات المتعلقة بتحديد التجارة الدولية.

3- الإشراف على فض المنازعات الدولية، بخصوص تطبيق نصوص الاتفاقيات التجارية وتسوية المنازعات، وفق الأسس والمبادئ التي نصت عليها الاتفاقيات الخاصة بذلك.

4- إدارة ومراقبة السياسات التجارية، وفق الأسس المتفق عليها في اجتماع (1994).

5- التعاون مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والوكالات التابعة لها، من أجل تحقيق قدر أكثر من التنسيق، في وضع السياسات الاقتصادية العالمية.

6- تحقيق التنمية ورفع من مستوى المعيشة للدول الأعضاء، وخاصة الدول التي يزيد أعضائها عن (75%) من جملة الأعضاء.

7- تنفيذ اتفاقية الأورجواي التي تحتاج إلى إطار مؤسسي فاعل من الناحية القانونية.

8- إيجاد آلية تواصل بين دول الأعضاء؛ تؤدي إلى الشفافية دوراً مهما في تسهيل المعاملات التجارية بين الدول.

وبناءً على ذلك؛ نجد أن المهام التي تمارسها المنظمة، والإصلاحات الممنوحة لها بمراقبة جميع دول الأعضاء؛ تجعل المجال واسعاً أمامها، لفرض سيطرتها وبسط نفوذها على الدولة. وعندها؛ تكون مهمتها أكثر سهولة في تحقيق التجارة وفتح الأسواق(680).

المبحث الثاني

المطلب الأوَّل- مفهوم السيادة:

للسيادة عدة تعريفات واصطلاحات ومفاهيم؛ سيتم تناولها فيما يلي:

(680) (باكير، راني محمود غضبان، 2007)، آثار منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول في الوطن العربي، ص18- 19.

عرفت محكمة العدل الدولية السيادة؛ بأنها "السيادة بحكم الضرورة هي ولاية الدولة في حدود إقليمها ولاية انفرادية ومطلقة، وأن احترام السيادة الإقليمية بين الدول؛ يُعَدُّ أساساً جوهرياً من أسس العلاقات الدولية"(681).

والسيادة بمفهومها المعاصر؛ فكرة حديثة نسبياً مرت بظروف تاريخية، بعد أن كان الملك هو الحاكم السائد ويملك حق السيادة؛ ثم أخذت من طابعها الديني وانتقلت إلى الكنيسة، التي كانت سنداً للبابا ودعماً له في استحواذ السلطة؛ ثم انتقلت إلى الفرنسيين ليضعوا فيها نظرية السيادة في أثناء الصراع بين الملكية الفرنسية الوسطى في القرن الخامس عشر، من أجل التخلص من حكم البابا، وتحقيق الاستقلال الخارجي، إذ كان أكثر المفكرين الفرنسيين بالسيادة في (جان بودان)، في كتابه الكتب الستة للجمهورية.

وتقرر قيام الأمم المتحدة على مبدأ المساواة في السيادة؛ لتكون كل دولة متساوية من حيث التمتع بالحقوق والالتزامات والواجبات مع الدول الأعضاء في الأمم، بغض النظر عن أصلها ومساحاتها وشكل حكوماتها؛ إلا إن الدول الخمس احتفظت لنفسها بسلطات ناقصة. كما مثل مبدأ السيادة الوطنية أحد المبادئ المهمة، التي قام عليها القانون الدولي المعاصر، إذ نجد أن ميثاق الأمم المتحدة أخذ بهذا المبدأ؛ فنجد أنه يؤكد على مبدأ المساواة والسيادة، وكذلك عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة.

ويترتب على ذلك؛ أن فكرة السيادة تقوم على الفقرات الآتية:

1- إن جميع الدول لها الحق التمتع بكامل المزايا الكامنة للسيادة.
2- المساواة القانونية بينها؛ أي إنه لا يوجد تدرج بالسيادات؛ ومعنى ذلك؛ إن كل الدول متساوية في الحقوق والواجبات؛ حتى وإن كان هناك اختلاف فيما بينها، من حيث المساحة الجغرافية، أو الكثافة السكانية.
3- عدم جواز التدخل في شؤون الدول الأخرى؛ وهذا من المبادئ الرئيسة التي انبثقت عنها فكرة السيادة.

(681) (هيكل، فتوح أبو دهب، 2014)، التدخل الدولي لمكافحة الارهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية، ط1، مركز الامارات للبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية، أبو ضبي، ص15.

كما أن السيادة؛ تُعَرَّفُ بأنها "اصطلاحاً قانونياً؛ يعبر عن صفةٍ من له السلطة؛ وهو لا يستمد السلطة إلا من ذاته، ولا يشاركه فيها أحد، وان السيادة؛ هي أشمل من السلطة. والسلطة؛ هي ممارسة السيادة". ويرى الفقهاء، أن سيادة الدولة تقوم على جملة من الخصائص؛ وهي:

1- شاملة؛ أي إنها تطبق على جميع المواطنين في الدولة، ومن يقيم في إقليمها.
2- لا يمكن التنازل عنها؛ بمعنى أن الدولة لا يمكن أن تتنازل عنها. وإذا تنازلت عنها؛ فقدت ذاتها.
3- مطلقة؛ أي إنه لا توجد هيئة أعلى من الدولة؛ فهي بذلك أعلى صفات الدولة، ويكون للدولة السلطة على جميع المواطنين.
4- دائمة؛ أي إنها تدوم مادامت الدولة قائمة، والعكس صحيح.
5- غير قابلة للتقادم؛ أي إن السيادة لا تسقط؛ حتى ولو توقف العمل بها لفترة معينة، سواء أكانت هذه المدة قصيرة أم طويلة.
6- لا تتجزأ؛ أي إنه لا توجد في الدولة، سوى سيادة واحدة أو سلطة واحدة، لا يمكن تجزئتها، ويرتبط هذا المبدأ بمبدأ عدم التنازل عن السيادة(682).

وقد حاول الكثير من الفقهاء وضع تعريف أو مفهوم للسيادة؛ إذ أشار إليه الفلاسفة اليونانيين، عندما ذكره أرسطو بأنها "السلطة المطلقة داخل الدولة، أو الطاقة المطلقة لقوانين الدولة، بوصفها صاحبة السيادة العليا، التي لا تعلو عليها أي سلطة أخرى".

أما أفلاطون؛ فيرى بأن السيادة هي "السلطة اللصيقة بشخص الحاكم". في حين يرى آخرون بأنها "القانون وليس للحاكم"(683).

المطلب الثَّاني- تأثير منظمة التجارة العالمية في سيادة الدولة:

(682) (حناشي، أميرة، 2008)، مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية الراهنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري- كلية الحقوق، الجزائر، ص17- 20.

(683) (العيسى، طلال ياسين، 2010)، السيدة بين مفهومها التقليدي والمعاصر (دراسة مدى تدويل السيادة في العصر الحاضر)، كلية الدراسات القانونية- جامعة جدارا، عمان، ص46.

يُعَدُّ موضوع السيادة من الموضوعات المهمة، في مبادئ القانون الدولي المعاصر، الذي كرسته معظم المواثيق للمظلمات الدولية. وتشكل إلى جانب الشخصية القانونية؛ العنصرين القانونيين للدولة، إذ بدونها لا يمكن الحديث عن وجود دولة؛ أي لاوجود للدولة من دون أن تمتلك السيادة؛ فنجد أن قوانين الأمم المتحدة قد دققت على إلى المساواة السيادية بين الدول، إذ جاء فيها: "أن تقوم المنظمة على مبدأ المساواة، بين جميع الأعضاء بدون تفرقة أو تمييز؛ أي بالنظر للجميع الدول الأعضاء بنظرةٍ واحدة وبنفس التعامل".

كما نجد أن للسيادة – على مستوى الدول– اهتماماً كبيراً لدى الدول، إذ أصبحت تتخذ من مبادئ السيادة اساسا للدخول للاتفاقيات؛ أي إنها قد لا تدخل في أي اتفاقية بحجة أنها تمس سيادة الدولة. وفي الواقع؛ أن النقاش بشأن تأثير اتفاقات المنظمة على سيادة الدول نركز على نقطه مهمه؛ وهو الحد من سيادة الدول ومن ناحية سلطة اتخاذ القرار، إذ إن القانون التجاري لا يعرف الحدود السياسية للدولة؛ بل يقترن بالربح والخسارة وتدفق رؤوس الأموال، وهذا قد يخلق مخاطر لأصحاب الدخول الضعيفة، لا سيما البلدان النامية، ويمثل تهديداً لها لأن هذه الاتفاقات وضعت في ظل ضعف القوى التفاوضية، أمام تعاظم الحركة التجارية والمالية، وما تحمله العولمة الاقتصادية من آثار سلبية. غير إنها نجحت في ترسيخ الأطر الإقليمية المبنية على مصالح مشتركة؛ سواء أكانت مصالح: (اقتصادية، أم سياسية، أم ثقافية)، وخاصة مع بروز العديد من الدول؛ ومثال ذلك جنوب شرق آسيا، الذي حقق تقدماً اقتصادياً وسياسياً، إذ نجد أن المتأثر الوحيد من النظام التجاري الجديد؛ هي البلدان النامية(684).

وتُعَدُّ منظمة التجارة العالمية من أخطر مؤسسات العولمة؛ لأنها تقوم تحويل الاقتصاديات المحلية المنغلقة على نفسها، إلى اقتصادياً مفتوحة ومندمجة مع النظام الرأسمالي العالمي عكس ما كان معمول به في اتفاقية الجات للعملات التجارية. وتعمل على رفع الحواجز الجمركية على السلع والخدمات من أجل تأسيس قواعد التخصص، وتقسيم العمل الدولي على زيادة فاعلية اقتصاديات الدول الكبرى. الهدف من ذلك؛ هو عولمة وتطبيق حرية التجارة.

(684) (برزيخ، خالد)، آثار اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة على سيادة الدول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معموري– كلية الحقوق، الجزائر، ص18.

ونجد أن المنظمة وضعت من الشروط الانضمام إليها؛ هو على الدولة التخلي طواعية من مختلف أشكال الرقابة والحماية في قطاع الزراعة والموارد الطبيعية، وكذلك النظم التربوية والصحية، وكذلك التشريعات والقوانين الداخلية التي يجب أن تتطابق مع تشريعات المنظمة، وهذا بحد ذاته مساس مباشر للسيادة الدولة واختراق لها.

كما نجد أن هنالك نوع من أنواع العولمة؛ وهي العولمة المفرطة الذي تقوم على إهمال الدور المركزي للدولة، معتبراً إياها خاضعة للمجموعة الدولية؛ وهذا التيار يؤيده الليبراليون الذين يولون اهتماماً بالفرد، وبحرية السوق؛ وكذلك الماركسيون الذين يرون أن العولمة إنما هي انتصار للرأسمالية الاحتكارية.

وبناءً على ذلك؛ فعندما نقر بشروط العولمة؛ فإننا نقر بشروط تلك المنظمات والمؤسسات المالية، وعلى سبيل المثال – كما تم ذكره سابقاً في مسألة الانضمام– هو أن تقوم الدولة بتغيير جذري لبنيانها الداخلي، بما يتناسب مع أهداف المنظمة من خلال ذلك؛ فدور الدولة سيبقى نظرياً الفاعل الرئيس في تأدية مهامها ووظائفها ومسؤولياتها في زمن العولمة، ومتمسكة بسيادة كاملة غير منقوصة؛ ولكن في إطار تنامي التكتلات الاقتصادية والسياسية والعالمية. كما أن دور الدولة اصبح يتخلخل ويتقلص بشكل تدريجي نتيجة التخلي الطوعي، من بعض مظاهر السيادة بغية تحقيق التكامل والاندماج، ليس في المجال الاقتصادي والسياسي فحسب؛ وإنما في بقية مجالات الحياة الأخرى(685).

كما نرى أن الدور الذي تقوم به المنظمات، من جهة دخولها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وممارستها لسلطتها داخل حدود الدولة الوطنية؛ فظهرت المنظمات غير الحكومية ذات النزعة الإنسانية، التي كان هدفها التدخل في السيادة الداخلية للدولة؛ ومنها: (منظمة العفو الدولية، ومنظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة السلام الأخضر)؛ فكان على هذه المنظمات تعين مستشارين في الوفود الرسمية، وتنظم مؤتمرات رسمية، وتُشكَّل كجماعات أطفال جديدة، ذات بعد عالمي للمجموعات غير الحكومية.

---

(685) (جندلي، عبد الناصر)، الاتجاهات الفكرية المفسرة لمدى تثير العولمة ومؤسساتها المالية والاقتصادية على سياسة الدول في ظل النظام الدولي الجديد، جامعة باتنه- كلية الحقوق، الجزائر، ص6- 8.

وتمارسه هذه المنظمات دوراً مهماً، كمنظمة السلام الأخضر وغيرها من المنظمات غير الحكومية، بعد اختراق السيادة الدولة الخارجية، إذ يمكن قياس ذلك على جميع المنظمات غير الحكومية ذات النفوذ العالمي، المعتمدة على مساندة الرأي العام العالمي.

ومن المؤشرات الأخرى على اختراق المنظمات غير الحكومية، للسيادة الخارجية للدولة؛ هو الدور الذي تقوم به في العلاقات مع الدول الأخرى، متجاهلة الحكومات الوطنية والانخراط مباشرة في السياسة العالمية، من دون وساطة الدولة القومية، إذ يمكن لها جمع المعلومات عبر الاستعمال المباشر، أو وسائل الإعلام، من اجل تشكيل الوعي الوطني والدولي. وبالتالي؛ سيكون هناك تجنيد فاعل للأفراد، ودعم الشبكات عبر عملية التفاعل وحوار اجتماعي عالمي يومي. وبذلك؛ تفقد الدولة دورها التقليدي في السياسة الخارجية، على اعتبارها الممثل الوحيد الذي يحكمهم؛ وهذا يصعب جزئياً من ادعائها المشروعية(686).

المطلب الثَّالث– السيادة كمفهوم سياسي وارتباطه بوجود الدولة:

إن السيادة بمفهومها القانوني؛ ارتبطت بوجود الدولة القومية الحديثة، وأصبح من أهم سماتها الأساسية، وكذلك عندما تقوم بعرض الدولة بأنها كيان يتمتع بالسيادة. ونقصد به؛ أن الدولة في التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يحق له دون غيره؛ أن يحتكر أدوات القوة التي تحتاجها منظمة أدوات القهر والإكراه، من أجل فرض سلطة على مجمل الإقليم الذي يشكل حدوده السياسية، وعلى الأفراد الذين يغطون هذا الإقليم.

ومعنى ذلك؛ أن الدولة التي تتمتع بخصوصية السيادة؛ هي التي يبرر لها احتكارها لأدوات القوة اللازمة ليمكنها من القيام بوظائفها وأدوارها المختلفة، على الصعيدين: (الداخلي، والخارجي)؛ وهي وظائف وأدوار حيوية للغاية، وغير قابل للاختزال على الرغم من أن مضمونها وأساليب القيام بها تقبل التغيير والتحول لمواكبة التطور المستمر في طبيعة العلاقات الدولية. ولذا؛ فإن الدولة هي وحدها المسؤولة عن سن القوانين، وفرض الالتزام بها، وتحقيق الأمن والنظام والاستقرار في الداخل؛ وهي

(686) (هيكل، فتوح أبو دهب، 2014)، التدخل الدولي لمكافحة الارهابي وانعكاساته على السيادة الوطنية، مصدر سابق، ص27.

وحدها المسؤولة في الوقت نفسه عن الدفاع عن الوطن، وحماية أمنه وسلامته وتكامله الإقليمي، في مواجه القوي والأطماع الخارجية.

ولذا؛ فنجد أن السيادة تشير إلى معنين: أحدهما؛ إيجابي ينصرف في قدرة الدولة بوصفها وحدة سياسية مستقلة على التصرف بحرية تامة، من دون أي قيود تفرض عليها. والأخر؛ سلبي يفيد أنه لا يمكن خضوع الدولة لأي سلطة غير سلطتها هي. وبالتالي؛ سيكون لمبدأ السيادة وجه داخلي يقتصر نطاق تطبيقه إلى علاقة الدولة بمواطنيها داخل إقليمها بحدود سياسية معلومة، ووجه خارجي ينصرف نطاق تطبيقه إلى علاقة الدولة بغيرها من الدول؛ وهي علاقة تقوم على وجوب احترام الاستقلال الوطني والسلامة الإقليمية لكل دولة، وتحريم التدخل في شؤونها الداخلية. ولذا؛ نجد أن السيادة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الاستقلال السياسي للدولة؛ وهذا الاستقلال هو الذي يتيح لها إعمال مظاهر هذه السيادة، سواء داخل إقليمها أم في إطار علاقاتها التبادلية مع غيرها من الدول، وأشخاص القانون الدولي، وأن تقارن الدولة من حيث الموارد والإمكانات؛ جعل الباحثين يميزون بين السيادة باعتبارها مفهوماً قانونياً.

كما نجد أن الدولة مستقلة قانوناً، ولكنها – في الوقت ذاته– عاجزة عن إشباع احتياجات مواطنيها، فيما يعرضها الضغوط وتأثيرات من دول أخرى في جعل استقلالها منقوصاً؛ فتعجز عن مباشرة بعض مظاهر سيادتها(687)

ونجد أن مفهوم السيادة للدولة في الوقت الحاضر، بدأ يتجه نحو التشبيه، إذ إن ظاهرة العولمة أخضعت هذا المفهوم وغيره إلى إعادة النظر والمراجعة، إذ أصبحنا نعاصر موجة من الكتابات تشكل المفهوم التقليدي للسيادة الوطنية، القائم على أنموذج الدولة تراقب بشكل مستقل؛ فشكَّل سياساتها العامة ومضمونها؛ فهو: إما مفهوماً مهجوراً، أو إنه ينتمي إلى تقليد مذهبي في طريق الفناء، أو متجاوراً نظرياً وغير نافع عملياً؛ لأن المشكلات الدولية والإهانات غير مسبوقة، والحدود الاقتصادية والجمركية التي رسمتها تحولات العولمة؛ لا تتوافق مع الحدود السياسية التي يقوم عليها المفهوم التقليدي للسيادة. ولذا؛ فمن أجل الحصول على امتيازات السيادة؛ يتعين بالدرجة التي تستطيع الدولة على الحفظ على السلام والأمن الوطني، وتهتم برفاهية موطنيها وحمايتهم. أما إذا عجزت عن ذلك؛ فعليها أن تدعوا أو ترحيب

(687) (هيكل فترح أبو هديب، 2014)، مصدر سابق، ص113.

بالمساعدة الخارجية. وبعكس ذلك؛ سوف تتعرض إلى ضغوطات وردود فعل خارجية، تقضي بالتدخل عسكرياً إن لزم الأمر، إذا أخفقت أي دولة في تحمل مسؤولياتها(688).

ومما تقدم؛ يُثار تساؤل عن أوجه التأثير في مظاهر سيادة الدول الداخلية والخارجية، في ظل التحولات الدولية الراهنة، إذ برزت مفاهيم جديدة، تعكس مفارقات تنال من القوانين التي تكون من مبادئ القانون الدولي، مثل ظاهرة العولمة؟

وهذه الظاهرة التي شكلت في مفاهيمها ونشاطاتها أحد المعطيات البارزة لهذا التحول الحاسم، في بنية النظام العالمي؛ وهو التحول من القطبية الثنائية إلى أحادي القطب؛ فساهمت في بروز نظام عالمي جديد في أبعاده: (الاقتصادية، والسياسية، والفكرية)، إذ تعد العولمة من أبرز التدفقات غير القومية التي يفرضها النظام الدولي الراهن، وتقوم على تنويع السلع والأفكار، وكذلك رؤوس الأموال على مستوى العالم. كما نجد أن هذا السياق؛ يؤدي إلى تراجع عام في دور الدولة وانحسار نقوها وتخليها عن مكانتها شيئاً فشياً لمؤسسات أخرى، تتعاظم قوتها يوماً بعد يوم، إذ يتعلق الأمر بالشركات العملاقة متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية العالمية(689).

(688) (العيسى، طلال ياسين، 2010)، السيادة بين مفهومها التقليدي والمعاصر "الدراسة في ميدي تنويل السيادة في العصر الحاضر" مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 29، العدد الأول، جامعة جدارا- كلية الدراسات القانونية، عمان، ص58- 60.

(689) (حناشي، أميرة، 2008)، (مصدر سابق)، ص2-3.

المبحث الثَّالث

المطلب الأوَّل- أثر اتفاقات منظمة التجارة العالمية في الجانب الزِّراعي:

يُعَدُّ قطاع الزراعة من أهم القطاعات التي دار حولها الخلاف والتفاوض؛ فمنذ بداية المفاوضات عام1947م؛ وهي مدار خلاف بين الدول العظمى، وخاصة دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، إذ نجد أن البلدان النامية؛ هي الأكثر اعتماداً على الزراعة؛ وهي المصدر الرئيس المواد الخام، ومستورد أساس للمواد الغذائية بما فيها الدول العربية. وبالاستناد إلى ذلك؛ فالحديث عن المفاوضات الخاصة بالمنتوجات الزراعية؛ تجد عدم شكر الدول النامية؛ بل إن الصراع بين قطاعات الدول الكبرى. وعندما جلست الدول النامية على مائدة التفاوض؛ وجدت أن كل الأمور جاهزة، ماعدا بعض الاستنتاجات ولأوضاع الخاصة بالدول النامية، وما من خيار أمام تلك الدول؛ إلا بالقبول والرضوخ لجميع تلك الشروط، والدخول في التفاصيل التي هي بالأصل جاءت لخدمة البلدان المتقدمة(690).

كما أن عدم تطبيق قواعد الجات من الناحية العملية على التجارة الدولية في السلع الزراعية؛ كان يرجع إلى رغبة الجماعة الاقتصادية الأوروبية في حماية اقتصادها الوطني، وأن اتفاق الزراعة الذي أسفرت عنه جولة الأرجواني، بعد خطوة كبيرة عن طريق تحريز القطاع الزراعي، من الدعم والحماية التجارية؛ يُعَدُّ أساسا في عملية إصلاح التجارة، في المنتوجات الزراعية على الأمد الطويل.

وتنص ديباجة اتفاقية الزراعة، على أن "الهدف منه على الأمد الطويل؛ هو إنشاء نظام للتجارة في المنتوجات الزراعية، يكون منصف ومستند على قوى السوق، يشتمل على تخفيضات جوهرية ومتصاعدة في الدعم والحماية الزراعية، ويتم تنفيذها خلال فترة زمنية متفق عليها؛ ممَّا يؤدي إلى تصليح الأوضاع في الأسواق الزراعية العالمية".

ولذا؛ نجد أن الحكم القاضي بتحسين النقاد إلى الاسواق؛ يترتب عليه انخفاضاً كبيراً في حصيلة الجمركية، وخصوصاً بالنسبة للبلدان النامية التي يشكل نسبة كبيرة من مجموع إيراداتها، إذ إن أغلب

(690) (بكره راني محمود، 2007)، أثر منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول في الوطن العربية، رسالة ماجستير، عمان، ص33- 34.

السلع الزراعية المتداولة في الأسواق العالمية، تنتج في هذه البلدان؛ مما يجعلها شديدة التأثير بالتقلبات التي تحدث في أسواق هذه السلع. وحكم النفاذ إلى الأسواق؛ يترجم نفسه بحصول عمالقة الصناعات الغذائية كامل الحرية في الدخول إلى أسواق البلدان النامية، بحيث إن صغار المزارعين المتجهين نحو التصدير؛ قد يواجهون منافسة أكثر ضراوة؛ مما يتعلق بالحصول على الموارد؛ فيؤدي الى تهميش وضعتهم في بلدانهم(691).

وترتبت على كل عضو من أعضاء منظمة التجارة، التزامات فرضت عليه، وتنازلات محددة في الجانب الزراعي؛ وهي:

1- أن يكون تحرير التجارة تحريراً تدريجياً، في الجانب الزراعي، وأن يلغي العضو القيود الجمركية كافة: (القيود الجمركية، والحصص المتوسطة، وحضر الاستيراد)، وتقتصر على التعريفة الجمركية فقط.
2- خفض الدعم المقدم الدول الأعضاء، ضمن فترة محددة.
3- فتح اسواق العضو الى الواردات من المحاصيل الزراعية وهذا بالطبع يخدم الصادرات الأجنبية لدول المتقدمة
4- الالتزام بخفض الدعم المحلي؛ وهو الدعم الذي يوجه للصادرات من المحاصيل والمنتجات الزراعية.
5- الالتزام بتقديم تنازلات تتعلق بتخفيض التعرفة الجمركية للمحاصيل والمنتوجات الزراعية، بنسبة (30%) للدول المتقدمة، و(24%) للدول النامية(692).

وعلى الرغم من أهمية قطاع الزراعة بالنسبة للدول النامية، ومع كل المحاولات السابقة على جولة الأرجواي لرفع القيود التجارية، التي كانت تفوق صادراتها من المنتوجات الزراعية مع الدول المتقدمة، واتباعها سياسة فرض القيود وحماية المنتجين من المنافسة الخارجية؛ فأدى إلى اعوجاجاً بالغاً في الأسعار والسياسة الخارجية. ولذا؛ نجد أن أبرز المشكلات بين الدول النامية والدول المتقدمة؛ هو في

---

(691) (برزيق، خالد)، آثار اتفاقات المنظمة العالمية للتجارة على سيادة الدول، رسالة الماجستير، جامعة مولود مسوري- كلية الحقوق، الجزائر، ص19- 20.

(692) (باكير، محمود راني)، (مصدر سابق)، ص34.

الجانب الزراعي، إذ إن الدول المتقدمة تطالب الدول النامية بتخفيض السقوف الجمركية، على الواردات الزراعية؛ بينما تطالب الدول النامية الدول المتقدمة، بتخفيض الدعم الزراعي، وعدم دعم الصادرات(693).

وبناءً على كل ما تقدم؛ نجد أن منظمة التجارة العالمية قد عملت الكثير، من أجل تحرير التجارة في العالم، وأن الانضمام إليها لا يساعد على زيادة التبادل التجاري الحر، وأنه ليس هناك علاقة بين العضوية في المنظمة وزيادة حجم التبادل التجاري. كما نجد أن من الآثار السلبية التي تترتب على هذه الاتفاقيات لاحد لها، وخاصة بالنسبة للمزارعين؛ فخلال السنوات الخمسين الأخيرة تضاعف حجم التجارة العالمية بأكثر من عشرين مرة؛ بينما لم ترتفع الدخول لنفس هذه النسب، وأن أمام الدول والمنظمات طريقاً طويلاً لمواجهة هذه الآثار السلبية، من أجل عالم يكفل الأمان والعدل والمساواة لجميع الأفراد(694).

المطلب الثَّاني- اتفاقية الصحة والصحة النباتية:

يُعَدُّ هذا الاتفاق مكملاً لاتفاق الزراعة لارتباط المنتجات الزراعية، وخاصة الغذائية منها بصحة الإنسان والحيوان والنبات. كما أن هذه الأخير مرتبطة بقاعدة القيود الفنية على التجارة، بحيث يقر حق الدول لحماية صحة الإنسان والحيوان والنبات، مع مراعاة أن تكون هذه التدابير واضحة ومبررة وتطبق بقدر ما يلزم؛ لتحقيق الهدف منها، إذ ألزمت كل دولة بنشر القواعد المتعلقة بالإجراءات الصحية، وإخطار الدول الأخرى بها؛ تحقيقاً للشفافية؛ فضلاً عن تقدم المساعدات القيمة في مجال الحماية الصحية للبلدان النامية. وبالموازاة مع ذلك؛ يجب إنشاء لجنة لحماية صحة الإنسان والنبات، تكون مهمتها تفعيل المشاورات بين الدول الأعضاء. كما تشمل تدابير حماية صحة الإنسان أو النبات؛ كل القوانين والمراسيم واللوائح التنظيمية والمتطلبات والإجراءات، المتعلقة بالموضوع؛ بما فيها من أمور أخرى، من مقاييس المنتج النهائي وطرق التجهيز والإنتاج والاختبار والمعاينة وإجراءات الموافقة

---

(693) (د. ناصر، ابراهيم)، منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية وموقف المملكة منها، ص6 تقرير رقم (37).

(694) سلسلة الأرض والفلاح، التي يصدرها مركز الأرض، في: 6/ 9/ 2006.

والمعالجة بالحجر الصحي، بما في ذلك؛ المتطلبات المناسبة بنقل الحيوانات والنباتات، أو المرتبطة بالمواد اللازمة لبقائها على قيد الحياة خلال النقل.

كما نلاحظ أن القواعد؛ إنما هي أشبه بالأحكام الداخلية المكافحة للغش التجاري، وحماية البيئة والإنسان الموجود في مختلف المجتمعات، التي تؤدي – بدورها– إلى الحفاظ على سلامة التجارة، وإلى سلامة المواطنين، وتحقيق المنافسة الشريفة، وتسعى لإلغاء الممارسات غير الشرعية في السوق الداخلية.

كما يُعَدُّ هذا الاتفاق منصفاً من الناحية النظرية؛ فجاء ليستخدم مصالح الطرفين: (البلدان المتقدمة، والبلدان النامية)؛ غير إن الواقع غير ذلك. ويكون غالباً من طرف البلدان المتقدمة؛ لإيجاد تصحيح يخدم مصالحهم التجارية، متجاهلة بذلك الأضرار التي قد تلحق بالبلدان المختلفة وهيئة القوى الكبرى عليه، مع عدم مقدرة هذه الأخيرة حماية أسواقها الداخلية ومؤسساتها من المنافسة الأجنبية، مما ظلت تهدد السيادة الاقتصادية لهذه الدول. كما أصبحت الدول المتقدمة تلجأ إلى تطبيق هذه الاتفاقية، للحد من نفاذ السلع الزراعية إلى أسواقها بحجم عدم مطابقتها للمواصفات البنية والصحة، وأصبح يستعمل لحماية مادية من قبلها متجاهلة مضمون الاتفاقية. ولذا؛ نجد أن الدول المتقدمة ترفض استيراد المنتجات التي أدخلت فيها هذه المواد، إلى أسواقها أي إن البلدان النامية تحسر عدة مرات؛ نذكر منها:

1– استيراد مواد خطرة، أنفقت عليها الملايين من الدولارات.

2– الأضرار البيئية المترتبة على استخدامها بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات.

3– الخسارة المترتبة على فرض الدول الصناعية، لدخول هذه المنتجات أسواقها.

4– أن الصفقات المردودة تعود، ليتم استهلاكها غالياً بواسطة شعوبها المصدرة لها(695).

المطلب الثَّالث– تأثير اتفاقات المنظمة التجارية في الإجراءات المتعلقة بالاستثمار:

لقد ضغطت الشركات المتعددة الجنسية، على الدول الصناعية التي تمتلكها؛ لبحث الإجراءات المرتبطة بالاستثمار الأجنبي كافة، من خلال معارضات الأرغواي؛ وذلك من أجل وضع اتفاق يسهل شروط الاستثمار الأجنبي، في البلدان النامية التي تكون بمثابة ورقة رابحة، تضمن مصالح وأموال هذه الشركات.

(695) (برزيق، خالد)، (مصدر سابق)، ص29– 31.

وقد تم الاتفاق في هذا المجال، على أنه من حق المستثمر الأجنبي أن يقوم باستيراد احتياجاته كافة، من مستلزمات العملية الإنتاجية، وفقاً لتقديراته بلا قيود، وله الحرية التامة في تصدير منتجاته، من دون الالتزام بتخصيص حصة محددة للسوق المحلي أو التصدير.

كما أنه يلزم الأعضاء باحترام مبدأ الشفافية، بالإعلان عن إجراءات الاستثمار كافة، التي لها علاقة بالتجارة، ويتم ذلك عن طريق إخطار المنظمة العالمية للتجارة، بكل التدابير والإجراءات التي تطبقها الحكومات والسلطات في داخل أراضيها؛ وذلك حتى تكون معروفة للدول الأعضاء كافة. ومن جهة أخرى؛ يلتزم الأعضاء بإلغاء جميع الإجراءات المحظورة المتفق عليها خلال ستين بالنسبة للبلدان المتقدمة؛ بينما تصل المدة المحددة للبلدان النامية إلى خمس سنوات وسبع سنوات للبلدان الأقل نمواً.

ولذا؛ نلاحظ أن هذا الاتفاق جاء ليضرب سيادة البلدان الضعيفة في الصميم، بحيث اقتصر تعريفه على تدابير الاستثمار المرحلة بالتجارة على الشروط المفروضة، على الاستثمار الأجنبي التي ترغب في إقامة المشروعات في دولة معينة؛ مثل اشتراط المكون نقل التكنولوجيا. وهذا يتعارض مع مبدأ العمالة الداخلية وشروط أخرى؛ مثل شروط التوازن التجاري، وشروط توازن العملات الأجنبية شروط حدود التصدير. وهكذا تكون أمام اتفاقية منحازة بصورة كبيرة للبلدان المتقدمة من الوهلة الأولى؛ أضف إلى ذلك تطبيق مبدأ العمالة الوطنية؛ سيسوي بين الاستثمارات الوطنية والأجنبية؛ مما يؤدي إلى زيادة الاستثمارات الأجنبية على حساب الاستثمارات الوطنية. وبالتالي؛ يقدم السيادة الاقتصادية للدرجة الضيقة لها.

وما تقدم؛ هو مفروض كنتيجة لحق الشعوب والدول، في اختبار تنميتها وحرية تسير بعض حقها في ممارسة رقابة دائمة للاستثمارات الأجنبية، وفق ما ينبغي عليه ميثاق/ الحقوق والواجبات الاقتصادية، ولكن الذي نراه يعكس – بشكل جذري– ما جاء في هذا الميثاق؛ لأن هذا الاتفاق يؤثر بطريقة مباشرة في موضوع حساس جداً؛ وهو سيادة البلدان المطبقة للاستثمارات الأجنبية، إذ لا بد على الحكومات أن تتنازل عن سيادتها، ولا سيما في البلدان الثانية، ويمنع البلدان النامية من وضع قيود على الاستثمارات

الأجنبية، من دون إلزام الشركات المتعددة الجنسيات بالإنتاج بأسعار اختيارية. والتلاعب بالأسعار؛ هو صور حد كافة وهذا يدل بطبيعة الحال أن مطلب إلغاء القيود موجه إليها دون سواها(696).

وعلى الرغم من القوانين التي تفرضها الدول التنظيم الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية، في عمل مصنف في النظام الداخلي؛ فقد رأت الدول أن قوانين التي تتعلق بالاستثمار تؤثر في الكيفية التي تسير بها التجارة الدولية، وفي الغالب؛ تؤدي إلى تشويه تدفقات التجارة. ولذلك؛ رأت تلك الدول أنه يجب التخلص من تلك الإجراءات، واخضاع العملية إلى نصوص ومبادئ منظمة التجارة العالمية، وقد دعى اتفاق الأرجواي إلى الغاء جميع التدابير المتعلقة بالتجارة، التي لا تنسجم مع ريادة المنظمة على مراحل.

ويُعَدُّ تضمين إجراءات الاستثمار الأجنبي، في تحرير التجارة بالسلع لسببين؛ وهما:

- **السبب الأوَّل:** على اعتبار أن رأس المال بحد ذاته؛ هو سلعة يتم تداولها وفقاً لمبادئ تحرير التجارة السلعية في الاستيراد والتصدير.
- **السبب الثاني:** وقد ارتبط بالشركات المتعددة الجنسيات، والتحول في دور الشركات من الانتاج بسبب سد حاجة السوق المحلي؛ إلى الانتاج من أجل التصدير والتنافس على السوق خارج حدود الدولة الأم.

ولذا؛ نجد أن هنالك قيوداً وتنازلات، وضعت على الدولة العضو؛ وهي:

1- متطلب محتوى محلي: إذ تقوم الدولة بدعم الصناعات، التي تستخدم مواد محلية، أو شراء سلع من موردين محليين. وهذا مخالف لمبدأ العمالة الوطنية، من ميثاق منظمة التجارة العالمية.
2- متطلب محلي: وهو الذي يفرض على الشركات الأجنبية، بعدم السماح لها باستيراد؛ إلا بالقدر الذي يتناسب مع التصدير.
3- وضع شروط على التسويق والتصدير المحلي: إذ تقوم بوضع شروط على الصناعات الأجنبية، وتسويق نسبة من الإنتاج في السوق المحلي، بتصدير نسبة من معينة من إنتاجها إلى السوق الخارجي. وعند قيام المنظمة باتخاذ التدابير أعلاه؛ لها اخبار السكرتارية خلال (90) يوماً من

(696) (برزيق، خالد)، (مصدر سابق)، ص51- 52.

تاريخ اتخاذ الإجراءات، مع الالتزام بإلغائها خلال سنتين للدول المتقدمة، وخمسة للدول النامية، وسبع سنوات للدول الأقل نمواً.

وقد رأت الدول المتقدمة الاستثمار والتجارة في الاتفاقية؛ أنها نجحت من خلال ذلك إلى جنب البلدان النامية؛ وهذا ما سعت إليه البلدان المتقدمة من أجل كسبها صفة الإلزام ونقلها عالمياً، ويتم تدفق استثمارات البلدان المقدمة في البلدان النامية، من دون حواجز أو عقبات مع توفر حقوق وضمانات قانونية، إذ يتم معاملة المستثمر الأجنبي معاملة المستثمر المحلي(697).

(697) (باكير، راني محمود غضبان، 2007)، آثار منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول في الوطن العربي، ص46. .

- الخاتمــة:

خلصت هذه الدراسة، إلى ضرورة التزام الدول المنضمة، لمنظمة التجارة العالمية بنصوص الاتفاقات، وعدم تمييز المؤسسة الوطنية عن مثيلاتها الأجنبية. ولذا؛ فإن دور الدولة في حماية الاقتصاد الوطني تقلصت، وخصوصاً في اقتصاديات البلدان النامية التي أصبحت عاجزة عن وضع سياسات تنموية، بما يتفق مع ظروفها وأهدافها الوطنية؛ وذلك لأن اتفاقات المنظمة التجارة العالمية تنطوي على تحويل قدر صلاحيات اتخاذ القرارات الوطنية، في عدد من المجالات إلى المنظمة العالمية، أو التشاور مع المنظمة قبل اتخاذ العديد من القرارات المتعلقة بالتجارة. وبناءً عليه، وحسب وجهة نظرنا الخاصة؛ فإن التكامل الاقتصادي هو الحل الأمثل لتقليص الأثار السلبية التي تؤديها اتفاقات منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول؛ وخاصة النامية منها، إذ يُعَدُّ التكامل الاقتصادي من أرقى أساليب التعاون وأهمها؛ لأن التكامل الاقتصادي يهدف إلى توحيد الدول، انطلاقاً من البعد الاقتصادي. لذلك تبين من خلال البحث في موضوع (اثر منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول) مجموعة من التوصيات التي سنختصرها بالنقاط التالية .

التوصيات:

1. وجوب التنسيق بين مواقف الدول النامية والدول المتقدمة في تناول قضايا التجارة العامية، وذلك في ما يتعلق بالالتزامات التي ترغب الدول المتقدمة في ارسائها مع التركيز على ان لا تكون الاجراءات البيئية عائقاً امام النفاذ الى الاسواق خاصة منتجات الدول النامية.
2. على المجلس العام تمكين الدول النامية من حضور الاجتماعات وكذلك تهيئة المتطلبات لإنجاح هذه الاجتماعات لغرض تأدية المهام ، علماً ان حضور الدول النامية ليس دائماً.

3. مراجعة التشريعات والسياسات التجارية المتبعة بما يتلأم مع متطلبات النظام التجاري العالمي الجديد.
4. على الدول المتقدمة ان تلتزم في جانب تقديم الاعانات والمساعدات الزراعية للدول النامية وتمكينها من القيام بهذه المهام وتوفير الخبرات اللازمة لذلك.
5. نوصي بأهمية تغزير قدرات الدول النامية في مجال السلع والخدمات والاستفادة من المساعدات وفترات السماح اتي تمنحها منظمة التجارة العالمية للدول النامية والاقل نمو .

المصادر والمراجع:

1. (خالد، برزيق) ، أثار اتفاق منظمة التجارة العالمية على سيادة الدول ، رسالة ماجستير .
2. هيكل، فتوح ابو دهب، ٢٠١٤)، لتدخل الدولي لمكافحة الارهاب وانعكاساته على السيادة الوطنيية،ط1،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الأمارات العربية/ أبو ضبي.
3. د. ناصر، ابراهيم منظمة التجارة العالمية واثارها الثقافية وموقف المملكة فيها.
4. خطاطبة، ليث محمود حسن، ٢٠١١ ، قضايا منظمة التجارة العالمية وانعكاساتها على الأردن والدول العربية، بحث، الجامعة الأردنية، الأردن عمان
5. جندلي، عبد الناصر، الاتجاهات الفكرية المفسرة لمدى تأثير العولمة ومؤسساتها المالية والاقتصادية على سياسة الدولة في ضل النظام الدولي الجديد، جامعة بانته
6. حناشي، أميرة،٢٠٠٨، مبدأ السيادة في ضل التحولات الدولية الراهنة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري ، كلية الحقوق الجزائز.
7. مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية،٢٠٠٣ ، تسوية النزاعات، منظمة الأمم المتحدة ، نيويورك وجنيف.
8. باكير، رامي محمود غضبان، ٢٠٠٧، اثار منظمة التجارة العالمية على سيدة الدول في الوطن العربي.
9. محمد عبد الكريم منهل العقيدي، جريدة الصباح العدد ٢٠٢في ٢٣/٨/٢٠١٠.
10. تقرير رقم ٣٧سلسلة الأرض والقلاع التي يصدرها مركز الأرض، في 2006/9/6
11. د العيسي طلال ياسين، ٢٠١٠ ، السيادة بين مفهومها التقليدي والمعاصر، دراسة مدى تدويل السيادة في العصر الحديث"، جامعة جدارا، كلية الدراسات القانونية.

دور البنوك الإسلامية في تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة

مقدمة

تعد الشركات الصغيرة والمتوسطة ذات أهمية كبيرة في عمليات التنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي في الدول المتقدمة والنامية ، ونظراً للدور المحوري لهذه الشركات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتظهر أهميتها بالدرجة الأولى في قدرتها على خلق فرص عمل بمعدلات كبيرة، وبتكلفة منخفضة لرأس المال. كما تتمتع الشركات الصغيرة والمتوسطة بروابط قوية ذهابًا وإيابًا مع الشركات كبيرة الحجم، وتعمل على زيادة الدخل، وتنويعه، وزيادة القيمة المضافة المحلية. وتتميز بالاستخدام الفعال لرأس المال بسبب الارتباط المباشر بين ملكية المشروع وإدارته، وحرص صاحب الشركة على نجاحها وإدارتها بالطريقة المثلى.

على الرغم من الاهتمام الكبير بالشركات الصغيرة والمتوسطة سواء في الدول المتقدمة او النامية، إلا أن نقاط الاهتمام وأسبابها تختلف في البلدان المتقدمة عن تلك الموجودة في البلدان النامية. في البلدان النامية، ينبع اهتمامهم بهذا النوع من المشاريع من إجراءات الإصلاح الاقتصادي، والتوجه نحو تقليص دور الدولة في الاستثمار، ومعالجة الفجوة المتزايدة بين الأغنياء والفقراء، وخلق فرص عمل لعدد متزايد من الداخلين إلى سوق العمل (صادق، 2013)، ووفقا لأحدث التقارير الصادرة عن (OECD) أن الشركات الصغيرة والمتوسطة– التي تمثل أكثر من 99 % من الشركات في غالبية اقتصاديات دول العالم– توفر حوالى من 40 % إلى 80 % من مجموع فرص العمل وتعد مسئولة عن أكثر من نصف الإنتاج القومي للقطاع الخاص في العالم (البهنساوي، 2009).

من ناحية أخرى، يعد الوصول إلى الخدمات المالية تحديًا رئيسيًّا أمام نمو الشركات الصغيرة والمتوسطة؛ ستبقى معظم الشركات الصغيرة والمتوسطة عالقة وتستمر في التراجع بدونها. على الرغم من حقيقة أن

الشركات الصغيرة والمتوسطة تساهم في جزء كبير من الاقتصاد وتوفير فرص عمل (Thomas, Brycz, 2014). إلا أن الشركات الصغيرة والمتوسطة أقل تأهيلًا من الشركات الكبيرة للحصول على تسهيلات ائتمانية بنجاح، لذلك يجب عليها الاعتماد على الأموال الداخلية أو الخاصة لبدء أعمالهم وتشغيلها.

وقد اكتسب التمويل الإسلامي مكانة بارزة كاستراتيجية مختلفة للمسلمين وغير المسلمين في جميع أنحاء العالم، وبديل لمشكلة تمويل الشركات الناشئة العالمية للشركات الصغيرة والمتوسطة (SMEs). ويعد التمويل الإسلامي نظامًا أو ممارسة مالية تتوافق مع المبادئ الإسلامية لتعاليم الشريعة الإسلامية ويحكمها نظام اقتصادي إسلامي، ويستند هدفه الرئيسي على مفاهيم المساواة الاجتماعية والاقتصادية وتخصيص الموارد بشكل متساوٍ (Abdesamed, Abd Wahab, 2014). نتيجة لذلك، في بيئة الأعمال اليوم، وقد تم تصميم التمويل الإسلامي على أساس تقديم قروض دون فائدة، وتقاسم المنافع والخسائر، وملكية المنتجات، والمشاركة النشطة في مرحلة التبادل، والتمويل، وبناء اتفاقيات المفاوضة الجماعية بين شركة الاستثمار ورائد الأعمال (Adelekan, 2021). ازدادت أهمية المفهوم المالي الإسلامي على مستوى العالم خلال السنوات الماضية بسبب الفوائد الكبيرة التي يوفرها، مثل التوسع الاستثماري، وإمكانية جذب وتعزيز حافز الأمة للاستثمار (Shah, Sukmana, & Fianto, 2021). يتضح هذا من خلال معدل النمو السنوي المركب المرتفع بشكل كبير في الصناعة المالية الإسلامية، والذي تزامن مع جائحة IDCOV-19 العالمي (Hassan, Rabbani, Abdulla, 2021).

هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على البنوك الإسلامية، ودورها في تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة، ومدى نجاحها في القيام بهذه الوظيفة.

أهمية البحث

بدأت الشركات الصغيرة والمتوسطة في الآونة الأخيرة في احتلال مكانة مهمة في اقتصاد كل من البلدان النامية والمتقدمة. دلَّت أهمية البحث على مدى مساهمة البنوك الإسلامية في تمويل مثل هذه الشركات، حيث تعتبر قطاعًا أساسيًّا في الاقتصاد لتوفير فرص العمل للكوادر المؤهلة وزيادة الطاقة الإنتاجية لها.

الكلمات المفتاحية

البنوك الإسلامية، التمويل الإسلامي، المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

أولا: ماهية الشركات الصغيرة والمتوسطة

تقوم الشركات الصغيرة والمتوسطة(SMEs) بدور واضح في خلق فرص العمل، وتوليد الدخل في الدول النامية يمكن إنشاء الشركات الصغيرة والمتوسطة في جميع أنحاء العالم وفي الدول النامية على وجه الخصوص، بسهولة نظرًا لمتطلباتها من حيث رأس المال؛ التكنولوجيا والإدارة، وحتى المرافق ليست متطلبة كما هو الحال بالنسبة للشركات الكبيرة. يمكن أيضًا إنشاء هذه الشركات في المناطق الريفية وبالتالي تضيف قيمة إلى المنتجات الزراعية وفي نفس الوقت تسهل تشتت الشركات. في الواقع، ترتبط تنمية الشركات الصغيرة والمتوسطة ارتباطًا وثيقًا بتوزيع أكثر إنصافًا للدخل؛ وبالتالي فهي مهمة فيما يتعلق بالتخفيف من حدة الفقر. في الوقت نفسه، تعمل الشركات الصغيرة والمتوسطة كأرض تدريب لأصحاب الشركات الناشئة (Ayyagari, Demirguc-Kunt, Maksimovic, 2014).

- **مفهوم الشركات الصغيرة والمتوسطة**

تعددت تعريفات الشركات الصغيرة والمتوسطة. وفقًا لبعض الأبحاث، يمكن وصف الشركات الصغيرة والمتوسطة (SMEs) بأنها مجموعة مجمعة من الشركات العاملة في العديد من القطاعات مثل الخدمات، والتجارة، والأعمال الزراعية، والتصنيع. وهي تشمل مجموعة متنوعة من الشركات مثل صنَّاع الحرف اليدوية في القرى، ومتاجر الآلات الصغيرة، وشركات برامج الكمبيوتر التي لديها مجموعة واسعة من التطور والمهارات. بعضها ديناميكي ومبتكر وموجه نحو النمو وسريع النمو في حين أن البعض الآخر راضٍ عن البقاء صغيرًا وربما مملوكًا للعائلة دون تغيير لعقود. من حيث الحجم، قد تتراوح الشركات الصغيرة والمتوسطة من العمل بدوام جزئي مع موظف واحد إلى شركة توظف مئات الأشخاص. وهي تتراوح بين الشركات الصغيرة والمتوسطة التي تعد جزءًا لا ينفصم من شبكة تعاقد من الباطن دولية، أو تلك التي لديها شركاء في التكنولوجيا والاستثمار في الخارج، أو إلى تلك التي تشكل

جزءًا من مجتمع أو مجموعة أسرية (Kapurubandara, Mahesha ; Lawson, Robyn, 2006).

يختلف مفهوم الشركات الصغيرة والمتوسطة تبعًا لاختلاف طبيعة هذه الشركات، وأيضًا الدولة المنشئة لها، حيث إنَّ هناك بعض الدول تأخذ معيار عدد العمال، وأخرى تأخذ معيار حجم رأس المال المستثمر في المشروع، بالإضافة إلى معيار المستوى التكنولوجي المستخدم في المشروع وجودة منتجات والمشروع، ونوع وطاقة المشروع الصغير والمتوسط، والهيكل الإداري للمشروع، وهيكلة المشروع من الناحية القانونية، ويختلف المصطلح باختلاف المعايير لكل دولة وأخرى، وذلك تبعًا لاختلاف إمكانياتها وظروفها الاقتصادية، ودرجة تطورها التكنولوجي، وتتفق العديد من التعريفات مع البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد محل الدراسة وتختلف من بلد لآخر، كما قد يختلف في البلد نفسه وذلك تبعًا لمراحل النمو التي يمر بها اقتصاد هذا البلد، وقد انتشر مؤخرًا استخدام مصطلح الشركات الصغيرة والمتوسطة، وزادت الأهمية به في الأزمان الأخيرة، ولم يقتصر استخدام هذا المصطلح بالإشارة إلى منشآت القطاع الخاص ومُلاكها، وأصحاب الأعمال والمستخدمين، ولكنه امتدَّ إلى التعاونيات ومجموعات الإنتاج الأسرية أو المنزلية (الأسرج، 2007).

تتباين المنظمات الدولية والباحثين في تحديد معنى تلك المشروعات، وكل منها ينطلق من معايير محددة، مثل: معيار العمالة المستخدمة، ورأس المال المستخدم، والقيمة المضافة، وهناك من يستخدم الخصائص الوظيفية مثل نوع الإدارة أو أساليب الإنتاج، والواقع (الأسرج، 2015). ومن هذه المعايير وغيرها، اتجهت المنظمات الدولية والإقليمية والباحثون إلى تعريف تلك المشروعات، وإذا ما أتينا إلى صندوق النقد الدولي فقد اعتمد على معيار واحد لتعريف المشاريع الصغيرة يستند إلى حجم العمالة المستخدمة في المشروع باعتبار أن هذا المعيار يتسم بالبساطة والسهولة عند المقارنة بين المشروعات (الورد، إبراهيم موسى، يأس، راوية عبد الرحيم، 2006).

ويعرف البنك الدولي للشركات الصغيرة بكونها مشروعًا يعمل به بين 10–50 عاملًا، وإجمالي الحد الأدنى من الأصول يصل إلى 10 آلاف دولار. في حين أن المشاريع المتوسطة يعمل بها أقل من 300 عامل، وإجمالي أصولها تصل إلى 10 ملايين دولار (Ayyagari; Beck, Demirguc–Kunt, 2003).

وتعرِّف المشروعات الصغيرة بأنها المشروعات التي يعمل بها أقل من 10 عمال، والمشروعات المتوسطة التي يعمل بها بين 10–99 عاملا (حرب، 2006) .

وكذلك تعرف بأنها "تلك الشركات التي يديرها مالك واحد، ويتكفل بكامل المسؤولية بإبعادها طويلة الأجل (الاستراتيجية) والقصيرة الأجل (التكتيكية) كما يتراوح عدد العاملين فيها ما بين (10–50) عاملًا (منظمة الأمم المتحدة) .

كما عرَّف مجلس التعاون الخليجي الشركات الصغيرة والمتوسطة بأنها: تلك الشركات التي يبلغ متوسط رأسمالها المستثمر أقل من مليوني دولار (الهيتي، 2006) .

- **أهمية الشركات الصغيرة والمتوسطة**

تقوم المشروعات الصغيرة والمتوسطة بدور القاطرة للنمو الاقتصادي في دول العالم الرأسمالية، حيث تقوم بدور رئيس في توفير فرص العمل وبما يقلل من مستوى البطالة الموجود، وبنفس الوقت تقوم بأدوار إنتاجية مهمة داخل المجتمع وفي التعامل مع الموارد الموجودة، ومن ثم تشارك بتنشيط الاقتصاد، وفي دعم الناتج المحلي الإجمالي. وتتصف المشروعات الصغيرة والمتوسطة بالعديد من الخصائص والميزات التي تجعلها ملائمة لتحقيق تنمية في الاقتصادات الوطنية، نظرا لسرعة استجابتها لطبيعة الأنشطة الاقتصادية داخل الدولة (العنزي، 2013):

- **التخفيف من البطالة**، وذلك بتوفير فرص العمل لأنها تتطلب استثمارات رأسمالية منخفضة في ظل الظروف الاقتصادية السائدة وتفشي الفقر في المجتمعات وخاصة مجتمعات الدول النامية، كما ان إنشاء المشروع الصغير والمتوسط من الوسائل الناجحة لتوليد الدخل للعاملين فيها، وبكلفة أقل من كلفة توفيرها في المشروعات الكبيرة والمشاريع الحكومية (يحياوي، 2011).
- **خلق التوازن الصناعي بين الحضر والريف** من خلال التوغل في القرى والأرياف، والحد من هجرة السكان إلى المدن الكبيرة، وهذه وسيلة تشجع وتدعم الإنتاج الزراعي نظرا لصغر حجمها فإنها بإمكانها تصل إلى جميع المناطق والمواقع، وبما يساعد على إخضاع الاحتياطات المتوفرة من الموارد الطبيعية والبشرية لعملية التصنيع، بالإضافة إلى ما تستنفذه الصناعات الكبيرة من هذه الموارد المتاحة في عدد محدود من النشاطات الصناعية، وهذا يوفر فرصا أخرى ومواقع بديلة، مما

يؤدي إلى تقليل الفروق القطاعية والتفاوت الإقليمي، حيث أن هناك نسبة قليلة من الصناعات الصغيرة تتواجد في المدن الصغيرة والريف، فإن تشجيع الصناعات الريفية يساعد على وقف الزحف من الأرياف إلى المدن (قدوري، 2009).

- **تحقيق النمو الاقتصادي** ويرجع ذلك الى قدراتها على إنتاج سلع وخدمات قابلة للتصدير، وقدرتها على إنتاج سلع وخدمات بديلة لتلك المستوردة؛ وبالتالي زيادة الاحتفاظ بالعملات الأجنبية. كما تؤدى الى تنويع الهيكل الاقتصادي من خلال نشاطاتها المتعددة والمتباينة، كما تساهم تغيير الهيكل السوقي، وذلك بتقليل حدة التركز وزيادة درجة المنافسة بين وحدات الإنتاجي والخدمات، وتطوير الصادرات، وخلق وسائل النمو الاقتصادي على نحو أسرع؛ وهو مل يتحقق في ظل سياسة إحلال الواردات، فتكون تنمية الصادرات قضية استراتيجية تؤدي إلى وجود مصادر أساسية يمكن الاعتماد عليها لتوفير احتياجات النقد الأجنبي بشكل منظم، خاصة وأن المصادر الأخرى لا تتميز بالاستقرار والاستمرارية (عبد الله، 2013).
- **جذب المدخرات المنخفضة**، ويرجع ذلك الى ان الشركلت الصغيرة والمتوسطة تتميز بصغر حجم رأس المال، وانخفاض كلفتها، وبساطة التكنولوجيا بها، بالأضافة قلة التكاليف الضرورية للتدريب لاعتمادها على نمط التدريب أثناء العمل، مقارنة بالمشاريع المتوسطة والكبيرة. واستقطاب فوائد الأموال والمدخرات الصغيرة كون تكاليف إنشاء هذه المشروعات لا تحتاج لرؤوس أموال ضخمة من جهة، وانخفاض درجة المخاطرة في الاستثمارات الصغيرة من جهة أخرى (خليل، 2011).
- **زيادة حجم الاستثمار من خلال** ارتفاع معدلات دورات رأس المال وتحقيق ربحية أعلى. هاتان الميزتان تؤديان إلى إضافة جزء من الأرباح المحققة لرأس المال، وبالتالي إلى نمو في حجم رأس المال، وبالتالي التأثير الإيجابي على الاقتصاد الوطني بزيادة حجم الاستثمار الكلي، وزيادة معدل النمو من خلال عمل مضاعف الاستثمار (سعيدي، 2002).
- **تزويد الصناعات الكبيرة بالكثير من احتياجاتها** وتنمية وحماية الصناعات التقليدية من خلال استثمار المواد الأولية، حيث تقوم بدور هام في نشاط الشركات أو الشركات الكبيرة فهي تقوم بدورين مهمين، يتمثل الدور الأول في أنها تعمل كموزع لمنتجات هذه الشركات، وكذلك كوكالات لخدمة العملاء، ويتمثل الدور الثاني في دورها كمورد، حيث إن أغلب الشركات الناجحة في أمريكا قد بنت خططها الاستراتيجية بالاعتماد على الموردين الخارجيين الصغار (عيدان، 2016).

- **مواجهة الأزمات والصعوبات الاقتصادية في فترة الركود الاقتصادي**، ذلك لقدرتها على التكيف وفقًا لحالات السوق من حيث كمية الإنتاج ونوعيته (داود، 2013).
- **النجاح اقتصاديًّا**، ذلك لسهولة نقل الموارد الأولية اللازمة للعملية الإنتاجي، وكذلك لسهولة شحن البضائع والمنتجات النهائية من تلك الشركات إلى السوق مما يعمل على تقليل تكاليف الشحن والنقل والإدارة، وهذا يعني القدرة على المنافسة في السوق المحلي والأسواق العالمية، ووصولها إلى عدد كبير من المستهلكين.
- **إنتاج سلع بديلة عن السلع المستوردة** والتي تكلف الدولة العملات الصعبة، كما أنها تنتج سلعًا تصديرية والتي تحصل الدولة منها على إيرادات من العملات الأجنبية فيقل العجز في ميزان المدفوعات، ومن ثم إحداث فائض، كتلك السلع التي تنتجها بلدان شرق آسيا 40 % منها صادرات (صالح، 2011).
- **سد جزء كبير الطلب المحلي** وبالتالي إتاحة فرص أكبر لتصدير إنتاج المشروعات الكبيرة لما تتميز به من مميزات نسبية، ووفورات اقتصادية أو من خلال تصدير منتجاتها مباشرة، حيث تساهم بذلك بتوفير العملة الصعبة أيضًا. وتغطية الطلب المحلي على المنتجات التي يصعب إنشاء صناعات كبيرة لإنتاجها بسبب ضيق نطاق السوق المحلي نتيجة لانخفاض نصيب الأفراد في الدخل القومي.
- **توسيع القاعدة الإنتاجية** ويرجع ذلك الى تطبيق استراتيجيات إنتاج بدائل الواردات ليتم توفير حاجة السوق من السلع الاستهلاكية بجانب اعتمادها على المواد الاولية المحلية، مما يؤدي إلى زيادة حجم الناتج المحلي الإجمالي (F. Kuratko, S. Hornsby, G. Goldsby, 2007).

ثانيا: التمويل الإسلامي للشركات الصغيرة والمتوسطة وخصائصه

أصبحت البنوك الإسلامية حقيقة واقعة ليس فقط في العالم الإسلامي، بل في جميع أنحاء العالم من خلال إدخال إحياء اقتصادي متميز. بعد محاولات طمس التمويل الإسلامي على مدى أربعة عشر قرنًا، تمكنت من التغلب على الخوف والشك ومغالطات التطبيق المستحيل أو غير المناسب للاحتياجات الاقتصادية، وغير الاقتصادية للمعاملات الحديثة اليوم.

وقد تم تعريف البنوك الإسلامية على أنها بنك يعمل وفقًا للشريعة الإسلامية، ويسترشد بالاقتصاد الإسلامي (Al Manaseer, 2014). وتحظر الشريعة الإسلامية على وجه الخصوص تحصيل ودفع الربا (الفائدة) على قروض وودائع البنك. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يحظر على البنوك الإسلامية استخدام أو التعامل في سلع وأنشطة معينة مثل لحم الخنزير، والمشروبات الكحولية، والقمار، والتعامل في المشتقات. كما يشارك المودعون في أرباح البنك بنسبة محددة مسبقًا. هذا على عكس البنك التقليدي، الذي يقترض الأموال التي تدفع فائدة على جانب واحد من حساب الربح والخسارة، ويقرض الأموال، مع الفوائد، على الجانب الآخر. يعد النظام المالي الإسلامي جزءًا لا يتجزأ من الاقتصاد الإسلامي، والذي يسعى إلى تحقيق عبادة الله من خلال العدالة الاجتماعية والاقتصادية، والتوزيع العادل للدخل، وكذلك الحفاظ على الحرية الفردية في سياق الرعاية الاجتماعية. يمكن تلخيص المبدأ الرئيسي للنظام المالي الإسلامي فيما يلي: تحريم الفائدة، وتقاسم المخاطر، وحظر الأنشطة مع عنصر عدم اليقين، وحظر أنشطة القمار، وحظر إنتاج وبيع السلع والخدمات المحظورة في الإسلام، حرمة العقود، البعد المعنوي والزكاة (Matarneh, Almanaseer, 2015).

ويتم تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة من قبل البنوك الإسلامية. مثل هذا التمويل سيمكن الشركات الصغيرة والمتوسطة من تحقيق أهدافها وتطويرها. نظرًا لأهمية تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة، تقدم البنوك الإسلامية اليوم العديد من خيارات التمويل المرنة والمتعددة لتلك الشركات. إنها توفر خيارات التمويل التي تتوافق مع أحكام الشريعة. تعتمد خيارات التمويل هذه على نتائج الدراسات الاقتصادية. ومع ذلك، يجب على الشركات الصغيرة والمتوسطة تزويد البنوك الإسلامية بالضمانات والأوراق المالية من أجل الحصول على فرص التمويل. بالإضافة إلى ذلك، يجب على البنوك الإسلامية أن تأخذ الوضع المالي لأصحاب الشركات الصغيرة والمتوسطة في الاعتبار عند اتخاذ قرار الموافقة على تمويلها.

كما تم إنشاء المؤسسات المالية الإسلامية في العديد من البلدان من أجل أصحاب الشركات الصغيرة والمتوسطة لتجنب التعامل مع المؤسسات المالية التجارية. تسمح خيارات التمويل التي توفرها المؤسسات المالية الإسلامية لأصحاب الشركات الصغيرة والمتوسطة بتحقيق التنمية الاقتصادية وزيادة أرباحها. ومع ذلك، تختلف شروط التمويل للمؤسسات المالية الإسلامية عن شروط التمويل للمؤسسات المالية التجارية (Zyadat, Alrawashdeh, 2021).

من خلال القروض الصغيرة، أخذ العديد من المزارعين قروضًا دون تقديم أراضيهم كأوراق مالية. منذ أوائل التسعينيات، تم تقديم القروض الصغيرة من قِبَل العديد من الدول العربية. تم إنشاء العديد من البنوك لتمويل الشركات الصغيرة. على سبيل المثال، تم إنشاء البنك الوطني في عمان، الأردن لتمويل الشركات الصغيرة. تم إنشاء بنوك ومؤسسات مالية أخرى في بلدان أخرى لتمويل الشركات الصغيرة. وهي تشمل: بنك الأمل في اليمن، وبنك الإبداع في البحرين، ومؤسسة الأمل في مصر، ومساهمات أخرى (Abu Shanab, 2015).

خلال السنوات الأخيرة، كان هناك طلب متزايد على صيغة التمويل الإسلامي. عدد خيارات التمويل التي تقدمها المؤسسات المالية الإسلامية آخذ في الازدياد. ستمكّن الخيارات الأخيرة أصحاب المنشآت من تحسين أدائهم المالي والاستجابة بفعالية للأزمات. إنها تمكن أصحاب الشركات من تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. تساهم في تعزيز النمو الاقتصادي الوطني والتنمية. وهي متوافقة مع أحكام الشريعة (زغلامي، شريط، 2018). هناك العديد من الخيارات التي تقدمها البنوك الإسلامية لتمويل أصحاب الشركات. هذه الخيارات لها نوعان، هي كالتالي:

أ) خيارات التمويل التي تعتمد على الحصول على نسبة مئوية من العائد على الاستثمار.
ب) خيارات التمويل على أساس المديونية (الشواربي، 2002).

ويتسم تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة وفق أحكام الشريعة بالخصائص التالية:

- ✓ يساهم هذا التمويل في تطوير مثل هذه المؤسسات. يسمح للمؤسسات بتحقيق المزيد من الأرباح.
- ✓ يساهم في محاربة الفقر والبطالة. يسمح لأصحاب البنوك والمؤسسات بتحقيق الأهداف الاجتماعية.
- ✓ لا يقتصر هذا التمويل على نماذج محددة في الواقع، تقدم البنوك الإسلامية العديد من نماذج التمويل الإسلامي.
- ✓ هذا التمويل خالٍ من الربا، لا يرتبط بقضايا الحرام أو الشبهات. ومع ذلك، يدعي بعض الناس أن التمويل القائم على المرابحة هو شكل من أشكال التمويل الربوي الذي يستهدف أصحاب الأعمال المتدينين.
- ✓ يتم توفير هذا التمويل مع تكبد تكاليف أقل من قِبَل مالكي الشركات. يجب على الشركات تطويرها.
- ✓ من خلال هذا التمويل، يمكن رفع سقف قرض حسن مع تلبية المتطلبات المالية.

- ✓ يوفر هذا التمويل للبنك العديد من الفرص للمشاركة في الاستثمار.
- ✓ يتوافق هذا التمويل مع أحكام الشريعة الإسلامية ذات الصلة (Zyadat, Alrawashdeh, 2021).

- **صيغ التمويل الإسلامي للشركات الصغيرة والمتوسطة:**

وضعت البنوك الإسلامية مناهج في التمويل تختلف عن غيرها في المصارف الأخرى، حيث تعمل على تقديم مجموعة من الخدمات البنكية لتعبئة الفائض من خلال صيغ وأساليب تمويلية تلائم أنواع الأنشطة بمختلف أنواعها، وذات فعالية في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ويمكن تطبيقها في مختلف الآجال، وتوظيفها توظيفا رشيدا، وذلك بتكيفها مع متطلبات العصر الحديث وفق الشريعة الإسلامية. فيما يلي عرض لأهم صيغ التمويل الإسلامي التي يمكن الاستفادة منها في تمويل قطاع الشركات الصغيرة والمتوسطة:

الصيغة الأولى: التمويل عن طريق المضاربة

تعرف المضاربة بأنها عقد على المشاركة في الاتجار بين مالك لرأس المال، وعامل يقوم بالاستثمار بما لديه من الخبرة، ويوزع الربح بينهما في نهاية كل صفقة بحسب النسب المتفق عليها، أما الخسارة إذا وقعت فيتحملها رب المال وحده، ويخسر المضارب جهده أو عمله، أي أن رأس المال من طرف والإدارة والتصرف فيه من طرف آخر. فالمضاربة هي اتفاق بين طرفين، يبذل أحدهما جهده ونشاطه في الاتجار والعمل بهذا المال، على أن يكون ربح ذلك بينهما على حسب ما يشترطانه من النصف أو الثلث أو الربع، وإذا لم تربح الشركة لم يكن لصاحب المال غير رأس ماله، وضاع على المضارب كده، لأن الشراكة بينهما في الربح، أما إذا خسرت الشركة فإنها تكون على صاحب المال وحده، ولا يتحمل عامل المضاربة شيئا منها مقابل ضياع جهده، إذ ليس من العدل أن يضيع عليه جهده ثم يطالب بمشاركة رب المال فيما ضاع من ماله ما دام ذلك لم يكن عن تقصير (ابو معزة، 2017).

الصيغة الثانية: التمويل عن طريق المشاركات

تعد المشاركة من أهم أدوات التمويل التي تقدمها البنوك الإسلامية، وتذكر الموسوعة العلمية للبنوك الإسلامية أن تمويل الشراكة أكثر أمانًا للمؤسسات الصغيرة. خاصة إذا كانت هناك شركات كبيرة في نفس القطاع. تعرَّف المشاركة على أنها أسلوب تمويلي يشترك بموجبه البنك الإسلامي مع المؤسسة

بتقديم المال اللازم لها، ويوزع الربح بينهما بحسب ما يتفقان عليه، أما الخسارة فحسب مساهمة كل طرف في رأس المال، ويقوم بالإدارة صاحب المشروع، ومشاركة البنك تكون بالقدر اللازم لحفظ حقوقه، والاطمئنان إلى عدم حدوث إهمال أو تقصير، كما يحصل صاحب المشروع من البنك على حصة من الربح مقابل إدارته للمؤسسة (ابو معزة، 2013).

الصيغة الثالثة: التمويل عن طريق بيع المرابحة

يعرف المرابحة بانها ببيع سلعة بسعر الشراء بربح محدد. قد تكون هذه نسبة من سعر البيع أو مبلغ مقطوع ، وهناك أشكال متعددة من المرابحة، منها المرابحة البسيطة: تكون بين شخص لديه سلعة ويرغب في بيعها بثمن عالٍ مثلا لذلك البيوع التي بها التجار في العادة وشخص يشترى السلع ويحتفظ بها حتى يأتي من يرغب بشرائها فيبيعها بربح في العادة.

وتتكون المرابحة من ثلاثة أطراف، هم:

- الطرف الأول: وهو المشتري الأول البنك الإسلامي وهو المامور بالشراء.
- الطرف الثاني: المشتري الثاني الذي يرغب بالشراء وهو الأمر بالشراء.
- الطرف الثالث: وهو البائع الأول الذي يملك السلعة (حسن، 2020).

الصيغة الرابعة: التمويل بالإجارة

هو لم تكن الإجارة في الأصل وسيلة تمويل. إنها ببساطة صفقة تهدف إلى نقل حق الانتفاع بالممتلكات من شخص إلى آخر لفترة متفق عليها مقابل مقابل متفق عليه. ومع ذلك ، فقد تبنت بعض المؤسسات المالية التأجير كوسيلة للتمويل بدلاً من الإقراض طويل الأجل على أساس الفائدة. يتميز هذا النوع من المعاملات بالاحتفاظ بملكية الأصول بحيث يمكن تأجيرها عند انتهاء مدة الإيجار السابقة، وذلك لضمان عدم بقاء الأصول معطلة لفترة طويلة بالنسبة للشركة المستأجرة، وتسهيلًا لذلك. اقتناء الآلات والمعدات اللازمة للمشروع الصغير ، وعدم تكبد مبالغ تفوق إمكانياته، خاصة في بداية نشاطه (فايدي، قاسي، 2019).

الصيغة الخامسة: التمويل بالسلم

بيع السلم: بيع آجل بعاجل (السعر)، لأنه يمثل عقد بيع يتم بموجبة تسليم سعر حالى مقابل سلع مؤجلة موصوفة بدقة وبمقدار معلوم كيلًا أو وزنًا. وهو عقد تطوير يستخدم في مجال التمويل الزراعي والصناعي والأنشطة الإنتاجية الأخرى. يمكن للمصارف الإسلامية عن خلال بيع السلم مساعدة الحكومة على حل العديد من المشاكل الاقتصادية، وخاصة المشاكل الزراعية منها؛ وذلك بمعاونة المزارعين وصغار الحرفيين بشراء البضائع التي ينتجونها وتقديم سعرها لهم ليستخدموا هذا السعر في تحسين الإنتاج وترقيته. بجانب عقود الاستصناع والجعالة يمكن استخدام بيع السلم لتطوير أسواق إسلامية مستقبلية تكون أكثر مساواة، وأقل تضارب بسبب دفع الثمن مقدماً، عن طريق إصدار عقد سلم مواز لعقد السلم الأصلي المتعاقد عليه على أن يكون عقدا السلم المتوازيان مستقلين عن بعضها وبالتزامات مستقلة (الرفيعي، 2012).

الصيغة السادسة: التمويل بالاستصناع

التمويل بالاستصناع هو عقد من عقود الاستثمار وصيغة من صيغ التمويل، وهو عقد قائم على بيع الذمة الذي يشترط فيه العمل على صنع السلع بأوصاف معلومة بمواد من عند الصانع، على أساس أن يدفع المستصنع مبلغا معينا سواء عند بداية العقد أو خلال فترات متفاوتة أثناء أداء الصانع للعمل المتفق عليه بينهما، وذلك حسب الاتفاق الموجود في العقد، و يتعامل للبنك الإسلامي بصيغة الاستصناع من خلال الأسلوبين التاليين:

أن يكون للبنك طالبا لمنتجات ذات مواصفات خاصة، فيقوم بشرائها، ويتم تسليمها في موعد محدد مستقبلا، وبالتالي هو يمارس هذه الصيغة تمويل عملائه، ويوفر لهم الموارد المالية اللازمة عبر شراء منتجاتهم. وأن يدخل بعقد استصناع بصفته بائعا مع من يرغب في شراء منتوج معين، ويعقد عقد استصناع موازيًا بصفته مشتريا من جهة أخرى لتصنيع الشيء الذي التزم به في العقد الأول (عبد المجيد، 2017) .

الصيغة السابعة: التمويل عن طريق البيع بالعمولة

يمكن للمصرف استخدام هذه الصيغة لتمويل العملاء الذين لديهم القدرة على تسويق المنتجات والمعرفة بسوق المنتجات، ويمتلكون منافذ للتوزيع ولكن ليس لديهم إمكانات لشراء بضائع لتصريفها. ويقوم المصرف بشراء تلك البضائع وإعطائها للعملاء على سبيل الأمانة لبيعها مقابل نسبة من الأرباح

المحققة، وتناسب هذه الصيغة المنشآت الصغيرة ولا سيما فئة الشباب حيث تقدم السلع لهم لبيعها وتوريد ثمنها بعد البيع.

الصيغة الثامنة: التمويل عن طريق المزارعة

وهي "مشاركة بين طرفين، أحدهما يوفر الأرض والآخر يزرعها، والنتيجة تقسَّم بالتساوي بين مالك الأرض ومن يزرعها، وبالتالي فهي نوع من الشراكة الإسلامية. تعد صيغة التمويل بالمشاركة من أهم الصيغ التي يمكن استخدامها في تمويل القطاع الزراعي، خاصة إذا علمنا أن العالم العربي يستورد 75% من احتياجاته الغذائية من الخارج، رغم توافر مساحات كبيرة صالحة للزراعة. نجح تطبيق هذه الصيغة في السودان وباكستان؛ وأدَّى إلى تنمية زراعية فاعلة (الأسرج، 2012).

ثالثا: تجارب التمويل الإسلامي للشركات الصغيرة والمتوسطة في بعض الدول.

هناك ممارسات مختلفة في المؤسسات المالية الإسلامية تتعلق بالتمويل الإسلامي للشركات الصغيرة والمتوسطة في مختلف البلدان. على سبيل المثال، في **إندونيسيا** كشفت مشاكل الممارسة الحالية للمؤسسات المالية الإسلامية، واقترحت خطة أفضل يمكن فعلا التغلب على المعلومات غير المتماثلة من خلال قاعدة بيانات مناسبة للشركات الصغيرة والمتوسطة في كل منطقة، وإنشاء تقييم للشركات الصغيرة والمتوسطة للحصول على ائتمان مبكر. البنوك الإسلامية الإندونيسية على وشك فرض هامش أعلى لتمويلها. بالإضافة إلى ذلك، تفضل البنوك التمويل قصير الأجل، وأكثر من 70 في المائة من تمويلها المحلي في شكل قروض متناهية الصغر وصغيرة ومتوسطة الحجم. تم تسجيل التمويل المتعثر للشركات الصغيرة والمتوسطة في إندونيسيا على أنه أعلى من القروض المتعثرة من البنوك التقليدية. تساعد نتيجة التقييم البنوك على تقييم مخاطر الأعمال بسرعة. لذلك، تساعد هذه الخطوة البنك في دراسة إمكانات الشركات الصغيرة والمتوسطة، وتقدم إطارًا يمكن من خلاله لخطط التمويل الإسلامي أن تحل تمامًا مشاكل تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة (Huda, 2012).

وفي الممارسة العملية في **سلطنة عمان**، فإن نظرة الشركات الصغيرة والمتوسطة إلى الخدمات المصرفية الإسلامية ليست إيجابية للغاية، لكنها ليست عدائية للغاية. ويرجع ذلك إلى نقص الوعي والترويج من قبل المؤسسات المالية لاقتراح التمويل الإسلامي كنظام مصرفي بديل للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

إلى جانب ذلك، تعتبر الخدمات المصرفية الإسلامية في عمان جديدة منذ أول بنك إسلامي في عمان في عام 2011. استخدم معظم مالكي الشركات الصغيرة والمتوسطة رأس مالهم لضخ مشاريعهم (Subramaniam, Tanwani, 2014). ومع ذلك، وجد أن المعرفة بالتمويل الإسلامي لمديري الشركات الصغيرة والمتوسطة تؤثر على قرارهم باستخدام منتجات التمويل الإسلامي. على الرغم من أن مديري الشركات الصغيرة والمتوسطة يعتزمون استخدام التمويل الإسلامي لزيادة رأس مالهم التجاري، إلا أن خصائص أعمالهم لا تؤثر على قرارهم (Al Balushi, Locke, Boulanouar, 2019).

وفي **الأردن** يبدأ النظام المصرفي الإسلامي بالدور التنموي لتقليص معدلات البطالة. لذلك، من خلال توفير الموارد الكافية من خلال المشاركة (الشراكة)، تم تنفيذ السياسة الجديدة من أجل مساعدة الحرفيين والخبراء والعاطلين عن العمل في الشركات الصغيرة والمتوسطة. تطور البرنامج أيضًا ليصبح برنامجًا واحدًا يسمى الحرفيين الماليين. الشركات الصغيرة والمتوسطة والمهنيين الذين يتمتعون بالخصائص التالية: 1) المقترض والبنك، 2) يجب أن يتحمل كلًّا من الربح والخسارة يجب أن يقدم البنك للمقترض الاحتياجات المطلوبة، والتي تشمل المهارات المالية والإدارية والخبرة، 3) الشهرية دفع الأقساط غير ملزم من قبل المقترض، 4) يخصص صافي الدخل إلى ثلاثة أسهم: أ) جهد صاحب المشروع ب) البنك الذي استثمر الأموال، ج) حصة مخصصة لصاحب العمل لشراء أسهم البنك، د) الخدمة التي يقدمها البنك لأصحابها من الشركات الصغيرة والمتوسطة. كما أن الشركات الصغيرة والمتوسطة تعتقد أن التمويل الإسلامي يلعب دورًا أستسيًّا في تنمية الشركات الصغيرة والمتوسطة. لتحقيق أداء أفضل، اقترحت البنوك الإسلامية وجود إدارة منفصلة لدعم ورعاية جميع قضايا الشركات الصغيرة والمتوسطة ذات الصلة (Mumani, 2014).

أما في **جنوب إفريقيا**، فقد تم تأسيس أول بنك إسلامي في عام 1989، وهو بنك جنوب إفريقيا البركة. يؤدي القرض دون فائدة، ويعمل كوسيط، حيث يتم مشاركة الربح والخسارة في ممارساتهم التجارية (Hove, Sibanda, Pooe, 2014). في مصر تستند الممارسة إلى تقرير صادر عن مؤسسات التمويل الدولية. وفقًا للتكافل، فإن القاعدة والعنصر في ممارسات الصيرفة الإسلامية بحاجة إلى الوفاء بالتزام البنوك الإسلامية من أجل تعويض ودائع العملاء. بالإضافة إلى ذلك، يجب الاحتفاظ بجميع الخطوط العريضة لعمليات البنوك التقليدية لفتح نوافذ مصرفية إسلامية في حسابات منفصلة عن الحسابات

التقليدية. للإشراف على جميع أنشطة البنوك الإسلامية، يجب أن يكون لدى تشكيل هيئة شرعية مستقلة ما لا يقل عن ثلاثة مستشارين شرعيين مسجلين لدى البنك المركزي (IFC, 2017).

وفي **تركيا** يظهر أن البنوك الإسلامية تميل أكثر إلى تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة من البنوك التقليدية (Aysan, Disli, Ng, Ozturk, 2016). في باكستان، فإن 11 في المائة من الشركات الصغيرة والمتوسطة تشعر بالخدمات الجيدة، وزعم 22 في المائة أنها محرومة من الخدمات. ووافق 67 في المائة الباقون على أنهم يظلون غير مخدومين من قبل القطاع المصرفي سواء الإسلامي أو التقليدي. ذلك لأن غالبية رواد الأعمال من الشركات الصغيرة والمتوسطة يميلون إلى تجنب فرص التمويل هذه لأسباب دينية. لذلك، تم اقترح سوق التمويل الإسلامي المحتمل للشركات الصغيرة والمتوسطة لأنه يتوافق مع الشريعة الإسلامية ويتوافق مع معتقدات رواد الأعمال (Raza, Ahmed, Osama, Hasan, Farooq, 2017).

في **المملكة العربية السعودية**، لا يزال معظم رواد الأعمال في الشركات الصغيرة والمتوسطة لا يؤيدون بيئة التمويل الإسلامي على الرغم من التطور والنمو الأخير لمنتجات التمويل الإسلامي الجديدة. تنبع المشكلة من ضعف البنية التحتية للتمويل الإسلامي فيما يتعلق بتنمية التجارة وقدراتها(Saaid, 2013) . في السودان تتعلق بالتمويل الإسلامي ووجد أن لديها تحيزًا تجاه الشركات الصغيرة والمتوسطة الأصغر نسبيًا، وأصولها ودخلها ومهاراتها. لتحقيق التوازن بين التحيز وتحسين تسهيلات الشركات الصغيرة والمتوسطة والوصول إلى التمويل الإسلامي، يجب أن يتم قياس إصلاح السياسات (Magbul, Hassan, 2017) . وإن الشركات الصغيرة والمتوسطة أمر حيوي للبلدان النامية، لا سيما عندما تمثل معظم فرص العمل لبلد معين. لذلك، لضمان النمو المستدام للشركات الصغيرة والمتوسطة (Elasrag, 2016).

في **البحرين** أدخلت الحكومة أدوات التمويل الإسلامي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم المعروفة باسم تمكين، والتي تشير إلى تعزيز إنشاء المشاريع وتطويرها وتقديم الدعم لتعزيز إنتاجية ونمو المؤسسات والأفراد... وإن تطور أنماط التمويل الإسلامية ينعكس بشكل مباشر على نمو الاقتصاد.

وأما نمو إقراض المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من قبل البنوك الإسلامية. وفيما يتعلق بالمنافسة في حصص السوق، فقد أظهرت النتيجة انخفاضًا في حجم إقراض الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال البنوك الإسلامية. ومع ذلك، من جانب المنافسة السعرية، أدَّى تنوع نطاق المنتجات إلى زيادة حصتها

في السوق. إطار الإقراض هو جزء لا يتجزأ من تشجيع الشركات الصغيرة والمتوسطة على الإقراض مع المؤسسات المالية الإسلامية وزيادة عدد المقترضين. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون إطار الإقراض شفافًا للمقترض، لا سيما في الكشف عن تكلفة المعاملة والضرائب التي تشمل المعاملة المعنية. يمكن أن تقنع المعلومات الواضحة حول التكلفة الشركات الصغيرة والمتوسطة باختيار التمويل لأعمالها. في المؤسسات المالية الإسلامية، بصرف النظر عن جمع الأموال من المقترض، يمكن أن يكشف المقرضين (Matarneh, Almanaseer, 2015).

في **المغرب**، شكَّل التمويل الإسلامي في مؤتمر المغرب لعام 2016 الذي غيَّر السياسات الضريبية لضريبة القيمة المضافة إلى ضريبة مباشرة لمساعدة المؤسسات المالية الإسلامية على جمع المزيد من الأموال من خلال الإيرادات. وبالتالي، فإن المؤسسات المالية الإسلامية لديها دائمًا استراتيجية لكسب المال مع الحفاظ على ممارسة جيدة لكلا الجانبين من الفوائد. في غضون ذلك، فإن الشركات الصغيرة والمتوسطة في المغرب على دراية بالمنتجات المالية الإسلامية، لا سيما تلك التي يمكن أن تساعدهم في الاستمرار في إدارة أعمالهم. استنادًا إلى نظرية السلوك المخطط (TPB)، أصبحت التكاليف والمخاطر وملاءمة المنتجات المالية من المحددات المهمة لأصحاب الشركات الصغيرة والمتوسطة لتبني منتجات التمويل الإسلامي (Haque, 2016).

أما فيما يخص تصورات الشركات الصغيرة والمتوسطة تجاه تمويل تقاسم الأرباح والخسائر في المغرب. يلعب سلوك مالكي الشركات الصغيرة والمتوسطة، والمواقف، والأسرة، والدعم الخارجي دورهم أيضًا في تحديد نيّة الشركات الصغيرة والمتوسطة في تبني المنتج المالي. وهذا يعني أن العمل المصرفي الإسلامي يجب أن ينتهز كل فرصة ممكنة لخدمة الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال تقديم منتجات تمويلية حسب متطلبات الشركات الصغيرة والمتوسطة. علاوة على ذلك، فإن فهم سلوكيات الشركات الصغيرة والمتوسطة في أخذ المنتجات التمويلية لأعمالها يمكن أن يوفر رؤية ثاقبة للبنوك لابتكار منتجات مالية يمكنها تلبية احتياجات الشركات الصغيرة والمتوسطة (Badaj, Radi, 2018).

في ظل هذه القدرة التنافسية السريعة، يميل المودعون وعملاء البنوك إلى البحث عن بنك متعدد الاستخدامات يلبي احتياجاتهم المالية، ويستجيب لجميع الاستفسارات. لذلك، تعد الخدمات الاستشارية ضرورية لتحسين الربحية، وتوسيع الحصة السوقية، والبقاء على قيد الحياة في المنافسة الشديدة. تعد

إدارة الأعمال أمرًا بالغ الأهمية للشركات الصغيرة والمتوسطة حيث يتم تحفيز تطوير الأعمال بشكل مكثف في السنوات الأخيرة. لا تزال معرفة الشركات الصغيرة والمتوسطة في وضع البداية للتعرف على الأعمال التجارية الجديدة. وبالتالي، يجب أن تصبح المعرفة الكافية هي الأجندة الأساسية للمؤسسة المالية الإسلامية من خلال توفير المعرفة الكافية حول التمويل والإدارة ومهارات العمل واللوائح الحكومية والمبادئ التوجيهية التي تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على تشغيل أعمالها (Elasrag 2016).

يعد منتج الخدمات المصرفية الإسلامية معيارًا ولكنه معرفة جديدة للعملاء في المستقبل، ويجب تقديم المعلومات الخاصة به بدقة، لا سيما فيما يتعلق بعرض المنتج والأهلية. ومن ثم، ينبغي القيام بعمليات ترويج منتظمة ومشاركة نشطة للمعرفة لتسهيل نقل المعرفة، واختراق السوق، وإعداد العملاء المستقبليين بفهم مفهوم للمنتجات ووظائف الصيرفة الإسلامية الأخرى (Rhanoui, , 2017). قد تساعد منصة لتبادل المعرفة بين الممارسين في تعزيز التفاعلات، ومشاركة المعلومات، ونشر معيار المستندات المالية الإسلامية (A. Abuazoum, 2013)، كما يجب على المؤسسات المالية إنشاء حملات لتحسين الأعمال والسياسة المصرفية بطريقة تعزز مشاركة المعلومات (Hasan, 2015).

الخاتمة

هناك اهمية كبيرة للشركات الصغيرة والمتوسطة أهمية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويرجع ذلك من خلال مساهمتها في توفير فرص عمل جديدة، وبالتالي تقليل نسبة البطالة، ومساهمتها في القيمة المضافة وتنوع الصادرات، وتحقيق التكامل بين مختلف الأنشطة الاقتصادية.

ولقد قدم المنهج الإسلامي منظومة من صيغ التمويل الإسلامي البنكي تقوم على الربح، ومبدأ المشاركة في الربح والخسارة، مثل صيغ: المشاركة، المضاربة، الإجارة، السلم، الاستصناع، المرابحة، والبيع الآجل...، حيث تتلاءم هذه الصيغ مع طبيعة الاحتياجات التمويلية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتناسب ظروفها.

وإن صيغ التمويل الإسلامي تقوم بدور هام في تمويل وتطوير الشركات الصغيرة، ودور مُهِمّ في زيادة أرباح الشركات الأخيرة. وبذلك تساهم في تنمية الاقتصاد وزيادة فرص العمل المتاحة. وستسهم زيادة هذه الفرص في محاربة العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. يساهم في خفض معدلات الفقر.

يمكن تطوير قطاع المشاريع الصغيرة، وتعزيز قدرتها التنافسية من خلال الاستفادة من صيغ التمويل الإسلامي، ومن الضروري اعتماد استراتيجية بعيدة المدى لتنمية الشركات الصغيرة والمتوسطة لتوفير شبكة شركات فعالة. خلق بيئة عامة للاستثمار والإصلاح المالي، وإزالة العقبات الناجمة عن اختلالات السوق، وتقليل تكلفة ممارسة الأعمال، وتيسيير الإجراءات، و وتحسين القدرات التنافسية من خلال تحسين الأطر التشريعية والتنظيمية والإجرائية، ، وتقديم المساعدات، وتشجيع التعاون بين الجمهور. ويعد القطاع الخاص من بين عوامل تطوير المناخ الاستثماري الذي يتفق مع طبيعة الشركات الصغيرة والمتوسطة لتنمية قدراتها.

ولفهم سلوكيات الشركات الصغيرة والمتوسطة في أخذ المنتجات التمويلية لأعمالها يمكن أن يوفر رؤية ثاقبة للبنوك لابتكار منتجات مالية يمكنها تلبية احتياجات الشركات الصغيرة والمتوسطة. فإن العمل المصرفي الإسلامي يجب أن ينتهز كل فرصة ممكنة لخدمة الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال تقديم منتجات تمويلية حسب متطلبات الشركات الصغيرة والمتوسطة.

وإن المعرفة بالتمويل الإسلامي لمديري الشركات الصغيرة والمتوسطة تؤثر على قرارهم باستخدام منتجات التمويل الإسلامي. على الرغم من أن مديري الشركات الصغيرة والمتوسطة يعتزمون استخدام التمويل الإسلامي لزيادة رأس مالهم التجاري، إلا أن خصائص أعمالهم لا تؤثر على قرارهم.

قائمة المراجع:

1) ابو معزة، فتيحة، البنوك الإسلامية ودورها في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، رسالة ماجستير ، جامعة أم البواقي، 2013، ص: 42.

2) ابو معزة، لبنى، واقع تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وفق صيغ التمويل الإسلامي دراسة حالة بنك البركة–وكالة مليلة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، 2017، ص: 54.

3) الأسرج، حسين عبد المطلب، المشروعات الصغيرة والمتوسطة وتحدي البطالة بين الشباب الخليجي، مجلة بحوث اقتصادية عربية، المجلد 22، العدد 69 و70 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015، ص: 164.

4) الأسرج، حسين عبد المطلب، تأثير الاتحاد الجمركي على المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، وزارة التجارة والصناعة، مطبعة العالم العربي، مصر، 2007، ص 10.

5) الأسرج، حسين عبد المطلب، دور التمويل الإسلامي في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة، مجلة الدراسات المالية والمصرفية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية–مركز البحوث المالية والمصرفية، المجلد 20، العدد 3، الأردن، 2012، ص: 40.

6) البهنساوي، ليلى كامل عبد الله السياق الاجتماعي وتنمية المشروعات الصغيرة: دراسة حالة لمنطقة بطن البقرة، المجلة العربية لعلم الاجتماع، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، العدد 3، مصر، 2009، ص: 8.

7) حرب، بياف، دور المشروعات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد 2، دمشق، جامعة دمشق، 2006، ص: 116.

8) حسن، حنان صبحي عبد الباقي ، صيغ التمويل الإسلامي للمشروعات الصغيرة، المركز الديمقراطي العربي 4. يوليو 2020، متاح على: https://democraticac.de/?p= 67613.

9) خليل، عبد الرزاق، موش، عادل، دور الصناعات الصغيرة والمتوسطة في تحقيق التنمية الاقتصادية، جامعة الأغواط، الجزائر، 2011، ص: 10.

10) داود، فضيلة سلمان، صادق رشيد الشمري، التوجه الاستراتيجي للمصارف في احتضان المشروعات الصغيرة والمتوسطة في العراق، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، العدد 94، 2013، ص: 43.

11) الرفيعي، إفتخار محمد مناحي وآخرون، المصارف الإسلامية ودورها في عملية التنمية الاقتصادية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد:31، 2012، ص: 26.

12) زغلامي، مريم وشريط، كمال. التمويل المصرفي الإسلامي و أثره على الناتج المحلي الإجمالي الماليزي للفترة (2000–2016) : دراسة تحليلية قياسية. مجلة الباحث الاقتصادي، المجلد 6، العدد 9، 2018، ص ص. 112–133.

13) سعيدي، وصاف، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتنمية الصادرات مع الإشارة لحالة الجزائر، ورقة عمل مقدمة للملتقى الوطني الأول حول المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ودورها في التنمية، الجزائر، 8–2002، ص: 2.

14) الشواربي، محمد عبد الحميد، إدارة المخاطر الائتمانية من وجهتي النظر المصرفية والقانونية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2002.

15) صادق، نيفين طلعت احتياجات المشروعات الصغيرة في مصر، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد 140، مصر، 2013، ص: 188.

16) صالح، علي وهيب عبد الله، دور المشروعات الصغيرة في زيادة الإنتاج الصناعي وانعكاسها لمعالجة مشكلة البطالة في العراق، جامعة ديالي، كلية الإدارة والاقتصاد، 2016، ص: 11.

17) عبد الله، خلابة، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة آلية لتحقيق التنمية المستدامة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر، 2013، ص: 223–224.

18) عبد المجيد، موزاريت، دور البنوك الإسلامية في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، الملتقى والوطني حول استدامة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي، كلية العلوم الاقتصادية التجارية والبحث العلمي، الجزائر، يومي 6 و7 ديسمبر 2017، ص: 16.

19) العنزي، سعد علي حمود، مثنى زاحم فيصل، مبررات احتضان المشاريع الصغيرة والمتوسطة، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد 74، جامعة بغداد، 2013، ص: 2.

20) عيدان، فريال مشرف، دور المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الحد من مشكلة البطالة بين الشباب العراقي، مجلة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد 8، العدد 16،2016، ص: 286.

21) فايدي، كمال، و قاسي، ياسين، دور البنوك في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، مجلة الاقتصاد والإحصاء التطبيقي، المجلد 16، العدد 2، ديسمبر 2019، ص: 173.

22) قدوري، فائق مشعل، الصناعات الصغيرة التوجهات التنموية وآفاق التطوير، المؤتمر العلمي الأول، جامعة تكريت، العراق، 2009، ص: 249.

23) موقع منظمة الأمم المتحدة (يونيدو) www.unido.org.

24) الهيتي، نوزاد عبد الرحمن، الصناعات الصغيرة والمتوسطة في دول مجلس التعاون الخليجي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 30، قطر، 2006، ص: 3.

25) الورد، إبراهيم موسى، يأس، راوية عبد الرحيم، استراتيجية مقترحة لتنمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة في العراق، المؤتمر العلمي السابع لكلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2006، ص 14-16.

26) يحياوي، زكية مقري، المشروعات الصغيرة والمتوسطة كآلية لمكافحة البطالة في الدول العربية، بحث مقدم للمشاركة في الملتقى الدولي بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير بجامعة المسلية، الجزائر، 15-16 نوفمبر 2011، ص: 22-23.

27) A. Abuazoum, Abdusalam ;Azizan, Nurdiana; Ahmad, Nursilah, Knowledge Sharing for the Islamic Banking Sector in Malaysia. International Journal of Computer and Communication Engineering, Vol. 2 , No. 3, 2013, p 368-371.

28) Abdesamed, Khalid; Abd Wahab, Kalsom, Financing of small and medium enterprises (SMEs): Determinants of the bank loan application. African Journal of Business Management, vol. 8, , No.17, 2014, 717-727.

29) Abu Shanab, Sameh Abdel Karim, The Role of Islamic Finance in Supporting Small and Medium Enterprises (Case Study - Jordan), Baghdad University College Journal for Economic Sciences, No. 45, 2015.

30) Adelekan, Adedeji Saidi, Islamic financing and entrepreneurship development: providing an alternative model for new venture growth. Finance, Management and Entreprene urship, 2021, pp. 91-104.

31) Al Balushi, Yasmeen ; Locke, Stuart; Boulanouar, Zakaria, Determinants of the decision to adopt Islamic finance: evidence from Oman. ISRA International Journal of Islamic Finance, vol.11 , No. 1, 2019, 6-26..

(32 Al Manaseer, Mousa F, The Impact of the Financial Crisis on the Determinants of the Islamic Banks Profitability- Evidence from GCC. International .Journal of Financial Research, Vol. 5 , No. 3, 2014

(33 Aysan, Ahmet & Disli, Mustafa & Ng, Adam & Ozturk, Huseyin, Is small the new big? Islamic banking for SMEs in Turkey. Economic Modelling, vol. 54 .(October 2015), 2016, p187-194

(34 Ayyagari, Meghana; Demirguc-Kunt, Asli & Maksimovic, Vojislav, Who Creates Jobs in Developing Countries?, Small Business Economics, Vol. 43 , No. .1, 2014, pp. 75-99

(35 Ayyagari, Meghana; Beck, Thorsten; Demirguc-Kunt, Asli, Small and Medium Enterprises Across The Global: a New Database, World Bank Policy Research .,Working Paper, No. 3127, 2003, p 2-3

(36 Badaj, Fairouz; Radi, Bouchra, Empirical investigation of SMEs' perceptions towards PLS financing in Morocco. International Journal of Islamic and Middle .Eastern Finance and Management, Vol. 11, No. 2, 2018, p 250-273

(37 Elasrag ,Hussein, Islamic finance for SMES. Journal of Economic and Social .Thought, Vol. 3, Issue 3, September 2016. p 437-453

(38 Elasrag ,Hussein, Islamic finance for SMES. Journal of Economic and Social .Thought, Vol. 3, Issue 3, September 2016. p 437-453

(39 F. Kuratko, Donald; S. Hornsby, Jeffrey; G. Goldsby, Michael, the relationship of stakeholder salience, organizational posture, and entrepreneurial intensity to corporate entrepreneurship . Journal of Leadership & Organizational .Studies 13: 2007

(40 Haque, M Shamsul , Time for Paradigm Shift in Islamic Finance Industry and Economy : Concepts of Profit , Loss , Enterprise Performance-Measure. Journal of Business and Technology (Dhaka), vol. 11 , No1, 2016, p 1 –9.

(41 Hasan, M. Kabir, Entrepreneurship Islamic Finance and SME Financing. In I. F. S. Board (Ed.), IFSB 7th Public Lecture on Financial Policy and Stability, Jakarta, Indonesia, 2015, p. 25.

(42 Hassan, Kabir; Rabbani, Mustafa Raza & Abdulla,Yomna, Socioeconomic impact of COVID-19 in MENA region and the role of Islamic finance. International Journal of Islamic Economics and Finance (IJIEF), vol. 4, No. 1, 2021, 51-78..

(43 Hove, Progress; Sibanda, Kin; Pooe, David,. The Impact of Islamic Banking on Entrepreneurial Motivation, Firm Competitiveness and Performance in South African Small and Medium Enterprises. Mediterranean Journal of Social Sciences, vol. 5 , No.15, 2014, p 165-174.

(44 Huda, Aulia Nurul, The Development of Islamic Financing Scheme for SMEs in a Developing Country : The Indonesian Case. Social and Behavioral Sciences, vol. 52, 2012, 179-186.

(45 IFC. Islamic Banking Opportunities Across Small and Medium Enterprises. World Bank Group, 2017.

(46 Kapurubandara, Mahesha ; Lawson, Robyn, Barriers to Adopting ICT and E- commerce with SMEs in Developing Countries: an Exploratory Study in Sri Lanka." CollECTeR (Collaborative Electronic Commerce Technology and Research), 2006.

(47 Magbul, A. Hassan, R. Microcredit supply under Islamic Banking in Khartoum State , Sudan. Southern African Business Review, vol. 21 , No. 1, 2017, p 407-428. .

(48 Matarneh, Bashar; Almanaseer, Mousa, Contribution of Islamic Banks in Financing Small and Medium Enterprises in the Kingdom of Bahrain. International Journal of Financial Research, vol. 6, No 3, 2015, p 49-55.

(49 Matarneh, Bashar; Almanaseer, Mousa, Contribution of Islamic Banks in Financing Small and Medium Enterprises in the Kingdom of Bahrain, International Journal of Financial Research, Vol. 6, No. 3; 2015, p 51.

(50 Mumani, Hamzeh Fayez, Islamic Finance for SMEs in Jordan 1978-2014. Master of Science in Banking and Finance, Eastern Mediterranean University (EMU)-Doğu Akdeniz Üniversitesi (DAÜ), 2014.

(51 Raza, Hasan; Ahmed, Faizan; Osama, Ahmed; Hasan, Farooq Ahmed,. Islamic banking for small and medium enterprises (SMEs): A glance at challenges and prospects in Pakistan. International Journal of Development and Sustainability, vol. 6 , No.12, 2017, p 1998-2008.

(52 Rhanoui, Salma, Belkhoutout, Islamic Banking in Morocco : The Factors of a Promising Future. Journal of Islamic Banking and Finance, Vol. 5, No. 1, 2017, p 7-14.

(53 Saaid, Abd Elrahman Elzahi, The Challenges of Islamic Trade Finance in Promoting SMEs in IDB Member Countries. IRTI Working Paper Series, 2013, p1-17.

(54 Shah, Syed Alamdar Ali; Sukmana, Raditya & Fianto, Bayu Arie, Integration of Islamic bank specific risks and their impact on the portfolios of Islamic Banks. International Journal of Islamic and Middle Eastern Finance and Management, vol. 3, No. 2, 2021, 201-305.

(55 Subramaniam, Madhavan; Tanwani, Krishan Kumar . Perspectives of SMEs on the Emergence of Islamic Banking in the Sultanate of Oman – The Golden

Hands Coming Together for Sustainable Growth. International Journal of .Humanities and Social Science, (May), 2014, 1 –10

(56 Thomas, Solomon; Brycz, Marcin, Nigeria Vision 20: 2020 Can dream become reality? Evidence from National Accounts. Journal of International Studies, .vol. 7 , No. 3, 2014, 162–170

(57 Zyadat, Ali Abdel Fattah Hamdan; Alrawashdeh, Salah Turki Ateiwi, Islamic Finance and Its Role in Funding Small Enterprises in Jordan, Research in World .Economy, Vol. 12, No. 1, Special Issue; 2021

(58 Zyadat, Ali Abdel Fattah Hamdan; Alrawashdeh, Salah Turki Ateiwi, Islamic Finance and Its Role in Funding Small Enterprises in Jordan, Research in World .Economy, Vol. 12, No. 1, Special Issue; 2021

الأقلية الإيغورية في الصين حتى عام 1976

The Uyghur minority in China until 1976

الأقلية الإيغورية في الصين حتى عام 1976

The Uyghur minority in China until 1976

م . م. أباذر راضي كريدي العامري

Abather Radhi Kraidi AL-Amiri

مديرية تربية ذي قار

abther60@gmail.com

أ.د عبد الرسول شهيد عجمي

Dr. Abdul Rasul Shahid Ajami

كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ذي قار

abdalresoul.sheaad@utq

الكلمات المفتاحية: الأقليات ، الإيغور، الصين

الملخص:-

للأقلية الإيغورية مكانة هامة من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية في التاريخ، وكانت تركستان الوطن الأم للشعوب ذات الأصول التركية المسلمة، ونتيجةً للسياسة الخارجية الصينية التوسعية نحو جنوب شرق آسيا وقعت البلاد ضحية القوى العظمى واضحت موضع صراع بين روسيا والصين وبالتحديد منذ حملات الغزو المانشوري حتى وقوعها في قبضة الشيوعيين عام 1949، كون المنطقة أصبحت ضمن مجالهم الحيوي وبالتالي لها تأثيراً هاماً على أمنهم القومي، إضافةً إلى ارتباطها بالتحديث والتنمية، لذلك جرد الشعب من حضارته وثقافته وتاريخه وحقوقه في العمل والمسكن والتعليم والصحة والزواج والهجرة وتحديد النسل، إضافةً إلى منعهم للتعاليم الدينية واحكامها الشرعية وغلق المساجد وقراءة القرآن وقتل العلماء ورجال الدين والخطباء أو استعبادهم، إلاَّ أن الإيغور قاموا بمحاولات عدة من اجل الاستقلال وهذا يعطي انطباعاً يؤكد بأن طموحهم في الحرية والاستقلال ضعيف التحقق نتيجة لسياسة

التصيين التي أنذرت بزوال تركستان من الوجود، واصبحت تلك المنطقة إحدى أقاليم الصين التي عرفت باسم سينجيانغ ذو الاستقلال الذاتي .

Abstract:-

The Uyghur minority has a significant status in history relating to political, economic and cultural aspects , and Turkistan was the motherland of peoples with Turkish Muslim descent. as a consequence of the expansionist policy used by Chinese alien affairs towards Southeast Asia, the country became a victim to the great powers and remained as an area of conflict between Russia and China. The commence was the Manchurian attack against the country followed by the communist invasion which seized it in 1949, because the region became within their vital field and therefore had an important impact on their national security, as well as its connection to modernization and development. Such circumstances stripped the people of their civilization, culture, history and rights to work, housing, education, health, marriage, immigration and birth control as well as prohibition of religious teachings and their legal rulings. Moreover, they were prevented of mosques, reading the Qur'an, killing or enslaving scholars, clerics and preachers. As a reaction, Uyghur made many attempts for independence which gives an impression that their ambition for freedom and independence was poorly achieved due to the Chinese policy that menaced Turkish demise from the existence. Ultimately, Uyghur was named Xinjiang as autonomous region belongs to the other Chinese regions.

المقدمة:-

تتألف الصين رسمياً من ست وخمسين مجموعة أثنية تعيش داخل حدودها، ومن بين تلك المجموعات الأقلية الإيغورية التي سكنت شرق آسيا في منطقة تقع جغرافياً بين الصين ومنغوليا، وكازاخستان، وباكستان، وافغانستان، وإقليم كشمير، وروسيا، وطاجكستان، وقيرغيزستان، في سلسلة من الواحات المنتشرة عبر صحراء تكلامكان التي تضم حوض تاريم، وقدرت مساحتها بـ(1.828.418) كيلومتر مربع، وخضعت لسيطرة العديد من الحضارات تاريخيًا بما في ذلك الصين والمغول والتبت والحضارات التركية، وانتقلت ورحلت تلك الشعوب حتى بدأت الاستقرار في تركستان الشرقية سابقاً أو

إقليم شينجيانغ حالياً، إذ خلق هذا التنوع الاثني في الاعراق والاديان على مرِ آلاف الاعوام هوية وثقافة جديدة تضمنت عادات وتقاليد ولغة أدت إلى نشوء العرق الاويغوري وهو محور الدراسة .

تضمنت الدراسة ثلاثة محاور فضلاً عن مقدمة وخاتمة، كان المحور الأول بعنوان: **الجذور التاريخية للإيغور وإسهاماتهم العلمية**، إذ أوضح أصولهم ولغتهم وترحالهم في آسيا الوسطى حتى استقرارهم في تركستان الشرقية والدول التي أقاموها واعتناقهم الإسلام وإسهاماتهم العلمية وأبرز علمائهم ومفكريهم والغزوات التي تعرضوا لها، أما المحور الثاني فقد جاء بعنوان: **سياسة الحكومات الصينية تجاه الأقلية الإيغورية**، وقد بيَّنَ السياسة المتبعة ضدهم من قبل الحكومات الصينية على اختلافها سواء كانت إمبراطورية أو جمهورية شعبية والعمل على تصييهم، على الرغم من حصولهم على الحكم الذاتي في إدارة الإقليم، بينما درس المحور الثالث: **أحوالهم الاقتصادية**، لما للمنطقة من موقع استراتيجي مميز، وبحكم ما تملكه من مصادر للطاقة كالبترول والغاز واليورانيوم، إضافةً لما تمتعت به من ثروة زراعية وحيوانية، ممَّا جعلها محط أنظار الصينيين وضمها إليهم كإقليم .

اعتمدت الدراسة على مجموعةٍ من المصادرِ المتنوعةِ في مادتها والمختلفةِ في أهميتها، لرفدها بالمعلوماتِ القيمّةِ، أبرزها: الرسائل والأطاريح الجامعية والكتب العربية والمعربة والبحوث المنشورة في المجلات الجامعية العربية والأجنبية والشبكة العالمية (الأنترنت) .

المحور الأول: الجذور التاريخية للإيغور[i] وإسهاماتهم العلمية:-

تعود الجذور التاريخية لدخول تركستان الشرقية في الاسلام بعد أن فتحت بلاد فارس وخراسان، إذ قام العرب بإتمام فتح بلاد ما وراء النهر في سنة 94هـ، ومن ثم اتجه الجيش العربي المسلم تحت قيادة قتيبة بن مسلم الباهلي نحو الشرق حتى وصل إلى "كاشغر" (عاصمة تركستان الشرقية) وفتحها في سنة 95 هـ، وفي سنة ٣٣٢ هـ في العصر العباسي تشرف سلطان سوتوق بوغراخان[ii] (مؤسس الدولة القاراخانية) بالدخول في الإسلام، وتبعه أبناؤه[iii] وكبار رجال الدولة[iv] عام 880 وبذلك نشأت أولُ دولة تركية إسلامية، وأصبحت مركزًا من مراكز الحضارة الإسلامية وخَرَّجت العلماء والمشاهير في شتى ميادين العلم والمعرفة[v] .

أما في عهد أُسرة "يوان"(1206– 1368) التي أسسها قوبلاي خان حفيد جنكيز خان، ازداد عدد مسلمي الصين وشهد الإسلام أتساعاً وتطوراً في البلاد بسبب مكانتهم الرفيعة، وخلال المدة الممتدة بين

(1368–1644) أثناء حكم أسرة "مينغ" شهد الإسلام في الصين أيضاً انتشاراً مستمراً وزيادةً في عدد المسلمين[vi] .

وتأسيساً على ذلك أصبح الإسلام ديناً رسمياً في تركستان، وتمت ترجمة معاني القرآن الكريم وأقيمت المساجد بدلاً من المعابد، وتم بناء(٣٠٠) مسجد في مدينة كاشغر وحدها، وأبلى أبناؤها بلاءً حسناً في نشر الإسلام؛ فكان منهم الدعاة والمجاهدون في الفتوحات الإسلامية، فضلاً عن ذلك ظهر منهم العلماء الأجلاء الذين أثرت كتاباتهم ومؤلفاتهم المكتبة الإسلامية في شتى الفنون، وبرعوا في علومهم، وتركوا للمكتبة الإسلامية ذخيرة غنية من المؤلفات العظيمة وكان الطلاب المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يأتون إلى مدينة كاشغر لدراسة العلوم الإسلامية والإنسانية والعلمية، حتى أُطلق على المدينة اسم بخارى الصغرى، ومنذ ذلك الوقت أصبح أهالي تركستان الشرقية كلهم مسلمون، وبقيت دولة إسلامية مستقلة حوالي عشرة قرون وشكلت الامتداد الطبيعي للأمة الإسلامية في آسيا[vii] .

وقد ضمت مدينة كاشغر وحدها سبعة عشر معهداً لمختلف فروع العلوم الإسلامية، كذلك مكتبة المسعودي التي بنيت في القرن الخامس عشر وحوت على قرابة 200 ألف كتاب، وتبوأت مكانة علمية لا تقل شئناً عن غيرها من الحواضر الإسلامية كالقاهرة والقيروان وبغداد وبخارى وسمرقند، وشاركت النساء في الأعمال الخيرية وأوقَفَتْ الأموال لبناء المساجد والمدارس، فكانت إحداهُنْ تدعى السيدة (زلفيار) أوقفتْ ستمائة فدان من أخصب الأراضي الزراعي لمسجد عيدكاه[viii] وجامعته، وعُدَّ من أكبر مساجد الشرق وبلغت مساحة حوالي (18) الف متر مربع، إذ أصبح أحد أبرز معالم الحضارة الإسلامية، وقد تحول المسجد الجامع إلى جامعة في القرن التاسع عشر، كما أضيف إلى بنائه مدرسة ضمت قاعات للدرس ومساكن للطلبة، وبُنِيَتْ عليه بوابة ضخمة على جانبيها منارتان كبيرتان[ix] .

ولعلَ من أبرز إسهامات ومؤلفات تركستان الشرقية، مؤَلَف الشيخ الفيلسوف يوسف خاص حاجب[x](علم الاجتماع)(قوتادغوبيليك) وهو مصنف فلسفي اجتماعي تضمن أفكار حول الإدارة والسياسة والقضاء وفقاً للشريعة الإسلامية، وكذلك كتاب محمود الكاشغري المشهور (ديوان لغات الترك) الذى ألفه في كاشغر باللغة العربية بهدف مساعدة العرب على تعلم لغة الترك، والأديب أبو المعالي طغرل شاه بن محمد بن الحسن الكاشغري، والذي فسر القرآن الكريم بلغة الأويغورية ولأول مرة، وأبو عبد الله حسين بن علي الألمعي وله تصانيف في الحديث بلغت مائة وعشرين مصنفاً[xi] .

كما برع التركستانيون الشرقيون في الطب وصناعة الدواء، والورق، والعمارة، والموسيقى، ولهم آدابهم الإنسانية، إذ شهدت تركستان الشرقية في القرن الخامس عشر والسادس عشر نهضة أدبية وحضارية حمل لواءها الأتراك الإيغور، وتميزَ غالبية سلاطينهم وخاقاناتهم برعاية العلماء وحب العلم وتذوقوا الأدب والشعر والموسيقى، ومن أعلامهم في الشعر السلطان حسين بايقرا(1438–1509) وهو من أقدر شعراء الأتراك الإيغور في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وجعل من مقر سلطنته في هراة مركزاً ثقافياً كبيراً على مستوى العالم الإسلامي كله، كما أثرى الإيغور التراث الثقافي الصيني بعدد من المؤلفات والكتب والموسيقى والفنون لعل أبرزها الألعاب البهلوانية التي برع فيها الصينيون[xii].

وبعد أن جاءت أسرة المانشو(1644–1911)[xiii] إلى الحكم في الصين بدأت حملة من الاضطهاد ضد المسلمين الإيغور، وقامت الحكومة المنشورية بتأسيس إمبراطورية كبيرة في الصين على أعتاب تلك المنطقة في عام ١٧٠٨ مستغلين النزاعات الداخلية في دولة (جونغاريا)[xiv] .

وفي الشأن نفسه قام حكام المانشو بغزو تركستان الشرقية عام 1760، وأعقبة الغزو الثاني عام 1776، وبلغ عدد ضحايا المعارك الحربية أكثر من (مليون) نسمة من السكان المحليين الإيغور، ممّا أدى إلى حكم سيطرة القوات الصينية عليها والعمل على "تصيين الإقليم"، وقد شهدت مدة السيطرة الصينية التي تلت الغزو العسكري (46) ثورة وطنية أو عصيان من أجل الحرية والاستقلال،[xv] وعدَّ المؤرخون غزو المانشو الأول والثاني من أبشع وأدمى عصور تركستان الشرقية، واضطر أكثر من (500) آلاف من الإيغور اللجوء إلى الأراضي الروسية، وسجن ما يقارب الـ(200) ألف منهم ونفيهم إلى وادي أيلي(غولجا) لإعمال السخرة في الأراضي الزراعية، وشق قنوات الري، لتأمين إعاشة الجنود الصينيين من أجل السيطرة على آسيا الوسطى[xvi] .

ظل الإيغور تابعين لإمبراطورية المانشو ما يقارب (المأئة عام) وفي غضون تلك المدة قاموا بحركات عصيان وتمرد ضد الحكم المانشوري وفي عدد منها قامت القوات الصينية بمحو وتطهير قسم كبير منهم، وفي النهاية حصل الإقليم على استقلاله، ونجح الشعب الإيغوري في طرد القوات الصينية وشكل دولة وطنية مستقلة برئاسة (يعقوب بك) دامت (14) عاماً لاقت الحكومة المستقلة خلالها شهرة ومكانة لدى الإمبراطوريات الإنكليزية والعثمانية والروسية، إلاَّ أن تلك الحكومة القومية انهارت أمام هجمات القوات العسكرية المانشورية عام ١٨٧٨[xvii] .

ومن الجدير بالذكر قام البريطانيون بمساعدة الصينيين على احتلال تركستان الشرقية مرة أُخرى بسبب الصراع الدائر بينها وبين روسيا خلال القرن التاسع عشر للسيطرة على آسيا الوسطى واستعمارها وما عرف وقتها باللعبة الكبرى، ممّا ازدادت مخاوف الأولى من نجاح روسيا في ضم تركستان الشرقية إلى أراضيها بعد أن ضمت معظم تركستان الغربية (دول آسيا الوسطى)، وبالفعل استطاعت الصين بقيادة الجنرال"ازو زونغ تانغ" عام ١٨٧٨ من السيطرة على الجزء الشمالي من تركستان الشرقية، ومنذ ذلك التاريخ سمي الإقليم بـ(سينجيانغ)، وعلى إثرها ألغت الصين الحكم العسكري للإقليم وألحقته مقاطعة للصين في تشرين الثاني 1886[xviii] استمرت سيطرة حكم المانشو على تركستان الشرقية حتى عام ١٩١١[xix] .

كان إقليم شينجيانغ يتمتع بأهمية كبيرة في التجارية العالمية، إذ وقع تحت استعمار الصين والروس اللذان تصارعا على بسط نفوذها عليه لأكثر من (٢٠٠) عام، ممّا أدى إلى تقسيمه وتجزئته، وعُرِفَ الجزء الروسي باسم تركستان منفصلة (ترك)و(ستان) وتعني "أرض الترك"، في حين أطلقت الصين على الجزء الأخر تسميه (شينجيانغ) وتعني المستعمرة الجديدة، وشكل الإقليم نحو 17% من مساحة الصين الاجمالية[xx] .

كان المسلمون الإيغور معظمهم من أبناء الطائفة السُنّية،[xxi] وقُدِّرت أعدادهم في تلك المنطقة بـ(11) مليون نسمة، أي ما يعادل نصف العدد الإجمالي لسكان الإقليم، ويتحدثون بلغة قريبة من اللغة التركية،[xxii] إذ تتشابه مع لغات أُخرى لمجموعات عرقية في آسيا الوسطى مثل والقرغيزية، الأوزبكيين، والكازاخستانيين وترتبط ارتباطًا وثيقًا بها، ودائماً ما احتجوا على النظام الصيني حيث رأى الكثير منهم أنهم تعرضون للاضطهاد الديني والثقافي في البلاد، فضلًا عن ظلمهم اقتصادياً[xxiii] .

المحور الثاني: سياسة الحكومات الصينية تجاه الأقلية الإيغورية:-

وبعد أن أُعِلنَ عن الجمهورية في الصين عام ١٩١١ شملت كل الأقاليم الخاضعة لإمبراطورية المانشو المنهارة، وتمتْ الموافقة رسمياً على أن يضم علم الجمهورية خمسة ألوان تمثل الصينيين والمغول والتبت والترك والمانشوريين، ووجهت دعوة لكل من منغوليا، وتركستان الشرقية، والتبت، ومنشوريا للانضمام إليها وتشكيل دولة واحدة، ورداً على تلك الدعوة أعلنت كل من منغوليا عام ١٩١١م، والتبت عام ١٩١٢، ومنشوريا في عام ١٩٣٢، استقلالها الذاتي[xxiv] .

أما تركستان الشرقية التي حكمها أمراء حرب من عام ١٩١١ حتى عام 1934، لم يكن لحكومة الصين المركزية أي سلطان عليها، فقد أستغل الحكام المحليون الأوضاع السياسية المضطربة وبدأوا يديرونها على أنها مرتبطة ظاهرياً في الصين لكن بصورة مستقلة فعلياً، إذ عقدوا الاتفاقيات التجارية والمعاهدات الأخرى مع المالك الخارجية بشكل كامل دون الرجوع للسلطة أو بالأحرى فإن حكومة الصين المركزية لم يكن لها سلطة قط على تركستان الشرقية سواء من الناحية التجارية أو من الناحية العسكرية، ممّا أثار ظلمهم ألإيغور بسبب إجراءاتهم غير القانونية ضدهم، و تقسيم الإقليم إلى وحدات إدارية [xxv] .

ونتيجة لذلك ثار الإيغور بالاشتراك مع قبائل تركية أُخرى ضد حكم (جونج شين) عام 1933 في ولايات: (قومول، وتورفان، ووادي تاريم، وآلتاي) بقيادة كل من: (محمود محيطي، وتيمور عثمان ومحمد أمين بوغرا، وشريف خان) ومع اقتراب نهاية العام تحررت كل أجزاء تركستان الشرقية من وطأة الصين فيما عدا مدينة أرومچي، على إثرها تشكلت في الإقليم جمهوريتان إسلاميتان في تلك المدة، إلاَّ أنها انهارت بسبب معاهدة التحالف السرية المعقودة بين حاكم الإقليم الصيني وروسيا السوفيتية في تشرين الأول عام ١٩٣١م، ممّا دفع الأخيرة إرسال الأسلحة والذخيرة للوحدات العسكرية الصينية في تركستان الشرقية مقابل حصولها على حق التنقيب عن الثروات المعدنية، وإشغال عمالها بعض المواقع الخدمية في الإقليم، واتقاءهم الخطر المشترك[xxvi] .

وتأسيساً على ذلك تقدمت وحدات عسكرية للجيش الأحمر الروسي متجهة نحو مدينة "كاشغر" في كانون الثاني عام 1934 عن طريق تجاوزها حدود مدينتي "جوجك وآلتاي" للقضاء على الحركة الإيغورية، وبعد أن شنت تلك القوات هجومها على الجنود الصينيين المسلمين، اقترح القنصل السوفيتي "آفسروف" الذي قدم إلى مدينة "كاشغر" بالطائرة على "خوجه نياز" إلغاء حكومة جمهورية تركستان الشرقية وتشكيل حكومة ائتلافية مع "شينغ شيه ساي" ولعدم التكافؤ بين القوات المتحاربة اضطر الأول إلى قبول الاقتراح[xxvii] .

وبعد أن مزقت جمهورية تركستان الشرقية الثانية مرة أخرى عام 1944بقيادة "علي خان" نتيجة للتحالف السوفيتي الصين، فقد تأسست حكومة ائتلافية برئاسة مسعود صبري بايقوزي عام 1947 واستمرت حكومته حتى آب 1948 وخلفه "برهان شهيدي" حاكماً عاماً لإقليم شينجيانغ، وبعد مرور عام لحكمه بدأت القوات الصينية الحمراء التي هزمت حكومة الصين الوطنية (الكومنتانج)[xxviii] التي ترأسها الجنرال

شيانج كاي شيك في الصين الاستيلاء على الإقليم وسقط في أيدي الشيوعيين الصينيين الذي تزعمهم ماوتسي تونغ[xxix] عام 1949[xxx] .

ويتضح لنا من ذلك أن عرقلة السوفيت للثورة القومية التي تهدف إلى تحرير واستقلال تركستان الشرقية وبناء دولة تركية إسلامية كونها تزعزع أمنها القومي، وتزيد من تحدي للسيطرة السوفيتية لتركستان الغربية التي كانت بمثابة مستعمرتها الخاصة، لذلك لا تستطيع تقبل ظهور دولة مستقلة مجاورة لحدودها تربطها روابط عرقية وقومية مع سكان مستعمراتها.

وبعد إن وصل الشيوعيون للحكم في الصين عام 1949 أصدروا بيانهم السياسي تجاه الأقليات في إقليم شينجيانغ موضحين فيه: "**ليس من شأننا مساعدة الأقليات القومية في التخلص من الظلم والاحتلال، ولكن شأننا مساعدتهم على تحقيق المساواة القومية التامة، وإيصالهم إلى المستوى الديمقراطي الجديد في حياتهم المادية والثقافية**"[xxxi] .

كما تنصل ماوتسي تونغ (1949-1976) بعد توليه السلطة في الصين عن ما قاله في المؤتمر السابع للحزب الصيني الذي عقد عام 1945 في تقريره الخاص بالحكومة الائتلافية والذي شجب فيه سياسة حزب الكومنتانج، وأكد خلاله على منح تلك القوميات حق تقرير مصيرهم، كما نص الدستور الصيني المؤقت للحكومة الشيوعية الذي اقره العمال والفلاحين في برلمان عموم الصين على: "**حق القوميات المستوطنة في أقاليم شينجيانغ، ومنغوليا، والتبت، أن تختار أما الانفصال عن جمهورية الصين الشعبية وإقامة دولة مستقلة لهم أو الانضمام الى الدولة الأم أو إقامة أقاليم ذات استقلال ذاتي في ظل جمهورية**"[xxxii] .

ويتضح من ذلك أن الحكومة الشيوعية لم تكتفِ بالإنكار الكامل للوعود التي أعطوها من قبل لشعوب الأقليات في الصين ومنهم الإيغور في حق تقرير مصيرهم بأنفسهم، بل أعلنوا في الوقت نفسه عن عدم المساعدة ودعم الجهود التي قامت بها تلك الأقليات لأجل التخلص من التهميش السيطرة .

ونتيجة لذلك طالبت الأقلية الإيغورية التركية في الإقليم على الأقل بالسماح لهم بتشكيل جمهورية فيدرالية، إلا أن ماوتسي تونغ رفض الطلب وكانت حجته بأن إقليم شينجيانغ كان طوال الفي عام جزءً لا يتجزأ من الصين وليس هناك ما يستدعي لتقسيم الصين إلى جمهوريات فيدرالية، وإن المطالبة بالانفصال يُعدّ معاداة للاشتراكية والتاريخ[xxxiii] .

وتأسيساً على ذلك دخل الإقليم الاكبر والاغنى من بين أقاليم الصين في دوامة جديدة من البطش والتنكيل، بعد أن حاول النظام الحاكم في بكين فرض تعاليمه الماوية وثقافته الصينية على سكانه من المسلمين الإيغور بكل الأساليب والوسائل من أجل القضاء على هويتهم الثقافية، وكبح جماح تطلعاتهم الانفصالية، واستغلال ثروات الإقليم وقد انتقد ماوتسي تونغ علنًا تلك النزعة، وادعى أن القومية الصينية تعني أمة متعددة الأعراق تضم الأغلبية و(55) أقلية عرقية أخرى على قدم المساواة، وأستخدم مصطلح "القومية الصينية" لإضفاء الطابع الصيني على معظم الأقليات باستثناء الإيغور والتبت، وعدد قليل من الأقليات في شمال غرب الصين[xxxiv] .

ومن الجدير بالذكر خصصت الحكومة الصينية الشيوعية أكثر من (100) ألف من العسكريين لاستصلاح وزراعة المناطق الحدودية، وبالتالي تم تحويلهم من قوة عسكرية إلى قوة مدنية وحققت هدفين في آن واحد، **الأول:** التواجد العسكري وتحقيق الأمن للإقليم، **والأخر:** اقتصادي في تنميته مع إحكام السيطرة عليه، وقد شكلت قوات "البنجتوان" العنصر الثالث في السيطرة وإدارة الإقليم مع سلطة إدارة المقاطعة وجيش التحرير الشعبي، إذ قامت تلك الفرق إلى جانب عمليات الإنتاج، بالتخطيط والتنفيذ لعمليات تهجير الصينيين "الهان" وتوفير فرص عمل لهم، وتدريبهم على فنون القتال[xxxv] .

وبعد أن تمكن الشيوعيين من القضاء على كل القوى التي كانت ضدهم في الإقليم قرار ماوتسى تونغ إعطاء سلطة داخلية لشعوب الأقليات في الصين، ونظم اجتماع في مدينة بكين في 1 تشرين الأول 1950 الذي صادف العيد السنوي لتأسيس جمهورية الصين الشعبية، لدراسة النشاطات السنوية في أقاليم الأقليات القومية، وقد اشترك شينجيانغ والتبت ووفود من وسط منغوليا في الاجتماع برعاية اللجنة المكلفة بأمور الأقليات القومية في الصين، وطالبت الأقلية الإيغورية أثناء الاجتماع بغيّر اسم الإقليم الذي أطلقه المانشو صينيون وإبداله بتركستان الشرقية أو جمهورية إيغورستان كونها الوطن الأم للأتراك الإيغور، إلاَّ أن الزعماء الشيوعيين رفضوا الطلب[xxxvi] .

وفي الشأن نفسه قدم وفد الإقليم طلباً في 8 آب 1952 يتعلق بتأسيس مناطق للحكم الذاتي في اجتماع المجلس الثاني للجنة المكلفة بأمور الأقليات القومية، وقدم لمجلس الحكومة المركزية في الصين من أجل المصادقة عليه، ووافق مجلس الحكومة على مسودة القرار، وعلى ضوئه اقترح المجلس تأسيس ثلاثة أنواع من مناطق الحكم الذاتي في إقليم شنيجيانغ كالاتي[xxxvii] :-

أ- إذا كانت شكلت قومية ما الأكثرية في منطقة تؤسس لهم منطقة حكم ذاتي خاصة .

ب- إذا كانت القومية ذات الأكثرية مع قوميات أُخرى في منطقة ما تؤسس لهم مناطق حكم ذاتي للقومية التي تمثل الأكثرية، وفي الوقت نفسة للقوميات الأُخرى التي ظلت في حالة أقلية .

ت- إذا كانت مجموعة من القوميات المتساوية في العدد مع بعضها تعيش في منطقة ما تؤسس لها مناطق سياسية منفصلة، ويكون لها حكومة ائتلافية مشتركة .

أعطا التقسيم ذلك للصينيين في إقليم شينجيانغ الحق في التنقل والسكن والعيش في المكان الذين يريدونه وفي أي وقت، كما أشار القرار إلى مناطق الحكم الذاتي المقترح تأسيسها بأنها جزءاً لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية، فضلاً عن ارتباطا بالحكومة المركزية، إضافةً إلى حقهم في إصدار القوانين الخاصة بهم بعد أشراف الحكومة المركزية على تعديلها قبل وضعه موضع التنفيذ في مناطقهم، وتفتح مدارس تقوم بتدريس لغاتها ولهجاتها[xxxviii] .

وتأسست لجنة برئاسة برهان شهيدي الحاكم العام للإقليم بعد الموافقة على القرار من قبل الحكومة المركزية الصينية للقيام بالإجراءات اللازمة وتشكيل مناطق الحكم الذاتي في أيلول 1952 واستمرت حتى عام 1954، إذ اللجنة إلى تأسيس خمس ولايات وست نواحي في مناطق الحكم الذاتي، كما شُكِلَتْ لجنة أُخرى في آذار 1955 خاصة بالأسماء التي تطلق على مناطق الحكم الذاتي في الإقليم، وبعد المباحثات والمداولات قررت الحكومة الصينية الشيوعية إطلاق اسم "شنجيانغ الإيغورية ذاتية الحكم" على تركستان الشرقية في الأول من تشرين الأول 1955[xxxix] .

وقد بدأت السياسة الشيوعيون تمارس ضغوطها على الأقلية الإيغورية والقوميات الأُخرى بحجة أن لغتهم لم تكن كافية لدراسة السياسات المختلفة للحزب والحكومة واستيعاب أساليب التصنيع، وعملت على تغيرها وإيجاد لغة كتابية جديدة واقتلاع روابطهم وثقافاتهم الماضية كونها واجهت صعوبات في تعليم الأقليات القومية من الناحية الفكرية، ومن أجل ذلك استحدثت عام 1956 معهداً للغُات القومية على أن يكون مرتبطاً بأكاديمية العلوم الصينية، وكان الهدف منه حتى عام 1960 استحداث لغة كتابية جديدة لهم في الصين، كما وصلت بعثة من أكاديمية العلوم الصينية في العام نفسه لدراسات اللهجة الإيغورية[xl] .

توصلت اللجنة إلى قرار استبدال اللغة الإيغورية بالأبجدية الكيرلية الروسية لصعوبة الأولى بحضور مجموعة من علماء اللغة في آب 1956 الإيغور والقازاق والشيبوه، إلاَّ أن الحكومة الصينية لم تكن جادة

على الوجه الأرجح كونها لم ترغب بأن تكون هناك لغة كتابة مشتركة بين الإيغور في إقليم شينجيانغ وأبناء عمومتهم من الأتراك في الاتحاد السوفيتي لذلك اجتمع المجمع اللغوي للمرة الثانية عام 1958وقرر استحداث لغة كتابة لاتينية تتفق وصوتيات اللغة الصينية بدلاً من الأبجدية العربية التي كان يستخدمونها في الإقليم منذ ألف عام، وإن عدم قبولها يُعدُّ تمرداً على الشيوعية الاشتراكية وأغلقت المدارس الإيغورية منذ عام 1957[xli] .

وتأسيساً على ذلك عمدت الحكومة إلى إعداد كوادر للأقليات القومية من أجل تحقيق تلك التغيرات الاجتماعية والثقافية في الإقليم، ففي أيلول 1958 افتتحت (46) مدرسة للحرف كتطبيق لهذا القرار وبكادر من تلك الأقليات وتخرج من تلك المدارس عشرة آلاف طالب، إضافةً إلى افتتاح دورات حرفية في المدن والقرى، كما افتتحت جامعة و(50) مدرسة فنية[xlii] .

ونتيجة لذلك ظهرت الحركات القومية المحلية خاصة بين المثقفين في تلك المدة وانتشرت إلى حد كبير مثل حركة المواجهة ضد الصينيين وطردهم وإخراجهم من شينجيانغ، ممّا دفع الحكومة للقيام بحركات تصفية وإبادة للمثقفين والموظفين والطلاب والعمال والفلاحين تمثلت في المرحلة الأولى بإلقائهم في السجون، وأُحيكت لهم الاتهامات، أمثال إبراهيم طوردي، وعبد الرحيم عيسى، وعبد الرحيم سعيدي، وعبد العزيز قاري وغيرهم ، كما قضى جيش تحرير الشعبي الصيني في 10 تشرين الأول 1958 على العناصر المحرضة على التمرد[xliii] .

وفي الشأن نفسه ثار الإيغور في مدينة كاشغر ضد حكومة الصين الشيوعية في20 آيار ١٩٥٩ على إثر كسر أقفال أبواب مسجد عيدكاه الأثري الذي غلق من قبل الحكومة منذ مدة، لإقامة صلاة يوم عيد الأضحى، ممّا دفع جيش التحرير الشعبي الصيني مهاجمة المصلين وأطلاق النار عليهم، على إثرها هاجم السكان المباني الحكومية والقلاع العسكرية بالفؤوس والمعاول والسكاكين مع القوميين، لذلك أرسلت الحكومة قائد جيوش الشمال الغربي هالونج إلى المدينة لقمع الثورة القومية والقضاء على التمرد .

وبعد الثورة الثقافية عام 1966 أعلنت الصين الشيوعية أن تلك الحركات أدت إلى تقوية التيار القومي بين الأقليات، إذ قامت بتصيين التعليم في المدارس الإبتدائية والإعدادية والعليا، وركزت على طبع الكتب الشيوعية بأعداد كبيرة من أجل تعليم الأقليات القومية بأفكار الماركسية واللينينية، في قبال ذلك ألغت الكتب ذات الموضوعات التاريخية والأدبية والدينية، وأمرت بحرق مؤلفات مجمع الأدب الشفوى الإيغوري

القديم التي جمعها محمد أمين رئيس جامعة الإقليم المكون من ثلاثة عشر مجلد وملكها للشعب مع المخطوطات، ممَّا اضطرت الأقلية الإيغورية إلى التحول للأبجدية اللاتينية التي كانت قد أعدت بطريقة مطابقة لصوتيات اللغة الصينية اعتباراً من 1 آب 1966[xliv] .

وقد أجازت الحكومة الشيوعية تنفيذ نظام الضريبة في الإقليم، ومنحت حق جبايتها للسكان الفقراء وللطبقة الوسطى، بهدف تقسيم السكان الإيغور إلى أقسام مثل: (أصحاب الأرض، والبرجوازيين، ولبروليتاريا) وزرع العداء في ما بينهم، والقضاء على إحساسهم القومي ووحدتهم وتضامنهم، لكي لا يقع اللوم على الصينيين الذين جاءوا من الخارج واستعمروا الإقليم، بل على السكان المحليين أنفسهم[xlv] .

ووجدت الحكومة الشيوعية أن من المناسب أكثر لسياستها أتباع التفرقة وزرع العداء بين السكان المحليين ضد بعضهم البعض وضرب تضامنهم، حيث قامت بتوزيع الأراضي على النحو التالي[xlvi]:-

1- أراضي الطبقة الأولى: خصصت لجيش التحرير الشعبي الصيني .
2- أراضي الطبقة الثانية: خصصت للمهاجرين الصينيين الشيوعيين .
3- أراضي الطبقة الثالثة: وزعت على سكان الإقليم .

وعملت الحكومة على توحيد أراضي الطبقة الثالثة الموزعة على شكل تعاونيات تحت ستار إصلاح الأراضي وبهذا الإجراء فقد السكان الذين تم وضعهم في التعاونيات ملكية بيوتهم وحدائقهم ومزارعهم وتحولوا إلى مستعمرات شيوعية، وعلى إثر ذلك ترك معظم السكان تلك المستعمرات وهاجموا المدن، إلاَّ أن الحكومة استخدمت القسوة لمنعهم من ذلك، وعدَّتهم عناصر خارجين عن القانون وعملاء للرأسمالية[xlvii].

استمرت حركات الصراع القومي للإيغور مع الحكومة الصينية وأصبحت قابلة للانفجار في أي وقت بسبب السياسة الشيوعية المتبعة ضدهم، كما استخدمت التطهير العرقي والتهجير في محاولة لتصيين المنطقة ديموغرافياً حتى تحول المسلمون فيها من أكثرية إلى أقلية، كونهم تطلعوا للاستقلال عن الصين الشيوعية، إذ عملت على إلغاء هوية شعب وإحلال شعب آخر محله ومصادرة أراضيه، وإطلاق اسم آخر على وطنه،[xlviii] كما أجرت بكين 35 تجربة نووية في أراضي تركستان الشرقية منذ عام 1964 دون اتخاذ أي تدبير من شأنها لحماية المدنيين من أخطار التلوث النووي، وقد أثرت تلك التجارب تأثيراً سلبياً على المحاصيل الزراعية وعلى الإنجاب، ممَّا أدى إلى وفاة عدد كبير من المسلمين الإيغور

بأمراض غير معروفة، وولادة اطفال مشوهين، فضلاً عن تزايد حالات الإصابة بسرطان الرئة وسرطان الجلد وسرطان الكبد وغيرها من الأمراض الخطيرة[xlix] .

وحسب إحصائيات السكان الرسمية فإن نسبة المسلمين في الإقليم عام 1940 كانت 95% وانخفضت عام 1949 إلى 90%، وإلى 55% عام 1983، وذلك بسبب سياسة الاستيطان المنظمة التي مارستها الصين لتوطين مواطنيها في الإقليم، حتى أصبحت نسبة الصينيين في الإقليم في الأعوام التي تلتها 60% والمسلمين 40% فقط، إذ قدمت الحكومة الشيوعية الإغراءاتِ والامتيازات لمواطنيها للإقامة هناك، إذ هيئت لهم الأرض والمنازل وفرص العمل والبدلات، ونفَّذت مشاريع التنمية في الإقليم[l].

يتضح لنا ممَّا تقدم أن الحكومة الصينية الشيوعية قامت بتنفيذ إجراءات عدة، وأعدت برامج مدروسة لتحويل منطقة تركستان الشرقية إلى مقاطعة صينية بحته، في محاولة منها لطمس المعالم الوطنية والإسلامية، وجعل العنصر الإيغوري المسلم أقلية في بلده، وربطت أمن واستقرار الصين ككل بها.

المحور الثالث: أحوالهم الاقتصادية:-

عد إقليم شينجيانغ (تركستان الشرقية) أحد عجائب الأرض في تنوع تضاريسه الجغرافية، في موقعه الذي جاور ثمانِ دول وربط الصين بأوربا، إذ شكلت مساحته خمس مساحة الصين الإجمالية بما فيها من مستعمرات مثل التبت ومنغوليا ومنشوريا، وتمتعت بخصوبة أراضيها، وتوفرت فيها مصادر المياه التي تكفل حوالي خمسين مليون هكتار من الأراضي العشبية، وقد شكلت الزراعة عصب اقتصاد الإيغور وتنوعت فيها المحاصيل الغذائية، والنباتات الصناعية، القمح، والشعير، والذرة، والأرز، والقطن، والتبغ وغيرها من المحاصيل، واعتمدت بدرجة كبيرة على الري بسبب جفاف المناخ، مع ذلك هناك أراضي تمت زراعتها على الأمطار، وعدت مناطق تورفان، ومارالباشى، وتاريم من أهم مناطق الإقليم في زراعة القطن، وبلغ أنتاج المحصول فيهما عام 1949 بـ(٣٠٠) ألف طن، بينما بلغ أنتاج محصول القمح في مدينة تكلامكان عام 1975 ما يقارب (448) ألف طن، فضلاً عن زراعة أنواع أُخرى من الخُضَّار، والأعشاب الطبية، والفاكهة، ووصفت المنطقة بأنها: "**إحدى جنات الله على الأرض**"[li] .

كما اعتمد الاقتصاد الإيغوري على تربية الحيوانات بشكل أساسي بسبب وفرت المراعي الطبيعية المتمثلة بنباتات الاستبس في سهول الإقليم منها: سهول جونغاريا، وسهول جبال طانري التي اشتهرت بتربية الخيول، والجمال، والأغنام، والأبقار، والماعز، وحيوان الياك بصورة أساسية، إذ شكلت الثروة الحيوانية مصدراً هاماً في الصناعة والدخل للعوائل الإيغورية، باعتمادهم على جلود وفراء الثعالب والسناجب في

منطقة الغابات، فضلاً عن سد حاجة الإقليم (الاكتفاء الذاتي) وتصدير الفائض إلى المدن الصينية، وقد بلغ عدد الأغنام في الإقليم عام 1976 (7) ملايين رأس، ومن الخيول المولود(120) الف مهراً[lii] .

أما الصناعة في الإقليم (تركستان الشرقية) كانت يدوية وقد نسجوا الأقمشة الحريرية، والقطنية، والجلود، والسجاد، والأكلِمة[liii] وبلغ عدد المنشآت الصغيرة فيها (٣٠٢) ما بين ورشة ومصنع، وتمتعت صناعة الحرير أيضاً برواج كبير وأصبحت مدينة ياركند مركزاً لصناعته في الإقليم، إلى جانب وجود مصانع للحديد والنحاس، وفي عام 1947 تأسست في مدينة أورومجي مصانع للغزل والنسيج، ومصانع للصابون، ومصانع للمأكولات المحفوظة، وبعد عام 1966 افتُتِحَتْ في الإقليم (900) منشأة صناعية ثقيلة مثل مصانع السيارات، والإسمنت، والبتروكيماويات، ومحطات لتوليد الطاقة الكهربائية، فضلاً عن مراكز للصيانة، ومصانع للحديد والصلب عام 1973 يُنْتَجْ فيها (50) نوعاً من الكاربون والصلب المطوي[liv] .

ونظراً لما يمتع به الإقليم من موارد وثروات معدنية جعلته يحتل مكانه هامة بالنسبة للصين، إذ قُدِرَتْ مساحة الأراضي التي حتوت على البترول والغاز الطبيعي بـ(740) ألف كيلو متر مربع أي ما يعادل مساحة فرنسا وألمانيا مجتمعة، وهيمن الإقليم على ٣٠٪ من (١٠،٧) مليون طن من البترول المنتج في الصين في عام 1966، أما مخزونه من الملح الصخري فيقدر بما يكفي استهلاك العالم كله لمدة ألف عام، وبلغت مساحة مناجم الفحم (٨٨) ألف كيلو متر مربع، كما اشتهرت أحدى مدن الإقليم (خوتن) في الصين كلها بـ(اليشم) وهي نوع نادر من الأحجار الكريمة وذات قيمة عالية تستخدم في صناعة الحلي[lv].

وتأسيساً على ذلك انشأت فيه الحكومة الشيوعية عدداً من المنشآت الصناعية وعدته مكاناً حيوياً لإجراء تجاربها النووية، لاسيما في صحراء تكلاماكان التي بلغت مساحتها نحو (650) ألف كيلو متر مربع، لذلك فأن الخبراء الدوليون عدوا إقليم شينجيانج عصب اقتصاد الصين، وعصب صناعتها الثقيلة، وقبل ذلك أصبح عصب الإنتاج الذري الصيني الذي اعتمد بصفة أساسية على ما ينتجه الإقليم من اليورانيوم" ذو النقاوة العالية[lvi] .

بينما بلغت منطقة الغابات نحو (٩١) الف كيلو متر مربع، فضلاً عن وجود الواحات والسهول والمروج وسط طبيعة صحراوية قاحلة، الأمر الذي جعلها منطقة مسكونة وواحدة من مناطق مهد الحضارات

البشرية، وقد أدت الجغرافية دوراً هاماً في ربط الإقليم بالشرق، إذ كانت تلك المنطقة صلة الوصل بين شرق آسيا وغربها، لاسيما بعد اكتشاف طريق الحرير واصبحت انظار المجموعات القبلية والعرقية والدول الإقليمية موجهة عليه لبغية الوصول إلى طريق الحرير والتحكم به، والذي عدته الصين مشروعاً اقتصادياً وتجارياً ضخماً وسعت للسيطرة على موارده، كما سعت الحكومة الصينية إلى أحيائه عن طريق مشروع جديد تحت مسمى (الحزام والطريق)[lvii].

ونتيجة لذلك لم تسمح الصين الشيوعية بأي شكل من الاشكال للأقليات الإيغورية بالسيطرة عليه، فالإقليم أصبح منطقة ذات أهمية استراتيجية وجغرافية واقتصادية، بفضل احتوائه على ثلث الاحتياطي الصيني من النفط والغاز الطبيعي وثروات معدنية هائلة من الذهب والفحم واليورانيوم، فضلاً عن ثرواته الزراعية والحيوانية التي اعتمدت عليها، ناهيك عن موقعه المميز، كما عدَّ المعبر الرئيس لخط النقل التجاري الدولي الذي ربط قارات العالم القديم الثلاث لتصدير السلع وتوريد الخامات الزراعية عن طريق خط حديدي ربط بين المدن الصناعية الصينية الكبرى بغربها نحو مدينة كاشغر عاصمة الإقليم[lviii] .

وقد سعت الصين خلال الحقبة الشيوعية إلى بناء اقتصاد عالمي استجابةً لاحتياجات الطبقات الفقيرة التي شكلت الغالبية من السكان، لذلك صرح أمين عام الحزب الشيوعي السابق (هاو ياو بانغ) (Hu Yao Bang) لمجلة النيوزويك الأمريكية قائلاً: "**تركستان الشرقية مثل الصحراء الكبرى وحوض الأمازون؛ ذات إمكانات عظيمة على الازدهار**"[lix] .

ويتضح من ذلك أن الإقليم يحتل مكانة مميزة في حسابات وموازين الحكومة الصينية الشيوعية، إذ عدته من الاقاليم الحيوية بالنسبة لها، وتكمن أهميته في ما أحرزه من موقع جغرافي استراتيجي، ومورد اقتصادي حيوي، ممَّا جعلته منطقة استثمارات ضخمة تتوجه فيه نحو المنافسة العالمية في اقتصاد السوق.

الخاتمة:-

1- يعد الحكم الذاتي في إقليم شينجيانج (تركستان الشرقية) صورياً لا يمثل إرادة الشعب ولا يتمتع بسلطة وطنية، بل دارَه الصينيون ونَفَذَه الموظفون الإيغوريون بالإكراه، ومن دارَ الحكم ودفته رئيس المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني، وشغلَ معه الصينيون "الهان" مراكز القيادة، وعدَّوا السكان مواطنين من الدرجة الثالثة وحُرِموا من أبسط الحقوق .

2- تم إغراق الإقليم بالمهاجرين الصينيين، بعد أن أباحوا لهم مساكنهم وأراضيهم وأملاكهم، من أجل طمس الهوية الإيغورية والقضاء على تاريخهم وثقافتهم وتراثهم الإسلامي .

3- اتبعت الحكومات الصينية سياسة العزلة على الإيغور المسلمين في الإقليم، فضلاً عن سياسة التهجير والسجن والأعمال الشاقة ضد كل من يعارضها، وعدت الثوار القوميين منهم عناصر خارجة عن القانون وتبعية للقوى الرأسمالية .

4- نجحت الصين في فرض هيمنتها على الاقتصاد الإيغوري واستغلال جميع الثروات الطبيعة في الإقليم وحرمان السكان البلاد منها، الأمر الذي جاء بمردودات عكسية على السكان الأصليين وساهم في إذابة تكوينهم وأرثهم الحضاري والثقافي .

الهوامش:-

(i)الإيغور: ذكر المؤرخون آراء عدة حول نشأة اسم الإيغور، فذُكِرَ في المصادر الصينية إن الإيغور ينسلون عن هون آسيا الحاكمة سنة (206ق.م-220م) وكانوا يتخذون اسم (جاو جوي) وسط آسيا ويعني ذوي العربات العالية، وشكلت أقوام (يوانهو) القبيلة الأم للشعب الذي يسمى (جاو جوي) وهي كلمة مرادفة للإيغور، كما ذكر المؤرخ الإيراني أساد توسيدة عن وجود قبيلة تركية تسمى (أويغور) في منطقة تيان شان الوسطى، إذ ان الاتراك الايغور عرفوا منذ القرن الثالث قبل الميلاد وعاشوا في أزمنه وأسماء مختلفة، وقد فُضِّل الأيغور الذين شكلوا الغالبية العظمى من أتراك تركستان الشرقية في المجلس الذي انعقد في طشقند عام 1921 ذكَّرهم باسمهم القومي الأيغور مرة أخرى، وتعني الاتحاد والتضامن والاتفاق باللغة الإويغورية، ورفضت الحكومة الصينية فكرة عدهم من السكان الأصليين، ولا تعترف بهم إلا على أنهم أقلية إقليمية داخل دولة متعددة الثقافات . للمزيد ينظر: تورغون الماس، الأويغور: تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم، ترجمة ماجدة مخلوف، دار تكلماكان الأويغوري، اسطنبول، 2018 .

(ii)سوتوق بوغراخان: وهو من الأتراك الإيغور ومؤسس الدولة القراخانية في تركستان الشرقية عام 880م، أُطلق على تلك الأسرة الحاكمة خاقانات الترك أو زعماء الترك، وكانوا يعدَّون أنفسهم من آل أفراسياب وهي رأسرة تركية حاكمة قديمة، ومعظم الألقاب المستخدمة لتلك الأسرة التي وجدت منحوتة على صورهم في المعابد هي: طارخان، وبوغرا، وتيمور، وهم من الطبقة الإيغور الأستقراطية . للمزيد ينظر: أركين آلبتكين، أتراك الإيغور، ترجمة محمد السيد محمد جاد الحق، وقف تركستان الشرقية، تركيا، 2012، ص32 .

(iii)تنقسم القبائل الإيغورية (الأربع والعشرون) إلى فرعين رئيسين كل فرع منهما يضم اثنتي عشرة قبيلة أولهما: (البوزأوق) وهم أبناء (كون، آي، ويلدز) الذين قسم أوغور خان السهم بينهم، والآخر: أطلق عليه اسم (أوچ أوق) وهم من نسل أبناء أوغوزخان الذين أعطى لهم الأسهم الفضية الثلاثة لتبدو قبائل الأوغور الأربع والعشرون في القائمة التي وردت في كتاب المؤرخ الفارسي رشيد الدين (جامع التواريخ)على هذا النحو: إذ شكلت قبائل (البوزأوق) الفرع الأيمن للأوغور، أما قبائل (أوج أوق) فشكلت الفرع الأيسر وأوضحت تلك المعلومات أن الإيغور الشرقيين شكلوا مجموعة قبائل الإيغور الكبرى وقبائلهم ذائعة الصيت، والشرقيين أتخذوا مكانتهم في بنية سلطنة الدولة الإيغورية . للمزيد ينظر: مهدي فليح ناصر الصافي، الأهمية الجغرافية السياسية لإقليم سينكيانغ الصيني، مجلة اداب ذي قار، 2013، ص 228-229.

(iv)نور صبحي عبد، تركستان الشرقية بين الاضطهاد الديني وتقرير المصير، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد(122)، 2017، ص573 .

(v)Colin Mackerras, "Uygur performing arts in contemporary China," The China Quarterly, No. 101 (1985), pp. 68–77.

(vi)مثنى مشعان المزروعي، محاضرات في الجغرافية السياسية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ، 2014، ص12.

(vii)فهمي هويدى، الإسلام في الصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص46؛ صبحي محمد

جميل، المسلمون في الصين، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد(65)، 2004، ص225.

(viii)مسجد عيدكاه: تم بناؤه في المدينة كاشغر عاصمة تركستان الشرقية من قبل السية زلفيار، ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وسمي بهذا الاسم لأن أهل كاشغر كانوا يمضون أيام وليالي عيد الفطر وعيد الأضحى بجواره، بلغت مساحة المسجد حوالي (18) الف متر مربع، ومعنى اسمه ساحة العيد . ينظر: ماجدة مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، مجلة المنار الجديد، العدد(23)، 2003، ص179

(ix)المصدر نفسه، ص 181 .

(x)يوسف خاص حاجب: فيلسوف تركي مسلم ولد عام 1019م في مدينة بلاساغون في عهد الدولة القاراخانية، وأصبح مفكراً وشاعرً ورجل دولة، ألفَ كتباً عدة باللغة الإيغورية أشهرها قوتادغوبيليك تضمن ترشيد السياسة الشرعية وإدارة الحكم وفقاً للشريعة الإسلامية، وتوفي عام 1085 . للمزيد ينظر: عبد الرحمن جمال الكاشغري، الفيلسوف الإيغوري يوسف خاص حاجب أبن خلدون الشرق(1019-1085)، منتديات تركستان، السعودية، 2010 .

(xi)خالدة حمود سلمان الجبوري، كاشغر حاضرة تركستان الشرقية دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، الجامعة المستنصرية، 2011، ص76.

(xii)Human Rights Watch. (2018). “China: Visiting Officials Occupy Homes in Muslim Region.” https://www.hrw.org/news/2018/05/13/china-visiting-officials-occupy-homes-muslim-region .

(xiii)المانشو: أسرة منشورية حكمت الصين خلال المدة (1644-1911) وتسمى أيضاً بأسرة تشينغ، اتسم حكمها بالتخلف والتفرقة بين الصينيين لذلك قمت ضدهم ثورات وانتفاضات حتى سقطت عام 1911. للمزيد ينظر: نادية كاظم محمد العبودي، تطور الأوضاع السياسية الداخلية في الصين 1850-1911، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية/أبن رشد، جامعة بغداد، 2006، ص112؛ صفاء كريم شكر العزاوي، السياسية الأمريكية تجاه الصين 1895-1931دارسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، 2005، ص26 .

(xiv) Laura Newby, “The Chinese literary conquest of Xinjiang,” Modern China, Vol. 25, No. 4 (1999), p. 455.

(xv)عبد العزيز جنكيز خان، تركستان قلب اسيا، ملجة المنار الجديد، العدد(30)، 2005، ص113.

(xvi)Nimrod Baranovitch, “Between alterity and identity: new voices of minority people in China,” Modern China, Vol. 27, No. 3 (2001), pp. 359–401.

(xvii)أركين آلبتكين، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني، ترجمة احمد علي خان، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص14.

(xviii)شيماء محمد جواد، الخصائص الطبيعية للصين، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 22، العدد93، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، 2016، ص284.

(xix)وليد دوزي، قضية الإيغور في تركستان الشرقية: بين المطالب الانفصالية وسياسات الهيمنة الصينية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد(16)، 2018، ص 328.

(xx)عبد الأمير رويح، الإيغور في الصين: اقلية تضطهد في صمت، https://m.annabaa.org/arabic/rights/19825

(xxi)Nimrod Baranovitch, From the Margins to the Centre: The Uyghur Challenge in Beijing, The China Quarterly, 2003, p.726.

(xxii)أكرم حجازي، تركستان الشرقية قراءة في جوهر الصراع وتاريخيته، مجلة اليقظة ، العدد (21)، 2006، ص22.

(xxiii)احمد الظرافي، تركستان الشرقية قضية إسلامية لا قومية، مجلة البيان، العدد 359، رجب 1438هـ، ص8 .

(xxiv)حسن محمد حمد، التنافس الإقليمي والدولي في منطقة الجمهورية الإسلامية لآسيا الوسطي، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، العدد(28)، (د.ت)، ص34.

(xxv)علي العثوم، سنكيانغ (تركستان) أو فلسطين الثانية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، 2017، ص161.

(xxvi)حسن محمد حمد، المصدر السابق، ص173.

(xxvii)محمد امين بوغرا، محاربة الحرية والاستعمار في تركستان الشرقية، مطبعة الانوار، القاهرة، 1959، ص5.

(xxviii)الكومنتانج: حزب سياسي أسسه صن يات صن عام 1912 تولى قيادته ماو بعد وفاته شيانج كاي شيك وخاض حرباً ضد الحزب الشيوعي للمدة(1927-1949) للمزيد ينظر: لقاء شاكر خطار الشريفي، التطورات السياسية الداخلية في الصين بين عامي 1911-1931 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2009، ص76 .

(xxix)ماوتسي تونغ: ولد عام 1893 في أسرة فلاحية سكنت وادي شاوشان في إقليم هونان وسط الصين، أكمل تعليمه

الابتدائي في قريتة، ثم ألتحق في مدرسة حديثة عام 1911، واشترك مع الثورة التي قادها صن يات صن، ثم أكمل دار المعلمين وتخرج منها عام 1918، ثم ألتحق بالحزب الشيوعي وشغل مناصب عدة منها: رئيساً لجمهورية الشعبية حتى وفاته عام 1976. للمزيد ينظر: سها عادل عثمان البياتي، ماوتسي تونغ ودوره السياسي في الصين 1921-1976، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2014 .

([xxx])بولات تورفاني، تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، ترجمة اسلام صالح عبد الفتاح، ط 2، (د. ط)، (د.م)، 2011، ص43.

([xxxi])أركين آلبتكين، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني، ص43 .

([xxxii])أركين آلبتكين، أتراك الإيغور، ص142.

([xxxiii])نور صبحي عبد، المصدر السابق، ص575 .

([xxxiv])كرم سعيد، الحركات الانفصالية في العالم، مجلة السياسة الدولية، العدد(203)، 2015، ص87 .

([xxxv])فاطمة إبراهيم المنوفي، مسلمو الإيغور ثبات على الإسلام رغم عذابات الصينيين، مجلة المجتمع، العدد(11)، 2007، ص117 .

([xxxvi])عبد الجليل طوران، مجزرة تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني في عيون الصحافة العالمية، (د. ط)، (د .م)، (د.ت)، ص127 .

([xxxvii])فاطمة حسين فاضل المفرجي، الاضطهاد الديني للايغور وانعكاسه على بروز ظاهرة التطرف والإرهاب، مجلة المستنصرية للدراسات العربية، العدد(69)، 2017، ص44 .

([xxxviii])أركين آلبتكين، أتراك الأويغور، ص143 .

([xxxix])المصدر نفسه، ص145 .

([xl])نور صبحي عبد، المصدر السابق، ص578 .

([xli])أرتكين آلبتكين، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني، ص 20 .

([xlii])محمد يسري، كيف وصل الإسلام إلى الصين؟ عن الأويغور في تركستان الشرقية، 30/ 7 / 2017: http://raseef22.com.

([xliii])أركين آلبتكين، أتراك الأويغور، ص147 .

([xliv])أركين آلبتكين، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني، ص4 .

([xlv])محمود شاكر، تركستان الصينية الشرقية: من الشعوب الإسلامية في آسيا. ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1973، ص31 .

([xlvi])كرم سعيد، المصدر السابق ، ص92 .

([xlvii])توختي آخون أركن، تركستان المسلمة - القضية المنسية، مجلة المنار، العدد(30)، 2005، ص3.

([xlviii])Nimrod Baranovitch, Op.Cit.,p.12.

([xlix])توختي آخون تركستانى، تركستان الشرقية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مجلة المنار، العدد(29)، 2005، ص34.

([l]) منى عبد الفتاح، الايغور في الصين: أقلية خذلها طرق الحرير، https://rawabetcenter.com/archives/105241.

([li]) نقلاً عن: أكرم حجازي، المصدر السابق، ص10 .

([lii])Hui urban entrepreneurialism in Beijing: state policy, ethno-religious identity, and the Chinese city." In Guldin, G. E., & Southall, A. W. (Eds.). Urban anthropology in China (Vol. 6). Leiden: Brill.p. 296 .

([liii])الأكلمة: هي نوع من السجاد المنسوج في تركستان الشرقية سابقاً . ينظر: أركين آلبتكين، أتراك الأويغور، ص123 .

([liv])عيسى يوسف ألبتكين، قضية تركستان الشرقية، ترجمة إسماعيل حقي، المكتبة الألكترونية العراقية .

([lv])Darren T. Byler, Uyghur Dispossession, Culture Work and Terror Capitalism in a Chinese Global City, Phd, University of Washington,2018,p.222 .

([lvi])نور صبحي عبد، المصدر السابق، ص578 .

([lvii])محمد عبدالرحمن عريف، الصين وتركستان الشرقية: بين تكريس الاحتلال ونهب للثروات، مجلة السياسة الدولية، العدد(205)، 2016، ص306 .

([lviii])رحمة الله أحمد رحمتي، التهجير الصيني في تركستان الشرقية، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، عدد ٩٣، ١٩٨٩، ص٩٩ .

([lix])Pringle, J.The Secret Chin-Traveling the Exotic Khunjerab Pass, Newsweek, June 16, 1986. P.69 .

المصادر :-

أولاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:-

1- خالدة حمود سلمان الجبوري، كاشغر حاضرة تركستان الشرقية دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، الجامعة المستنصرية، 2011 .

2- سها عادل عثمان البياتي، ماوتسي تونغ ودوره السياسي في الصين 1921-1976، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2014 .

3- صفاء كريم شكر العزاوي، السياسية الأمريكية تجاه الصين 1895-1931دارسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، 2005 .

4- لقاء شاكر خطار الشريفي، التطورات السياسية الداخلية في الصين بين عامي 1911-1931 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2009 .

ثانياً: الكتب الأنكليزية:-

1- Colin Mackerras, “Uygur performing arts in contemporary China,” The China Quarterly, No. 101 (1985), pp. 68–77.

2- Darren T. Byler, Uyghur Dispossession, Culture Work and Terror Capitalism in a Chinese Global City, Phd, University of Washington,2018,p.222.

3- Nimrod Baranovitch, From the Margins to the Centre: The Uyghur Challenge in Beijing, The China Quarterly, 2003, p.726.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة:-

1- أركين آلبتكين، أتراك الإيغور، ترجمة محمد السيد محمد جاد الحق، وقف تركستان الشرقية، تركيا، 2012 .

2- _____، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني، ترجمة احمد علي خان، دار المعارف، القاهرة، 1992 .

3- بولات تورفاني، تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، ترجمة اسلام صالح عبد الفتاح، ط 2، (د. ط)، (د.م)، 2011 .

4- تورغون الماس، الأويغور: تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم، ترجمة ماجدة مخلوف، دار تكلماكان الأويغوري، اسطنبول، 2018 .

5- عبد الجليل طوران، مجزرة تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني في عيون الصحافة العالمية، (د. ط)، (د .م)، (د.ت) .

6- عيسى يوسف ألبتكين، قضية تركستان الشرقية، ترجمة إسماعيل حقي، المكتبة الألكترونية العراقية .
7- فهمي هويدى، الإسلام في الصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
8- محمد امين بوغرا، محاربة الحرية والاستعمار في تركستان الشرقية، مطبعة الانوار، القاهرة، 1959.
9- محمود شاكر، تركستان الصينية الشرقية: من الشعوب الإسلامية في آسيا. ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1973 .

رابعاً: البحوث المنشورة في المجلات الأنكليزية:-

1- Hui urban entrepreneurialism in Beijing: state policy, ethno-religious identity, and the Chinese city." In Guldin, G. E., & Southall, A. W. (Eds.). Urban anthropology in China (Vol. 6). Leiden: Brill.p. 296 .
2- Laura Newby, "The Chinese literary conquest of Xinjiang," Modern China, Vol. 25, No. 4 (1999), p. 455.
3- Nimrod Baranovitch, "Between alterity and identity: new voices of minority people in China," Modern China, Vol. 27, No. 3 (2001), pp. 359-401.
4- Pringle, J.The Secret Chin-Traveling the Exotic Khunjerab Pass, Newsweek, June 16, 1986. P.69

خامساً: البحوث المنشورة في المجلات العربية:-

1- احمد الظرافي، تركستان الشرقية قضية إسلامية لا قومية، مجلة البيان، العدد 359، رجب 1438هـ .
2- أكرم حجازي، تركستان الشرقية قراءة في جوهر الصراع وتاريخيته، مجلة اليقظة ، العدد (21)، 2006 .
3- توختي آخون أركن، تركستان المسلمة – القضية المنسية، مجلة المنار، العدد(30)، 2005 .
4- توختي آخون تركستانى، تركستان الشرقية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مجلة المنار، العدد(29)، 2005 .محمد عبدالرحمن عريف، الصين وتركستان الشرقية: بين تكريس الاحتلال ونهب للثروات، مجلة السياسة الدولية، العدد(205)، 2016 .
5-حسن محمد حمد، التنافس الإقليمي والدولي في منطقة الجمهورية الإسلامية لآسيا الوسطي، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، العدد(28)، (د.ت) .
6- رحمة الله أحمد رحمتي، التهجير الصيني في تركستان الشرقية، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، عدد ٩٣، ١٩٨٩ .
7- شيماء محمد جواد، الخصائص الطبيعية للصين، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 22، العدد93، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، 2016 .

8- صبحي محمد جميل، المسلمون في الصين، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد(65)، 2004 .
9- عبد الرحمن جمال الكاشغري، الفيلسوف الإيغوري يوسف خاص حاجب أبن خلدون الشرق(1019-1085)، منتديات تركستان، السعودية، 2010 .
10- عبد العزيز جنكيز خان، تركستان قلب اسيا، ملجة المنار الجديد، العدد(30)، 2005 .
11- علي العثوم، سنكيانغ (تركستان) أو فلسطين الثانية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، 2017 .
12- فاطمة حسين فاضل المفرجي، الاضطهاد الديني للايغور وانعكاسه على بروز ظاهرة التطرف والإرهاب، مجلة المستنصرية للدراسات العربية، العدد(69)، 2017 .
13- كرم سعيد، الحركات الانفصالية في العالم، مجلة السياسة الدولية، العدد(203)، 2015 .
14- فاطمة إبراهيم المنوفي، مسلمو الإيغور ثبات على الإسلام رغم عذابات الصينيين، مجلة المجتمع، العدد(11)، 2007 .
15- ماجدة مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، مجلة المنار الجديد، العدد(23)، 2003.
16- مثنى مشعان المزروعي، محاضرات في الجغرافية السياسية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ، 2014.
17- مهدي فليح ناصر الصافي، الأهمية الجغرافية السياسية لإقليم سينكيانغ الصيني، مجلة اداب ذي قار، 2013 .
18- نور صبحي عبد، تركستان الشرقية بين الاضطهاد الديني وتقرير المصير، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد(122)، 2017 .
19- وليد دوزي، قضية الإيغور في تركستان الشرقية: بين المطالب الانفصالية وسياسات الهيمنة الصينية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد(16)، 2018 .

سادساً: شبكة الأتصالات العالمية (الأنترنت)

1- Human Rights Watch. (2018). “China: Visiting Officials Occupy Homes in Muslim Region.” https://www.hrw.org/news/2018/05/13/china-visiting-officials-occupy-homes-muslim-region .
2- عبد الأمير رويح، الإيغور في الصين: اقلية تضطهد في صمت، https://m.annabaa.org/arabic/rights/19825

3- محمد يسري، كيف وصل الإسلام إلى الصين؟ عن الأويغور في تركستان الشرقية، 30/ 7 / 2017: http://raseef22.com.

4- منى عبد الفتاح، الايغور في الصين: أقلية خذلها طرق الحرير، https://rawabetcenter.com/archives/105241.

التوزيع المكاني لزراعة اشجار الفاكهة النفضية

(قضاء الكوفة انموذجا)

أ.م.د .سيناء عبد طه العذاري /كلية الاداب seenaaa.aledhari@uokufa.edu.iq

الباحثة .رشا صالح مهدي العميدي /كليه العلوم السياسيه /Rasha.amedy@uokufa.edu.iq

المستخلص:

يعد القطاع الزراعي واحد من اهم قطاعات العمل والانتاج وزيادة الدخل القومي اذ تبرز اهمية الزراعة و كونها الممول الاساس للمواد الغذائية فضلا عن تزويد الصناعة بحاجتها من المواد الاولية وفي كونها تمثل سوقا واسعا للمنتجات الصناعية ،فان الفائض من الانتاج الزراعي يكون الركيزة الاولى في بناء التنمية الاقتصادية.

يتناول هذا المبحث الاسباب التي ادت الى تباين مساحة بساتين واعداد اشجار النفضية في منطقة الدراسة ويرجع هذا الاختلاف الى مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي لعبت دورها وفي الواقع لها الدور الاول والاخير في وجود هذا التباين والذي سنتناوله فيما يأتي بالاعتماد على الجداول الموضوعة والتي توضح اعداد اشجار النفضية ومساحة بساتين في منطقة الدراسة وحجم التزايد والتناقص في الاشجار المزروعة في قضاء الكوفة وسوف يتم توضيحها حسب الجداول التي ستوضح عدد اشجار ومساحة البساتين الفواكه النفضية فعلى الرغم من وجود التباين بين انواعها المختلفة من ناحية ومن خلال دراسة المقومات الجغرافية في منطقة الدراسة والمتمثلة بالعوامل الطبيعية (السطح والمناخ والتربة والموار المائية) والعوامل البشرية تمتلك منطقة الدراسة كل الامكانات الطبيعية والبشرية اللازمة لزراعة اشجار الفاكهة النفضية .

اذ جاءت اشجار العنب بالمرتبة الاول حيث بلغ عدد أشجاره (**781076**) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة اما قلة وانعدامالاشجار النفضية في ناحيتي العباسة والحرية وذلك سيادة زراعة محاصيل اخرى مثل المحاصيل الحقلية المتمثلة بالحبوب وغيرها من المحاصيل الاخرى التي تزرع في ناحيتي العباسة والحرية .

Spatial distribution of planting deciduous fruit trees

(Kufa district as a model)

Seenaa Abed Taha /University of Kufa/ College of Arts

Researcher. Rasha Saleh Mahdi Al-Amidi/Faculty of Political Sciences

Abstract:

The agricultural sector is one of the most important sectors of work and production and the increase of national income, as the importance of agriculture and its being the main financier of foodstuffs, as well as providing the industry with its need of raw materials, and as it represents a wide market for industrial products, the surplus of agricultural production is the first pillar in building economic.

This topic deals with the reasons that led to the discrepancy in the area of orchards and the number of deciduous trees in the study area. The area of deciduous orchards in the study area and the size of the increase and decrease in the trees planted in the district of Kufa will be clarified according to the tables that will show the number of trees and the area of the deciduous fruit orchards, despite the presence of discrepancies between their different types on the one hand and through the study of the geographical components in the study area represented by natural factors (Surface, climate, soil, water resources) and human factors The study area possesses all the natural and human potentials necessary for the cultivation of deciduous fruit trees.

Grape trees ranked first, as the number of their trees reached (781076) trees out of the total deciduous fruit trees in the study area. As for the lack and absence of deciduous trees in the areas of Al-Abbas and Al-Hurriyah, this is the predominance of the cultivation of other crops such as field crops represented by cereals and other crops that are grown in the Al-Abbas and Al-Hurriyah areas

المقدمة:

تعد ثمار اشجار الفاكهة النفضية والفواكه اهمية غذائية كبيرة اذ تدخل في غذاء الانسان في اشكال وصور مختلفة فهي تؤكل طازجة غير مطبوخة ولهذا فهي تحتفظ باكبر قدر من فيتامينات والفواكه من قيمة غذائية للانسان في عصر اصبح للتغذية فيه سنتها وقواعدها ومنذ عرفت هذه القيمة احتلت الفاكهة مكانا متميزا بين الأغذية واخذ الاهتمام بامرها في العالم يزداد يوما بعد يوم وقد جاء هذا الاهتمام نتيجة لما تحتويه ثمار الفاكهة من قيمة غذائية عالية يعود ذلك الى تركيبها الكيميائي الذي تدخل فيه عناصر كيميائية عديدة منها ما يكون قابل للذوبان بالماء ومنها مايكون غير قابل للذوبان بالماء حيث يصل عددها الى اكثر من (60)عنصرا اذ تحتوي على محتوى مائي عالي ويتكون الجزء الباقي من الياف وكاربوهيدرات ودهون وبروتينات واحماض عضوية فضلا عن احتوائها بالعناصر المعدنية الضرورية لبناء جسم الإنسان كالكالسيوم والبوتاسيوم والفسفور والمغنيسيوم والكبريت والصوديوم وغيرها من العناصر النادرة الأخرى فضلا عن مساهمة اشجار الفاكهة النفضية في سد إحتياجات جسم الإنسان من بعض العناصر الغذائية المهمة الحديد والكالسيوم والفسفور والكاربوهيدرات والبروتينات .ولقد عرف الانسان الفواكه منذ اقدم العصور اذ عرف طعمها اللذيذ وفائدتها وقيمتها الغذائية مما دفعه الى التفكير في زراعتها. اذ تعد المناطق الاستوائية في الشمال الشرقي للهند والصين الموطن الاصلي لأشجار الفواكه المختلفة حيث توجد النباتات البرية لها في تلك المناطق (1).

اولا- مشكلة البحث:- تبرز مشكلة البحث نتيجة لما يأتي:-

- ما مدى التباين المكاني لزراعة أ شجار النفضية في قضاء الكوفة ؟

هذا التباين مثل مشكلة ، اتخذ منها الباحثة موضوع لدراستها وحاول تفسيره من خلال العوامل التي ساعدت عليه.

ثانيا - فرضية البحث:-

هي محاولة للاجابة على مشكلة البحث ، والوقوف على ما توصل اليه الباحث من اجابات على العوامل التي مثلت المشكلة

- تتباين اعداد الاشجار النفضية وانوعها من منطقة الى أخرى تبعا لاختلاف الظروف الطبيعية والبشرية .

ثالثا- هدف البحث :-

جاء هذا البحث ليبين واقع زراعة الاشجار النفضية في قضاء الكوفة، وبيان مدى تأثير العوامل الطبيعية والبشرية في تباين زراعتها وانتاجيتها بين منطقة واخرى ،

---

1)طه الشيخ حسن ،اشجار الفاكهة النفضية(فوائدها ،زراعتها ،خدمتها،اصنافها،افاتها)،ط1،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمه،1996،ص5.

رابعا –حدود منطقة الدراسة:

يمثل قضاء الكوفة أحد أقضية النجف ويحتل موقعه المكاني بالنسبة لمحافظة النجف في الجزء الشمالي الشرقي. (خريطة -1).

وفلكياً يقع القضاء بين دائرتي عرض (31.50 – 32.10) شمالاً وبين خطي طول (44.20 – 44.38) شرقاً يحده من الشمال والشمال الشرقي الحدود الادارية لمحافظة بابل ومن ناحية الشرق والجنوب الشرقي الحدود الادارية لمحافظة القادسية ومن ناحية الجنوب قضاء المناذرة ومن الغرب يحده قضاء النجف.

تبلغ مساحة قضاء الكوفة (437) كم^2 موزعة على ثلاث وحدات إدارية بمستوى ناحية،وهي مركز القضاء(110)كم^2 وناحية العباسية بمساحة (235)كم^2 وناحية الحرية بمساحة (92)كم^2 ((1)). (الخارطة- 2). ولا تمثل هذه المساحة سوى (1.5%) من مجموع مساحة المحافظة وذلك لانها من المحافظات التي تشكل الهضبة الغربية جزءاً كبيراً من مساحتها، إلا إن القضاء يحتل نحو(12.3%) من مجموع مساحة المحافظة بإستثناء ناحية الشبكة الصحراوية.

(1) *وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء، المجموعة الأحصائية السنوية،1991، بغداد،ص15.*

)1خريطة (

موقع منطقة الدراسة من محافظة النجف

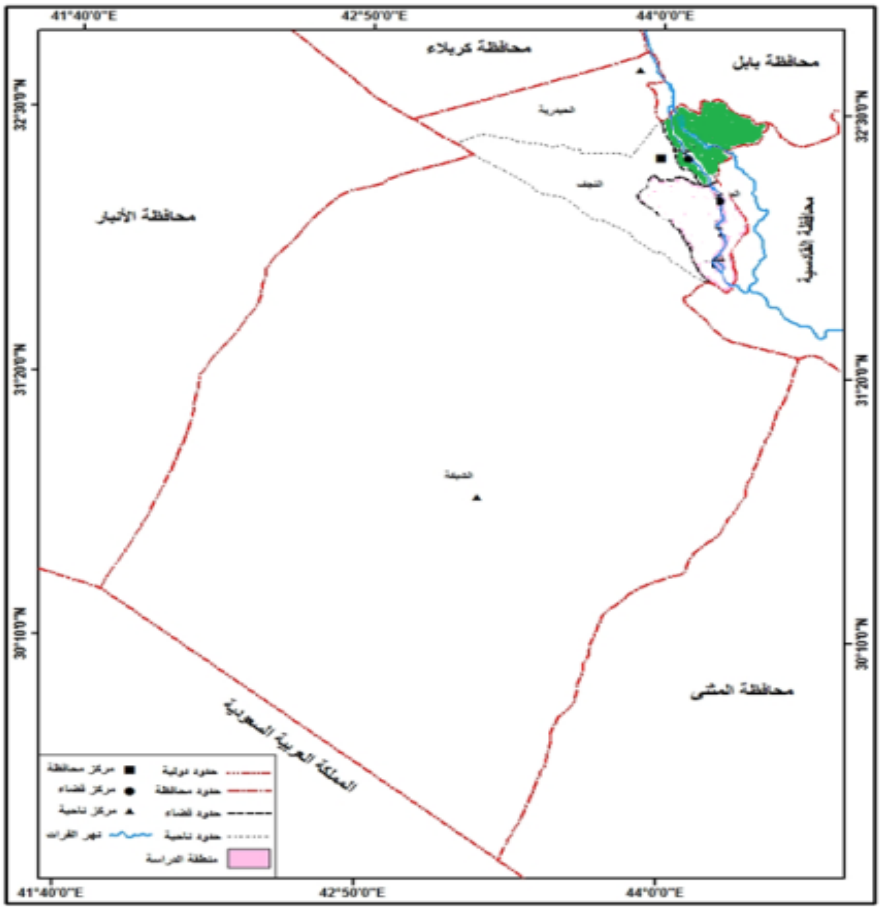

المصدر :بالاعتماد على الهيئة العامة للمساحة ، خريطة النجف الادارية، بمقياس رسم 1: 2000000 ، بغداد ،لعام 2020

خريطة(2)

/الوحدات الإدارية لمنطقة الدراسة

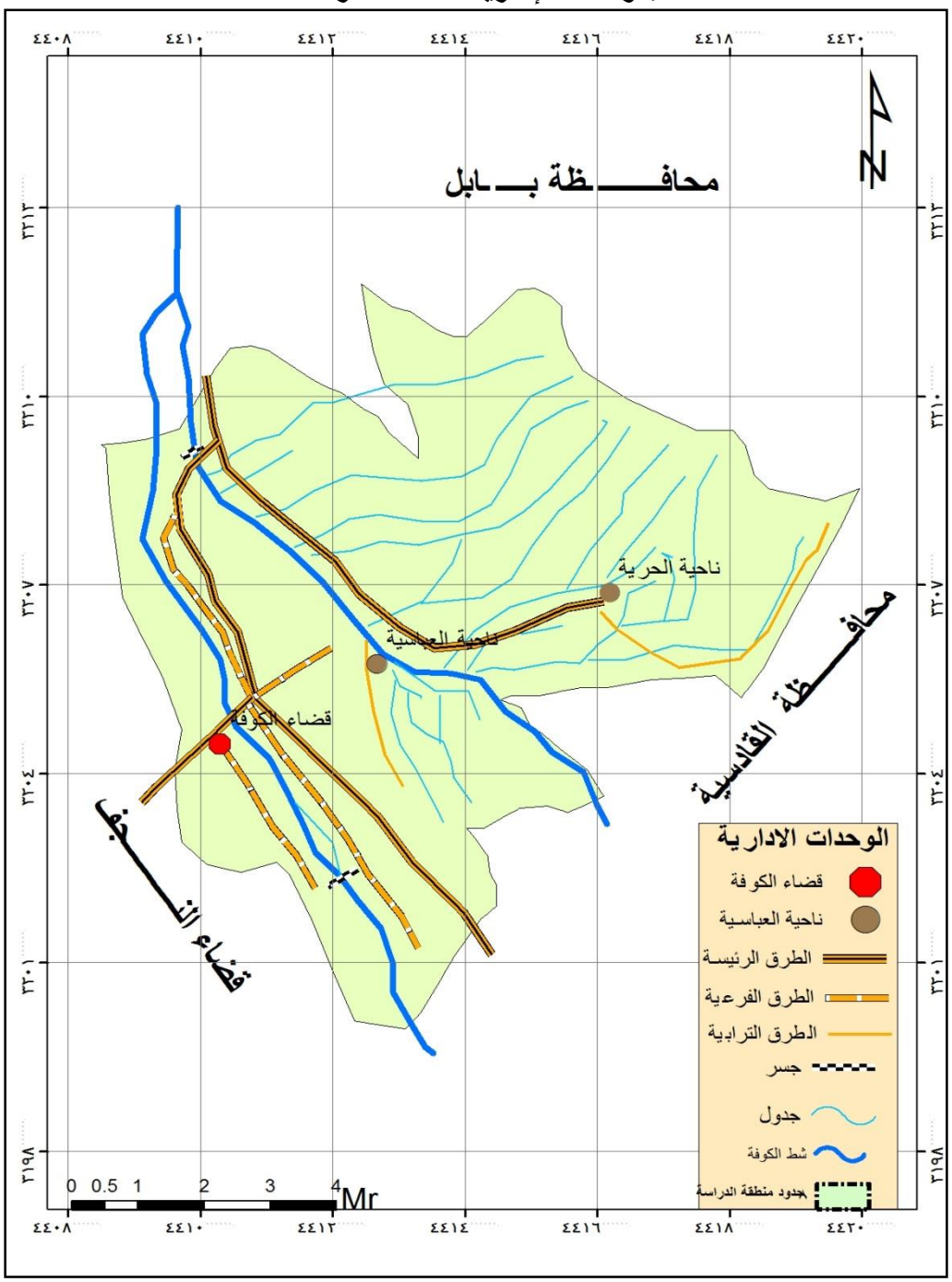

المصدر:بالاعتمادعلى :وزارة الزراعة ،مديرية زراعة في محافظة النجف ،شعبة Gis ،بمقياس رسم 1: 250000 لعام 2020

البحث الاول العوامل الطبيعية واثرها على زراعة الاشجار النفضية في قضاء الكوفة

أولا: السطح

1- كتوف الأنهار:

تكون عبارة عن أشرطة ضيقة يبلغ معدل عرضها (750م) ويصل ارتفاعها في قضاء الكوفة من(1-2م)[lix]. وتتمثل بالسداد الطموية المترسبة بفعل شطي الكوفة والعباسية والقنوات المتفرعة من شط العباسية عند اختراقها السهل الفيضي في مرحلتي النضج والشيخوخة[lix]. يكون أعلى أرتفاع لها في جهاتها القريبة من النهر. ويكون انحدارها تدريجي بأتجاه الجانب البعيد عن النهر، اذ إن نوعية الرواسب تختلف ايضاً فهي أكبر حجماً بالقرب منه واصغر حجماً وناعمة في المناطق البعيدة عنه، وتعد هذه الظاهرة طبيعية في السهول الفيضية ذلك لأن النهر يعمل على الترسيب في المناطق القريبة منه أكثر مما في المناطق البعيدة عنه.

2- أحواض الأنهار:

تعد أحواض الأنهار مظهراً مهماً آخر من مظاهر السطح وهي أقل ارتفاعاً من المنطقة السابقة إذ تنخفض عنها بمعدل (2-3م). تحتل هذه المنطقة أغلب مساحة السهل الفيضي في منطقة الدراسة ويتميز سطحها بالانبساط الشديد مع انحدار بسيط جداً (0.0003) درجة نحو منطقة الهور المجاور كما يتخلل سطحها بعض التلال المنفرده والتي من أهمها تل ابو صخيرات والذي يقع ضمن ناحية الحرية خاصة في مقاطعة (25 الصليجية)، كما تظهر بعض المنخفضات المحلية التي تشبه الأحواض الصغيرة كما هو الحال في المنطقة الواقعة بين شطي الكوفة وشط العباسية (جوب ناحية العباسية)تمثل منطقة أحواض الأنهار أهم المناطق الزراعية في قضاء الكوفة وذلك لتركز الاستعمالات الزراعية لمعظم المقاطعات التي تقع ضمن هذه المنطقة (أحواض الأنهار) وذلك خصائص منها أنها تتمثل بتربة طينية مزيجية ذات نسجة ناعمة الى معتدلة النعومة فضلاً عن أمكانية صرف مياه الري الزائدة عن طريق الجداول والمبازل .

---

(1)عايد جاسم الزاملي ، تحليل جغرافي لتباين أشكال سطح الأرض في محافظة النجف ، رسالة ماجستير، غ.م ،كلية الآداب، جامعة الكوفة،2001، ،ص37.

(2) صفاء سالم الخفاف ، خصائص ترب قضاء الكوفة وعلاقتها بالبيئة، رسالة ماجستير، غ.م، كلية التربية، ابن رشد،جامعة بغداد، 1998، ، ص21.

3- الأراضي المغمورة بالمياه:

تحتل هذه الأراضي الجزء الشمالي الشرقي لقضاء الكوفة وتحديداً في الأجزاء الشمالية الشرقية لناحية العباسية ويدخل قسم منها ضمن ناحية الحرية خاصة مقاطعة (25 الصليجية) وقسم من مقاطعة (18/ الفتك والدولة)، اذ تزيد مساحة هذه الأراضي على (10.000) دونم معضمها لازال مضمور بالمياه وتنمو فيه نباتات طبيعية كثيفة متمثلة بنبات البردي. ان هذه الأراضي تعد من الأشكال الترسيبية اذ تترسب الدقائق الفتاتية الناعمة المحمولة لتستقر في أوطيء نقطه فيها(lix).

4- وحدات ذات أصل ترسيبي:-

تمتد هذه الوحده على طول الحافة الغربية لقضاء الكوفة من شماله الى جنوبه وتحديداً ضمن مركز قضاء الكوفة وتتضح في مقاطعة (5/ كري سعده) وهي ارضي ومليه تختلط بنسب من الحصى ترتفع مع الانحدار غرباً بحيث يشكل السطح مظهراً تظاريسياً تكون قشرته السطحية عبارة عن صخور رملية أو حجارة كلسية وتتخام بذلك الهضبة الغربية ضمن قضاء النجف وتتداخل أحياناً مع حدود القضاء. ولا يعرف لها حد فاصل سوى قناة ري مندرسه تعرف بأسم(جري سعده) والذي يأخذ نفس الأمتداد من الشمال نحو الجنوب وقد استغل من قبل سكان القضاء في بناء المساكن.

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول أن سطح القضاء خالٍ من التضرس وان سمة الانبساط شبه التام هي السمه الغالبة عليه، ورغم ما ذكر فأن التنوع في وحدات سطح القضاء ادى الى تنوع استعمالات الارض الزراعية في منطقة الدراسة، حيث تعتبر كتوف الأنهار أهم أجزاء الأرض ملائمة لاستعمالات البستنه، فيما تعد مناطق أحواض الأنهار أهم أجزاء الأرض ملائمة لاستعمالات الأرض الزراعية المحاصيل الحقلية، لا سيما محصول الرز. هذا وان استواء السطح له الاثر الأيجابي في استخدام المكائن الزراعية والآلات المختلفة، فضلاً عن سهوله التوسع في طرق النقل ويسرها والتي من خلالها يتم النهوض بالعملية الأنتاجية، كما ساعد الانحدار البسيط بأتجاه هور أبن نجم على التصريف الطبيعي للمياه الزائدة.

(1) عايد جاسم الزاملي، مصدرسابق ، ص100.

ثانياً المناخ:

أولاً : الاشعاع وساعات السطوع الشمسي:

ويتضح من الجدول (1)،الشكل (1) إن معدل ساعات سطوع الشمس النظرية تبدأ بالزيادة التدريجية ابتدءً من شهر كانون الثاني (10.28) ساعة وتستمر بالزيادة حتى تصل الى اعلى معدلاتها وذلك في شهر حزيران وبمعدل (14) ساعة وذلك كون الشمس عمودية على مدار السرطان، ويتضح أيضاً أن الفرق بين عدد ساعات السطوع النظرية في شهر كانون الأول الذي سجل أدنى معدل بلغ (10) ساعات وبين أعلى معدل سجله شهر حزيران بلغ (14) ساعة، وهو تباين كبير، مما يعني وجود اختلافات كبيرة بين فصلي الصيف والشتاء في منطقة الدراسة مما ينتج عنه تباين في معدلات الحرارة المسجلة. أما معدل ساعات سطوع الشمس الفعلية تبدأ بالزيادة أبتداءً من شهر كانون الثاني(6.67) ساعة، وتستمر بالزيادة بصورة تدريجية حتى تصل الى أعلى معدل لها وذلك في شهر تموز وهو (11.77) ساعة، ويعود السبب إلى ان هذا الشهر تنعدم فيه الغيوم فضلاً عن ان زاوية سقوط الأشعاع الشمسي تكون قريبة إلى شبه العمودية، الا ان ساعات السطوع الفعلية تبدأ بالتناقص التدريجي حتى تصل الى أدنى معدلاتها وذلك في شهر كانون الاول لتبلغ (6.36) ساعة، بسبب تزايد الأيام الغائمة في هذا الشهر فضلاً عن صغر زاوية سقوط الاشعاع الشمسي فيه، ليصل المدى السنوي لعدد ساعات السطوع الفعلية في المحافظة الى (5.41) ساعة، وهو فرق كبير انعكست نتائجه على الوضع الحراري في المنطقة. ونتيجة لتباين معدلات السطوع خلال فصلي الشتاء والصيف في منطقة الدراسة

.

الجدول(1) معدل عدد ساعات السطوح الشمسي النظرية والفعلية في منطقة الدراسة للمدة(1990-2021)

الشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	آيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الاول	تشرين الثاني	كانون الاول	المعدل
معدل ساعات السطوع النظري (ساعة)	10.2	11.0	11.9	12.0	13.4	14	13.5	13.1	12.2	11.2	10.2	10.0	11.4
معدل ساعات السطوع الفعلي (ساعة)	6.6	7.5	7.8	8.6	9.6	11.6	11.7	11.7	10.2	8.5	7.3	6.3	8.9

المصدر: وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي في العراق، قسم المناخ قسم المناخ بيانات غير منشورة .

)معدل عدد ساعات السطوح الشمسي النظرية والفعلية في منطقة الدراسة1الشكل (

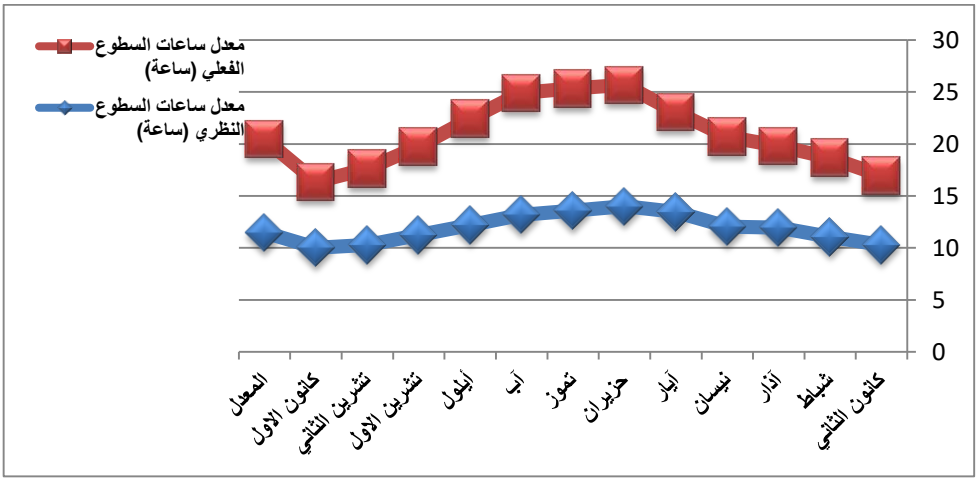

ثانياً- درجة الحرارة:

وقد بلغ المعدل السنوي لدرجة الحرارة في القضاء (24.1°) إذ تبدء درجات الحرارة بالأرتفاع ابتداءً من شهر آذار (17.6°م) لتستمر بالأرتفاع التدريجي حتى تصل الى اعلى معدلاتها في شهر تموز (36-3 °)، الذي سجلت فيه اعلى معدلات درجات الحرارة العظمى والصغرى فكانت (44.2°م،28.2°م) لكل منها على التوالي. في حين تبدء درجات الحرارة بالانخفاض التدريجي لتصل الى أدنى معدل لها في شهر كانون الثاني (3-10° م)، الذي سجلت فيه أدنى معدلات درجات الحرارة العظمى والصغرى فكانت (16°م، 4.7°م) لكل منها على التوالي. جدول (2). شكل (2). كما يعد المدى الحراري اليومي والشهري والسنوي كبير في منطقة الدراسة، اذ يبلغ المدى الحراري السنوي (14°م) وذلك لعدم وجود مسطحات مائية وتتراوح المديات الحرارية الشهرية بين(11.3°م) حيث سجل

أدنى مدى حراري شهري في شهر كانون الثاني وبين(16.5°م) في شهر أيلول كأعلى مدى حراري في منطقة الدراسة، ويدل ذلك على خضوع منطقة الدراسة أمام المؤثرات الصحراوية الجافة إذ أن اتساع المدى الحراري يعني أن المنطقة ذات مناخ قاري جاف .

)2جدول رقم (

درجات الحرارة العظمى والصغرى ومعدل درجة الحرارة في منطقة الدراسة للمدة(1990-2021)

الشهر	درجات الحرارةالعظمى	درجات الحرارة الصغرى	معدل درجة الحرارة
كانون الثاني	16.0	4.7	10.3
شباط	19.3	7.2	13.3
آذار	24.1	11.2	17.6
نيسان	30.5	16.8	23.7
آيار	36.9	22.2	29.5
حزيران	41.5	26.2	33.9
تموز	44.2	28.3	36.3
آب	43.5	27.5	35.5
أيلول	40.6	24.1	32.4
تشرين الأول	33.4	18.5	26.0
تشرين الثاني	24.5	11.7	18.1
كانون الأول	18.4	6.6	12.5
المعدل	31.1	17.1	24.1

المصدر: وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي في العراق، قسم المناخ، بيانات غير منشورة،

)درجات الحرارة العظمى والصغرى ومعدل درجة الحرارة في منطقة الدراسة2الشكل (

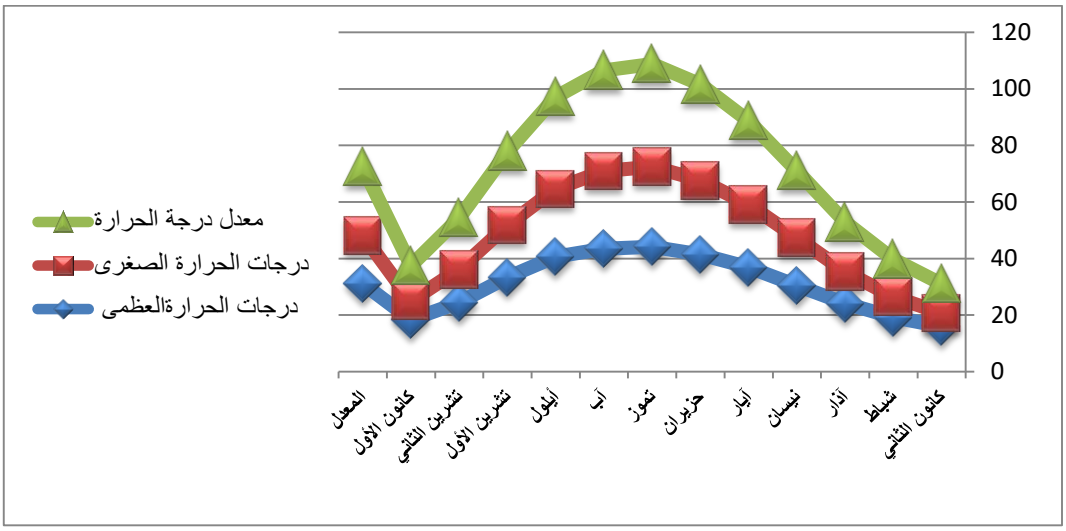

المصدر: بالاعتماد على جدول رقم (2)

ثالثا- الرياح:

تعمل من خلال سرعتها، تزيد من تساقط الأزهار والثمار في موسم التزهير فضلاً عن تكسير الأغصان وتساقط الأوراق الصغيرة لاسيما أشجار الفاكهة التي يكون موعد زراعتها متزامن مع الأشهر التي تزداد فيها سرعة الرياح اذ يتزامن وقت التزهير مع الأشهر التي تزداد فيها سرعة الرياح كشهر حزيران وشهر تموز وبمعدل (3.8)و(4)م/ثا لكلا الشهرين على الترتيب. فضلاً عن شهر آب الذي يبلغ معدل سرعة الرياح فيه (3.4)م/ثا ويؤثر على أشجار الحمضيات . جدول (3) ،الشكل(3). أما الأثر الأخر الذي تتركه الرياح في النباتات، فيتمثل في زيادة عمليتي (النتح والتبخر) من أغصان النباتات وسطوح الأوراق والتربة على حد سوء وأن سرعتها تتزامن مع أشهر فصل الصيف الحار كما مبين في الجدول (3). نستنتج أن الرياح السائدة في منطقة الدراسة هي الرياح الشمالية الغربية . اذ تسبب الرياح ضررا فسيولوجيا لاشجار الزيتون عند هبوبها بسرعة عالية حيث زيادة سرعة النتح يؤدي الى فقدان كمية كبيرة من الماء لا يستطيع المجموع الجذري تعويضها بسرعة مما ينتج عنه اختلال التوازن المائي داخل الاشجار وبالتالي سقوط الكثير من الثمار.

الجدول رقم (3) معدلات

سرعة الرياح في منطقة الدراسة والمعدلات الشهرية لسرعة الرياح السائدة للمدة(1990-2021)

الشهر	كانون الأول	شباط	آذار	نيسان	آيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل السنوي
معدل سرعة	3.1	3.4	3	2.9	3.1	3.8	4	3.4	3.4	3.1	3	3	3.25

المصدر: وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي في العراق ، قسم المناخ ، بيانات غير منشورة

الشكل (3) معدلات سرعة الرياح

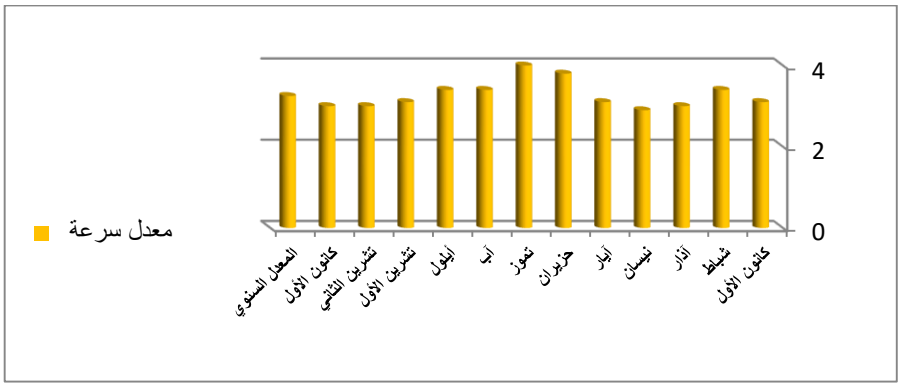

المصدر: بالاعتماد على جدول رقم (3)

رابعا- الرطوبة النسبية:-

يتضح الجدول (4)،الشكل (4) يبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية (41.7%) يزداد هذا المعدل خلال الموسم الشتوي ، إذ يبلغ حولي (65.2%) شتاءً للأشهر كانون الأول وكانون الثاني وشباط على التوالي ، بسبب أنخفاض درجات الحرارة وزيادة التساقط ، أما أعلى معدل لها في الموسم فقد استأثر به كانون الثاني اذ يبلغ (68.8%) في حين كانت الرطوبة النسبية منخفضة خلال اشهر الموسم الصيفي اذ بلغت للأشهر حزيران تموز، آب (22.6%)،في حين سجل ادنى مستوى لها في شهر تموز بمعدل بلغ (21.7%) بسبب أرتفاع درجات الحرارة وأنقطاع تساقط المطر في هذا الموسم . تأسيساً على ما تقدم يتبين مدى حاجة المحاصيل الزراعية في منطقة الدراسة الى مياه الري صيفاً نظراً لأنخفاض معدلات الرطوبة النسبية مقارنة بأشهر الشتاء ، وهذا يعني ضياع كميات كبيرة من مياه الري سواء من النبات أو التربة ، ولتقليل من هذه الضائعات يفضل الري الليلي.

الجدول رقم (4)

المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في منطقة الدراسة للمدة (1990-2020)

الأشهر	كانون 2	شباط	آذار	نيسان	آيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين 1	تشرين 2	كانون 1	المعدل
الرطوبة النسبية%	68.8	58.2	48.6	38.7	30	23.2	21.7	23	27.4	37.9	54.9	68.5	41.7

المصدر: وزارة النقل والمواصلات ، والهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي في العراق، بيانات غيرمنشورة ،

الشكل(4)المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في منطقة الدراسة

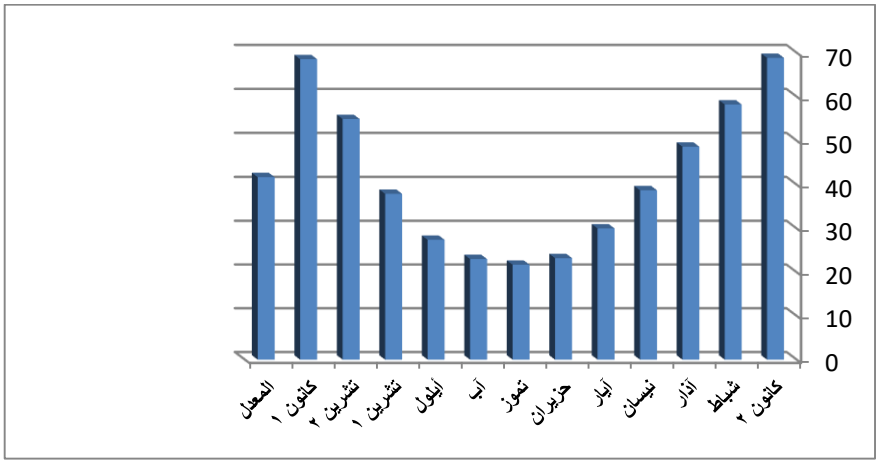

المصدر: بالاعتماد على جدول رقم (4)

خامسا- الأمطار:

تتصف أمطار القضاء بالتذبذب وعدم أنتظامها سواء أكان في كميتها أم في مواعيد تساقطها، عموماً فأمطار منطقة الدراسة متباينة شهرياً وفصلياً وسنوياً، وهي بالأساس أمطار سنوية.ومن خلال جدول (5) ،شكل (5)يتبين أن الامطار تبدأ بالتساقط في منطقة الدراسة أبتداءً من شهر تشرين الأول وبكميات قليلة جداً تصل (3.4)ملم، تستمر كمية الأمطار المتساقطة بالتزايد بعد هذا التأريخ لتبلغ أكبر كمية لها في شهر كانون الثاني بمقدار (20.3) ملم، كما يسجل في نفس الشهر أدنى معدلات درجة الحرارة واعلى معدلات الرطوبة النسبية، ثم تبدأ بعد هذا الشهر بالتناقص لتصل الى ادنى كمياتها وذلك في شهري آيار وحزيران وبمقدار (5.8، 0.06) ملم على التوالي. أما الأشهر (تموز، آب، أيلول) فتعد أشهراً جافة بسبب عدم تساقط الأمطار فيها. تتميز اشجار الزيتون بقدرتها على تحمل العطش والجفاف بدرجة كبيرة، واشجار الزيتون حساسة لزيادة الرطوبة الارضية.

) معدلات الأمطار الساقطة (ملم) في محطة منطقة الدراسة للمدة(1990-2021) 5 الجدول (

الشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المجموع السنوي
كمية الأمطار (ملم)	20.3	15.1	13.5	10.2	5,8	0	0	0	0	4.2	14.8	17.5	100.1

المصدر: وزارة النقل والمواصلات، الهيأة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي في العراق، قسم المُناخ، بيانات غير

)معدل كميات الأمطار الشهرية في منطقة الدراسة5الشكل (

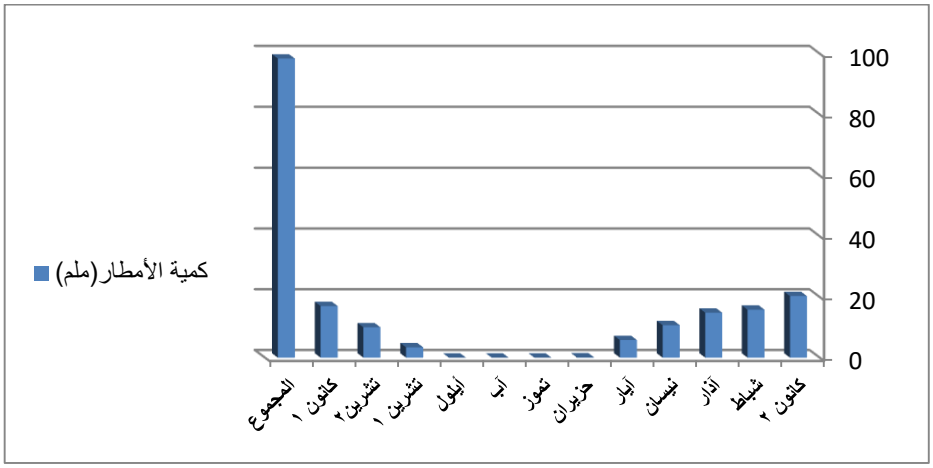

المصدر: بالاعتماد على جدول رقم (5)

ثالثا: التربة:-

1- **تربة كتوف الأنهار**: تنتشر هذه التربة فوق منطقة كتوف الأنهار الطبيعية التي تمتد على ضفاف نهر الفرات وفروعه الرئيسة اذ تمتد بشكل أشرطة ضيقة على طول ضفتي شط الكوفة وشط العباسية وتعد هذه الترب من الترب المنقولة التي تكونت بفعل نقل الترسبات المائية نتيجة الفيضانات المتكررة((1)).وهي تربة مزيجية طينية غرينية– معتدلة النعومة، وترتفع هذه الترب الى نحو 3م عن الأرض المجاورة لها ويقل أرتفاعها كلما اتجهنا جنوباً ، وبالرغم من تأثير المياه الجوفية فيها عند أرتفاع منسوب النهر إلا أن تأثيرها يكون بعيداً عن الطبقة العليا للتربة . ويقل التبخر نسبياً من ترب كتوف الأنهار بسبب ما يتوفر لها من ظل ينجم عن كثافة النخيل

وأشجار البساتين علاوة على نسجتها الخشنة فتكون جيدة التصريف الآمر الذي يؤدي إلى انخفاض درجة الملوحة وتتميز بارتفاع نسبة المادة العضوية، يعد هذا النوع من التربة من أجود أنوع الترب الصالحة للأستعمالات الزراعية فضلاً عن قربها من السوق فقد تركزت فيها زراعة وزراعة اشجار الفاكهة المتعددة [lix].

2- تربة أحواض الأنهار:

تحتل هذه التربة المنطقة المتاخمة لمنطقة كتوف الأنهار الطبيعية وتبدو واضحة في الجزء الشمالي الى الشرق من شط العباسية ولا يبدو لها أثر في المنطقة الغربية من شط الكوفة لأقتراب الهضبة الغربية من النهر إذ لا تبعد عنه أكثر من (1) كم بالمعدل ، (الخريطة-3) ولا يمكن أن نرسم لها بسهولة حدوداً واضحة من الجهة البعيدة عن النهر بسبب تداخلها مع تربة المستنقعات والأهوار المطمورة بالغرين[(2)]. ونتيجة لأستواء سطحها وسعة مساحتها وطبيعة الخصائص التي ميزتها فهي تعد أكثر ملائمة لزراعة المحاصيل الحقلية واشجار الفاكهة .

خريطة (3)ترب منطقة في قضاء الكوفة

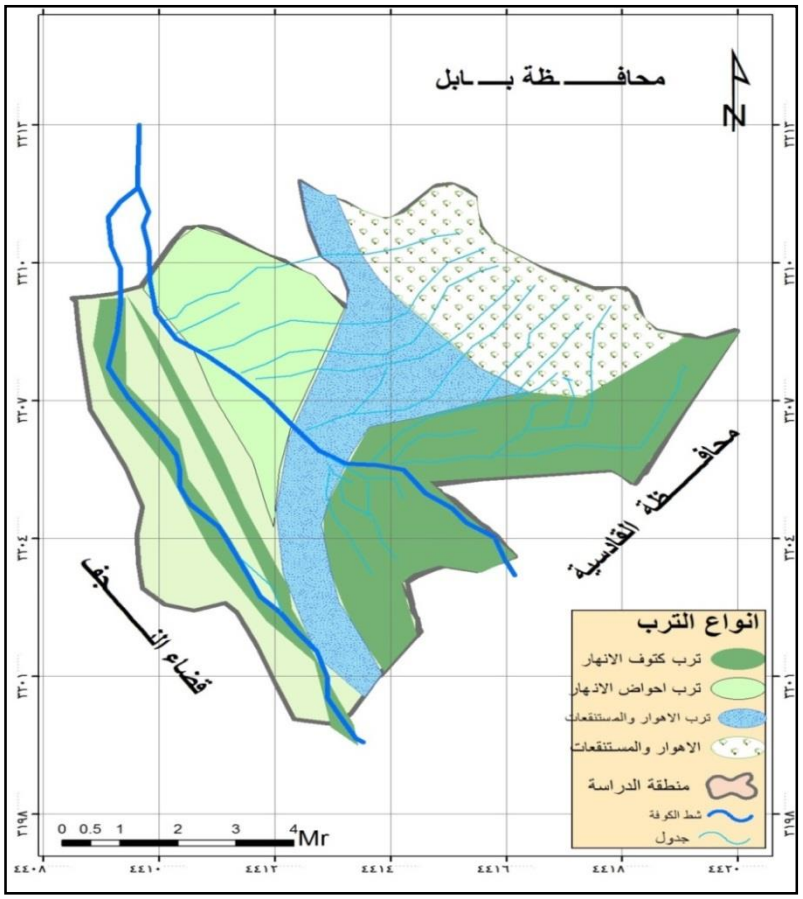

،بمقياس رسم 1 : 250000 لعام Gis2020المصدر:بالاعتماد وزارة الزراعة ،مديرية زراعة في محافظة النجف ،شعبة

رابعاً : الموارد المائية :

1- الموارد المائية السطحية:

آ- شط الكوفة

يخترق شط الكوفة منطقة الدراسة في شمالها الغربي على بعد (5كم) من نقطة تفرعه جنوب مدينة الكفل ، يستمر بالجريان ضمن مقاطعات وأراضي مركز القضاء ، يبلغ طوله ابتداء من دخوله الحدود الأدرية لمنطقة الدراسة حتى مدينة (أبو صخير) مركز قضاء المناذرة (32كم) دون تفريعات جانبية عدى تفرع (الشاخة اليسرى) ضمن جزرة النقيب والبو شيخ مشهد بطول(3.400)كم المساحة المرواة منها (1700) دونم أن مساحة الأراضي المستفيدة في شط الكوفة (17120) دونم [lix]. وبسبب الأرتفاع النسبي للأرض الزراعية الواقعة على ضفتيه لذا يعتمد كلياً على المضخات في عملية ري تلك الأراضي. يستمر شط الكوفة بالجريان وعند دخوله مدينة أبو صخير الواقعة على بعد (16) كم الى الجنوب من مدينة الكوفة، يسمى بـ (شط المشخاب) المجرى الرئيسي لنهر الفرات.

ب- شط العباسية:

جدول (الحيدري ، العدل، الوهابي، أبو غرب، العريان والأعمى)، بلغ مجموع اطوالها (76.750)في حين بلغ مجموع المساحة التي ترويها هذه الجداول (45500) دونما. اما ايمن شط العباسية فيتفرع جدول (العياشي، ام حياية ، ابو خورة ، ابو دوانيج) بمجموع اطوال بلغ (18600 كم) ام ، في حين بلغ مجموع المساحة التي ترويها هذه الجداول (17500) دونماً. . اما الجداول الثانوية الآخذة من شط العباسية فتمثلت بالتفرعات الأخذة من جدول ام حيايه وهي جداول (النعماني والبوشيخ مشهد وام التمن)وكذلك التفرعات الأخذة من جدول ابو خوره وهي جداول (ابو جاموس والحد) وبلغ مجموع اطوالها مجتمعة (18.200)كم . بسبب تباين المناسيب المائية خلال أشهر السنة وعليه تسود زراعة البستنه بالقرب من هذه الأنهار وذلك لحاجتها الى مقنن مائي اعلى نسبياً من غيرها من المحاصيل وبصورة دائمية، اضافة لذلك تقل كثافة الأستعمال الزراعي كلما ابتعدنا عن هذه الأنهار. وذلك لأن طريقة الري بالواسطة تتحدد من الأنهار الرئيسة خلال فترة انخفاض المناسيب والتي لا توفي مستلزمات السقي لمساحات بعيدة عنها .ومما تجدر الأشارة إليه ان غالبية عمليات الري تجري بالواسطة في منطقة الدراسة بنسبة (90%) على شطي الكوفة والعباسية اذا ما استثنينا المنطقة الشرقية لشط العباسية، اذ يساعد انخفاض الأراضي المجاورة على الري السيحي لتلك المحاصيل الزراعية.

)4خريطة (

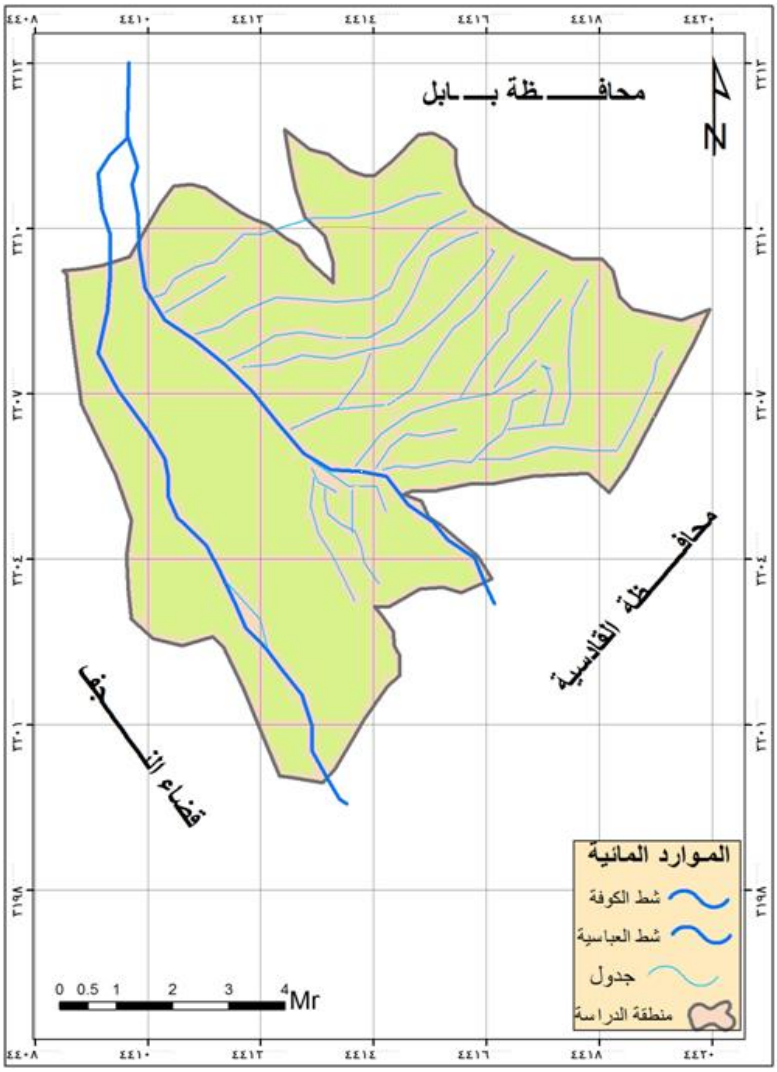

الانهار والجداول في منطقة الدراسة

المصدر:بالاعتمادعلى وزارة الزراعة ،مديرية زراعة في محافظة النجف ،شعبة Gis ،بمقياس رسم 1: 250000 لعام 2020.

2- المياه الجوفية:

لسهولة استغلال المياه السطحية وتوفرها، قل اعتماد على المياه الجوفية، إلا في حالات معينة نظراً لما تعانيه منطقة الدراسة من قلة كمية المياه المجهزة، إذ يتم حفر الآبار و الأستفادة من المياه فيري الأراضي الزراعية. كما هو الحال في جنوب القضاء في مقاطعات (آلعيسى الجنوبية وخرخيت وكري سعدهوالكريشات). وهي تشكل جزء من موارد المائية يمكنا ستغلاله في حالا تنقص المياه السطحية، للاعتماد عليها في زراعة المحاصيل بأتباع اسلوب مقنن للري، البساتين.

البحث الثاني العوامل البشرية واثرها على زراعة الاشجار النفضية في قضاء الكوفة

اولا- حجم الأيدي العاملة:-

ان أي تقدم وزيادة حاصلة في الأنتاج الزراعي لابد وان يتوقف على المتوافر من الأيدي العاملة بوصفها عنصراً فعالاً وحيوياً من عناصر الأنتاج في مجمل مراحل العمليات الزراعية بدءً بحراثة الأرض وحتى الحصاد وانتهاءً بالتسويق. وهذا بدوره يرتبط بحجم السكان وتوزيعهم المكاني ومستوى تقدمهم العلمي. ويتضح من الجدول (6) ان مركز القضاء يستأثر بأعلى نسبة لعدد السكان الأجمالي وهي (64.5%) في ما كان سكان الريف بنسبة (26%) نسبة لسكان الريف بين الوحدات الأدارية للقضاء على حين بلغت نسبة سكان الحضر في مركز القضاء بنسبة (74%) وذلك لكونه المركز الحضري لعموم قضاء الكوفة الذي تتركز فيه النشاطات الوظيفية والتجارية. ثم جاءت ناحية العباسية بالمرتبة الثانية من حيث اجمالي عدد السكان بنسبة (26.3%) الا ان سكان الريف سجل اعلى نسبة في الناحية وعموم القضاء بلغت (91.6%) على حين بلغ سكان الحضر (8.4%) ،وقد جاءت ناحية الحرية بنسبة (9.2%) من اجمالي سكان القضاء، اما نسبة الحضر والريف على مستوى القضاء فهي(70.3%)للريف في حين سجل الحضر نسبة (29.7%)

الوحدات الأدارية	حجم السكان (نسمة)			النسبة الى المجموع الكلي (%)		
	الاجمالي	ريف	حضر	الأجمالي الى القضاء	الريف الى الناحية	الحضر إلى الناحية
م.ق. الكوفة	131882	34256	97626	64.5	26	74
ناحية العباسية	53638	49129	4509	26.3	91.6	8.4
ناحية الحرية	18848	13251	5597	9.2	70.3	29.7
اجمالي القضاء	204368	96636	107732	%100	47.3	52.7

جدول (6)التوزيع البيني لسكان قضاء الكوفة حسب الوحدات الأدارية (ريف–حضر) لسنة2020

تعد الخبرة التقليدية المتراكمة التي اكتسبها فلاحوا منطقة الدراسة عن طريق الأكتساب العائلي المتوارث هي السائدة ضمن قضاء الكوفة في الزراعة، نتيجة لظروف بحكم موقع السوق القريب منه

وكثافة محاصيل البستنة ومعرفتهم الدقيقة بعملية التطعيم وبعض العمليات الأخرى في تحسين وأكثار سلالات بعض اشجار الفاكهة .

الشكل (6)التوزيع البيئي لسكان قضاء الكوفة حسب الوحدات الأدارية (ريف–حضر)

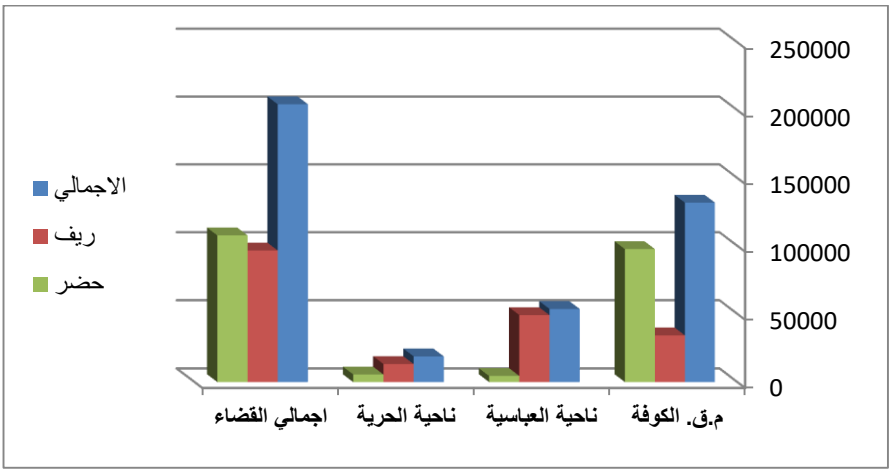

المصدر :بالاعتماد على جدول(6)

الشكل (7)النسبة المئوية لسكان قضاء الكوفة حسب الوحدات الأدارية (ريف–حضر)

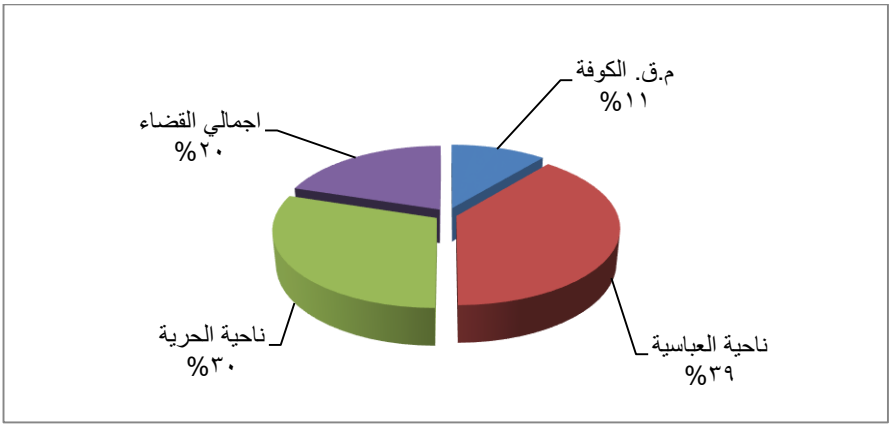

المصدر :بالاعتماد على جدول(6)

ثانيا: طرائق الري :-

يقصد بها ايصال المياه إلى الأراضي الزراعية بواسطة المضخات، وينتشر هذا الأسلوب ضمن الأراضي المرتفعة التي تقع على ضفاف الأنهار وجداول الري المعروفة بكتوف الأنهار،والتي لايمكن أروائها لاسيما من مياه الجداول، وكذلك المناطق التي تعتمد المياه الجوفية لري محاصيلها[lix]. أن هذه الطريقة تنتشر في أغلب جهات القضاء ضمن مناطق أرواء شط الكوفة وشط العباسية وفروعه، لاسيما الجهات الغربية والجنوبية الغربية من منطقة الدراسة كذلك المنطقة المحصورة بين شطي

الكوفة والعباسية التي تتميز بأكتاف انهار عالية نسبياً عن مناطقه ايتها فضلاً عن الأقسام الجنوبية الشرقية من شط العباسية، وكذلك ضمن الحقول الواقعة شرق العباسية التي تروي من ذنائب نهر العباسية، إذ يقل منسوب المياه فيها كثيراً عن مستوى تلك الأراضي.

ثالثا : السياسة الزراعية:-

يقصد بالسياسة الزراعية، الإجراءات العلمية التي تقوم بها الدولة والتي تتضمن مجموعة منتخبة من الوسائل الإصلاحية الزراعية المناسبة والتي يمكن بموجبها توفير اكبر قسط من الرفاهية للمشتغلين بالزراعة عن طريق إنتاجهم وتحسين نوعية

1- سياسات الأئتمان الزراعي (التسليف):-

يحتاج معظم الفلاحين إلى رأس المال لشراء العوامل والأدوات الإنتاجية التي تساعد على انتاج المحاصيل الزراعية التي يروما استعمالها، ومن هذه العوام لما يستعمل مرة واحدة كالبذور والأسمدة والمبيدات ومنها ما يستعمل لعد تمراتك الأرض والمكائن والآلات لذا يقصد بالأتمان الزراعي وسائل تمكين المنتجين الزراعين من الحصول على القروض لسد احتياجاتهم المختلفة[lix]. وتظهر الحاجة الى التسليف عندما تبدأ الزراعة بالخروج من طوق الزراعة التقليدية والأتجاه نحو التطور من خلال انتشار المبتكرات الحديثة التي تؤدي إلى زيادة انتاجية عواملا لإنتاج التقليدية المتمثلة بالأرض والقوى العاملة.

ويمثلا لمصرف الزراعي التعاوني في محافظة النجف الوجه الرسمي لعملية لتسليف الزراعي في قضائي الكوفة والنجف، واستمر المصرف في تقديم السلف الزراعية للفلاحين بفوائد لا تتجاوز في كافة الأحوال (3%) (طويلة الأجل).

2-التسويق والسياسة السعرية:-

التسويق الزراعي تحديداً هو انتقال السلعة الزراعية من المنتج إلى المستهلك لقاء مردود مالي، يتم هذا الانتقال عبر عملية متكاملة تبدأ بجني المحصول وتمر في احيان بتجار الجملة او العلاوي الشعبية ثم احياناً التصدير وصولاً الى المستهلكين ضمن هذا المسار يتدرج النقل والتحويل والتخزين والفرز والتعبئة وغيرها. وهو يشير الى مجموعة النشاطات الاقتصادية الهادفة التي تسعى الى توصيل السلع الزراعية من المنتج الى المستهلك في الوقت والشكل المناسب عند مستوى السعر المقبول[lix]. تسوق منتجاتهم الفواكه الى السوق المحلية بدافع القرب من السوق كونها سريعة التلف وتنشأ اسواق موسمية تزدهر خلال فصل الصيف اذ يعرض الفلاحين منتجاتهم الزراعية أمام حقولهم الزراعية وخاصة البساتين لتكون عائدية هذه الاسواق قيمة مضافة لما يسوقه الفلاحون الى الاسواق الاخرى.

رابعا: طرق النقل:

لطرق النقل أهمية مؤثرة ومباشرة في زيادة إذ تؤدي المسافة الفاصلة بين الأراضي الزراعية من جانب ومساكن المزارعين وأسواق التصريف من جانب آخر ومدى توفر عامل النقل وعند استعراض واقع شبكة الطرق في منطقة الدراسة نلاحظ أن المنطقة تعتمد في حركتها بشكل أساسي على شبكة من الطرق البرية فهي تمتلك طرق رئيسة تمتد باتجاه الشمال والشرق والجنوب ويتوزع عدد من مقاطعات منطقة الدراسة على امتداد هذه الطرق والتي غالباً ما تمتد مع اتجاه جداول الري والأنهار امتداد طولي خاصة ضمن جداول ناحية العباسية والحرية. مما أدى إلى اتساع دائرة تسويق المنتجات الزراعية فيها من خلال ربط منطقة الدراسة مع مركز المحافظة والمحافظات القريبة منها، هذا فضلاً عن تلبية احتياجات منطقة الدراسة من متطلبات العمليات الأساسية لاستعمالات الأرض الزراعية.

وتقسم طرق النقل في منطقة الدراسة الى طرق معبده، وطرق ترابية، ذات مسارات متداخلة فيما بينها لتغطي كافة مقاطعاتها تقريباً، فضلاً عن أن الشبكة تؤمن عملية النقل الخارجي للسكان من خلال ارتباطها بشبكة من الطرق الخارجية التي تربط المنطقة بالمحافظات المجاورة لها مثل محافظة بابل والديوانية.

(الخريطة 5) طرق النقل في منطقة الدراسة

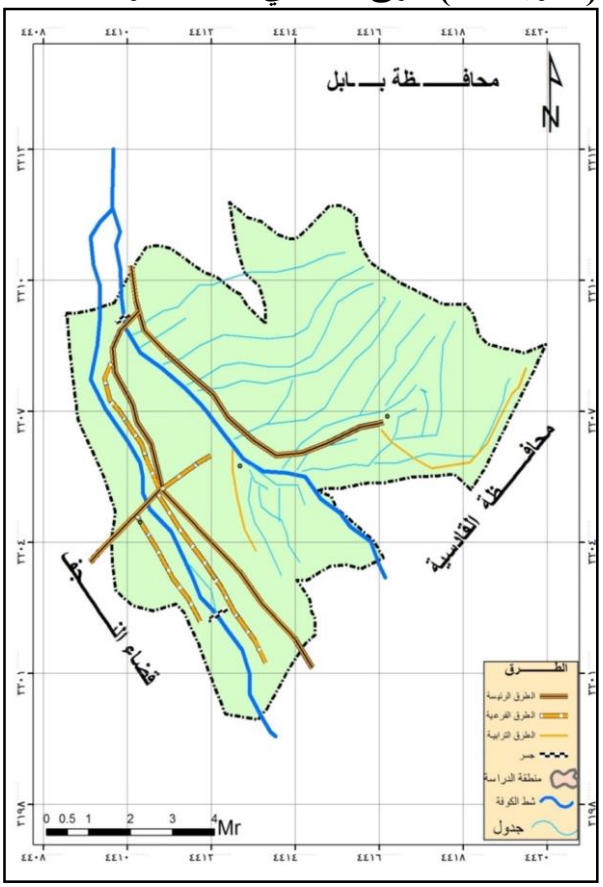

المصدر : وزارة الاسكان والتعمير ، الهيئه العامه للطرق والجسور ، مديرية طرق وجسور محافظة النجف ، مقياس : 100000/1، 2020.

المبحث الثالث :تحليل تباين زراعة اشجار الفاكهة النفضية في قضاء الكوفة

اولا-التوزيع الجغرافي للمساحة البساتين :

تركزت مساحة البساتين أولا في مركز قضاء الكوفة بنسبة (61%) من مجموع مساحة البساتين في قضاء الكوفة والبالغة مساحتها (14001) دونم اذ بلغت مساحة البساتين في قضاء الكوفة (14001)دونم الجدول (7)،الشكل (8)،الشكل (9).

ثم جاء ت ناحية العباسية بالمرتبة الثانية من مساحة البساتين التي بلغ نسبة (32%) حيث بلغت مساحة البساتين في ناحية العباسية (4490)دونم .

اما بالمرتبة الثالثة جاءت ناحية الحرية بنسبة (7%) حيث بلغت مساحة البساتين في ناحية الحرية (940)دونم .

جدول (7) مساحة البساتين في قضاء الكوفة

الوحدة الادارية	مساحة البساتين	%
الكوفة	8571	61
العباسية	4490	32
الحرية	940	7
المجموع	14001	100

مديرية زراعة محافظة النجف ،شعبة الاحصاء بيانات غير منشورة للعام (2020).

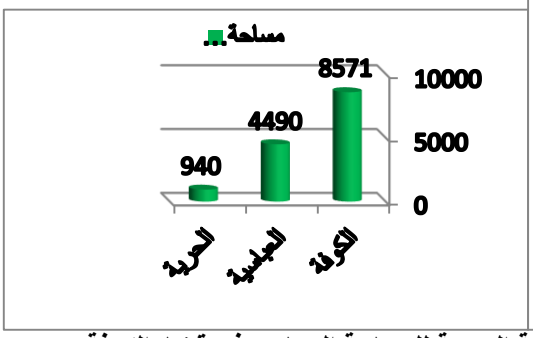

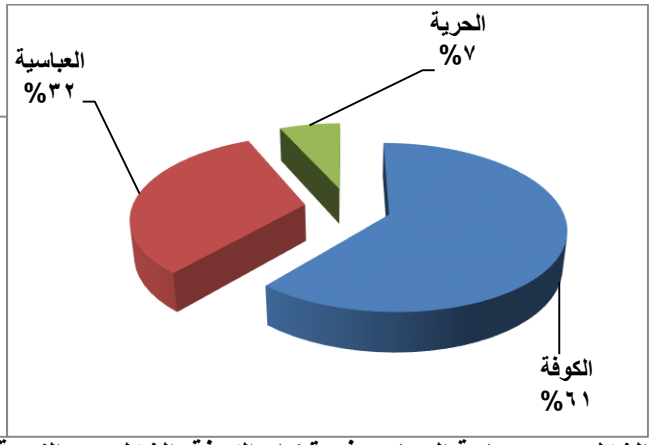

الشكل (8) مساحة البساتين في قضاء الكوفة الشكل (9) النسبة المئوية للمساحة البساتين في قضاءالكوفة

المصدر : بالاعتماد على جدول (7) **المصدر : بالاعتماد على جدول (7)**

ثانيا-التوزيع الجغرافي لأشجار النفضية

1-اشجار العنب

جاءت اشجار العنب بالمرتبة الاول حيث بلغ عدد أشجاره (781076) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (10) نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة (100%) من مجموع أشجار العنب في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (779225) شجرة.

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجار العنب في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار العنب من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (0%) من مجمل أشجار العنب اذ بلغ عدد الأشجار فيها (1818) شجرة بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (0 %) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (33)شجرة.

2-اشجار التين:

جاء ت اشجار التين بالمرتبة الثانية حيث بلغ عدد أشجاره (39919) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (11) نجد ان

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجارالتين في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار التين من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة اذ استحوذت على نسبة (66%) من مجموع أشجار التين في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (26437) شجرة. ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (31%) من مجمل أشجار التين اذ بلغ عدد الأشجار فيها (12230) شجرة. بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (3 %) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (1252)شجرة.

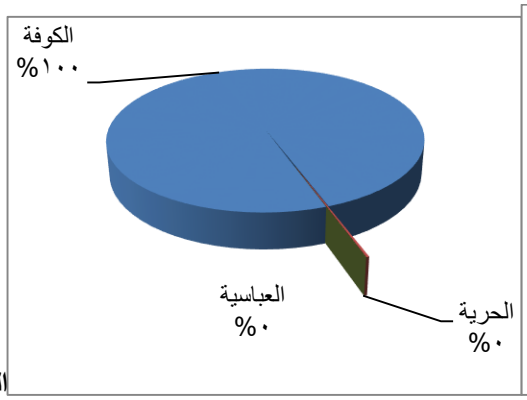

الشكل (10) النسبة المئوية لعدد أشجار العنب

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

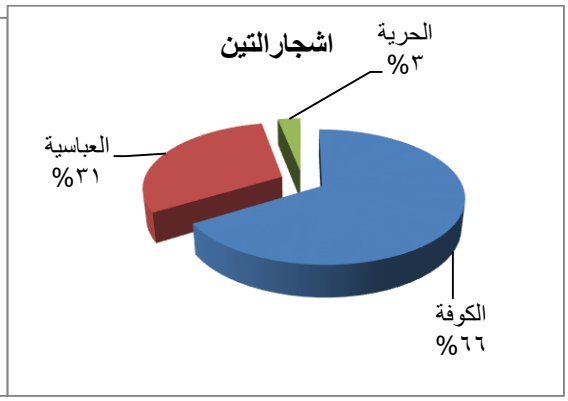

الشكل (11)النسبة المئوية لعدد أشجار التين

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

3-اشجار الرمان:

جاءت اشجار الرمان بالمرتبة الثالثة حيث بلغ عدد أشجاره (11615) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (12) نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة(84%) من مجموع أشجارالرمان في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (9768) شجرة.

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجار الرمان في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار الرمان من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة . ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (11%) من مجمل أشجار الرمان اذ بلغ عدد الأشجار فيها (1330) شجرة.

بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (5%) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (517)شجرة.

4-اشجار المشمش:

جاءت اشجار المشمش بالمرتبة الرابعة حيث بلغ عدد أشجاره (6341) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (13) نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة(72%) من مجموع أشجار المشمش في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (5735) شجرة.

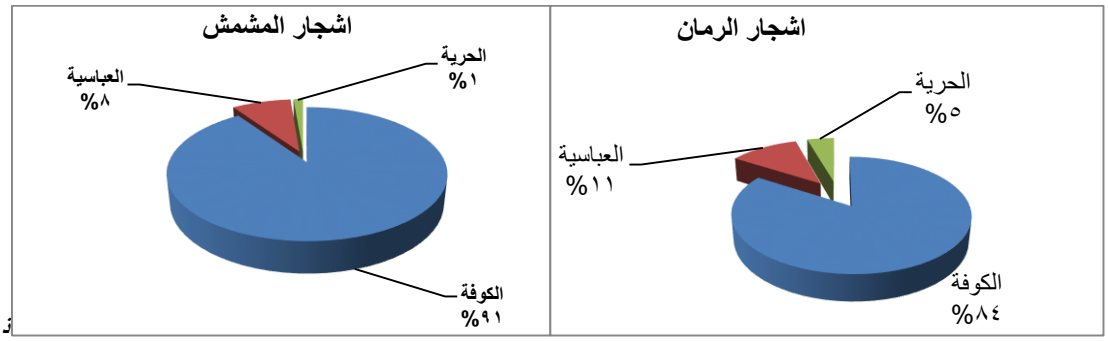

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجار المشمش في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار المشمش من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة . ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (26%) من مجمل أشجار المشمش اذ بلغ عدد الأشجار فيها (522) شجرة.

بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (2%) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (84)شجرة.

الشكل (12) النسبة المئوية لعدد أشجار الرمان

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

الشكل (13)النسبة المئوية لعدد أشجار المشمش

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

5-اشجار التفاح:

جاءت اشجار التفاح بالمرتبة الخامسة حيث بلغ عدد أشجاره (3097) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (14) نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة(81%) من مجموع أشجار التفاح في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (2229) شجرة.

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجار التفاح في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار التفاح من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة . ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (18%) من مجمل أشجار التفاح اذ بلغ عدد الأشجار فيها (821) شجرة.

بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (1%) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (47)شجرة.

6-اشجار الخوخ:

جاءت اشجار الخوخ بالمرتبة السادسة حيث بلغ عدد أشجاره (1134) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. ومن ملاحظة الجدول (8) والشكل (15) نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة(91%) من مجموع أشجار الخوخ في منطقة الدراسة فقد بلغ عدد الأشجار فيها (915) شجرة.

اذ يلاحظ ان مركز قضاء الكوفة تكاد تسيطر على ثلثي عدد أشجار الخوخ في منطقة الدراسة فقد استحوذت على زراعة أشجار الخوخ من بين أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة . ويأتي بعد ذلك ناحية العباسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار اذ تشغل نسبة (8%) من مجمل أشجار الخوخ اذ بلغ عدد الأشجار فيها (204) شجرة.

بينما لم تشغل ناحية الحرية سوى (1%) حيث بلغ عدد الأشجار فيها (15)شجرة.

الشكل (14) النسبة المئوية لعدد أشجار التفاح

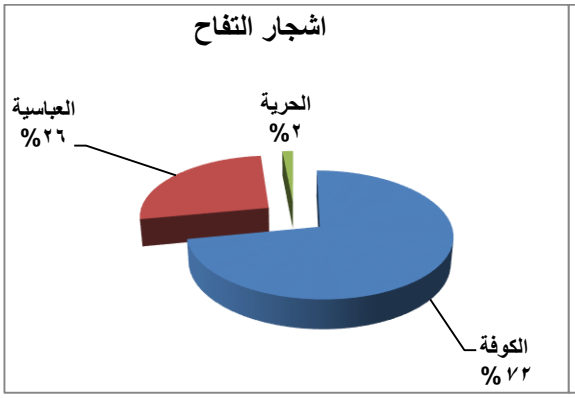

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

الشكل (15)النسبة المئوية لعدد أشجار الخوخ

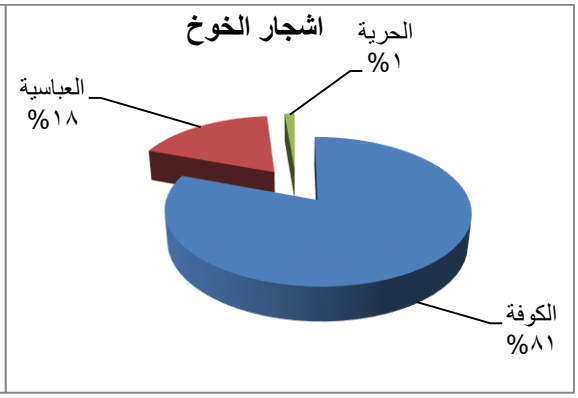

المصدر : بالاعتماد على جدول (8)

)8جدول (

عدد أشجار الفاكهة النفضية في قضاء الكوفة الاشرف لعام (2021)

الشعبة الزراعية	اشجار العنب	النسبة %	اشجار التين	النسبة %	اشجار الرمان	النسبة %	اشجار المشمش	النسبة %	اشجار التفاح	النسبة %	اشجار الخوخ	النسبة %	النسبة 1%
الكوفة	779225	100	26437	66	9768	84	5735	72	2229	81	915	91	91
العباسية	1818	0	12230	31	1330	11	522	26	821	18	204	8	8
الحرية	33	0	1252	3	517	5	84	2	47	1	15	1	1
مجموع	781076	100	39919	100	11615	100	6341	100	3097	100	1134	100	100

مديرية زراعة محافظة النجف ،شعبة الاحصاء بيانات غير منشورة للعام (2021).

ويتناول هذا المبحث الاسباب التي ادت الى تباين مساحة بساتين واعداد اشجار النفضية في منطقة الدراسة ويرجع هذا الاختلاف الى مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي لعبت دورها وفي الواقع لها الدور الاول والاخير في وجود هذا التباين والذي سنتناوله فيما ياتي بالاعتماد على الجداول الموضوعة والتي توضح اعداد اشجار النفضية ومساحة بساتين في منطقة الدراسة وحجم التزايد والتناقص في الاشجار المزروعة في قضاء الكوفة وسوف يتم توضيحها حسب الجداول التي ستوضح عدد اشجار ومساحة البساتين الفواكه النفضية فعلى الرغم من وجود التباين بين انواعها المختلفة من ناحية متطلباتها للمعدلات العليا للحرارة الا ان جميعها تتأثر وبدرجات متفاوتة عندما تزيد تلك المعدلات عن (43.3)مْ مع وجود بعض الاستثناءات كأشجار الرمان التي يمكنها ان تتحمل المعدلات القصوى اكثر من غيرها من الفواكه النفضية الأخرى.وذلك لتوفير اغلب المقومات المساعدة على الزراعة حيث درجة الحرارة في الصيف تصل الى حوالي (45م) تقريبا

كما تعد درجة الحرارة من اهم العوامل المؤثرة على نمو اشجار النفضية حيث يتأثر انتاجها بحرارة الجو المحيط بها وتكون الدرجة الحرارية المثلى لنمو اشجار النفضية كما في الجدول (9)أي ان درجة الحرارة في منطقة الدراسة قريبة من الدرجة المطلوبة ومن خلال معرفتنا درجة الحرارة والمعدل السنور الاحر للشهر تبين لنا ان توفير عامل الحرارة ادى الى نجاح زراعة الاشجار النفضية في قضاء الكوفة وذلك لان درجة الحرارة هذه قد ساعدت الاشجار النفضية على النمو وكذلك على نضوج الثمار وبصورة جيدة.

جدول (9)الحدود الحرارية لأشجار الفاكهة النفضية

اسم الفاكهة	درجة الحرارة العليا الضارة	درجة الحرارة العليا	درجة الحرارة المثلى	درجة الحرارة الدنيا	درجة لحرارة الدنيا الضارة
التين	50	39	38 -20	18	8 -
العنب	45	38	32 -25	15	8-
العرموط	49	39	26 -18	15	30-
التفاح	43	38	24 -21	15	35-
الرمان	50	39	38 -21	12	14-
المشمش	45	34	28 -20	18	20-
الالو	49	34	34 -20	18	8-

المصدر: 1-مخلف شلال السليماني ،أنتاج الفاكهة في محافظة كربلاء ،رسالة ماجستير .كلية الآداب ،جامعة بغداد،1974،ص56.

2- فيصل عبد العزيز المنسي ،الموالح الأسس العلمية لزراعتها ،دار المطبوعات الجديدة ،الاسكندرية ،1975،ص35

اما في منطقة الدراسة فقد كانت التربة عامل مساعد لنمو الاشجار النفضية لان منطقة تكثر فيها التربة الرسوبية الطينية الثقيلة التي تكون مختلطة بسبب قربها من نهر الفرات حيث تنتشر العديد من البساتين والسبب في ذلك هو توفر عامل التربة الجيد في قضاء الكوفة الذي ساعد في نجاح الزراعة فيها وحصولها على اكثر نسبة من الاشجار النفضية .

وكان للموارد المائية دور كبير على الزراعة حيث تنتشر اشجار وبساتين بالقرب من مصادر المياه المتمثلة بنهر الفرات الذي يروي الاراضي المزروعة في منطقة الدراسة.

اما قلة وانعدام الاشجار النفضية في ناحيتي العباسة والحرية وذلك سيادة زراعة محاصيل اخرى مثل المحاصيل الحقلية المتمثلة بالحبوب .

وفي منطقة الدراسة تتوفر طرق الري الحديثة من خلال المياه السطحية المتمثلة بالانهار والجداول الماخوذة من الانهار وذلك بسبب جفاف المنطقة وسبب الجفاف يعود الى قلة الامطار في المنطقة ويتم الري بأشكال عديد وبالطرق الحديثة الموجودة في المنطقة مما يساعد على توصيل المياه المطلوب للشجرة.

كما وان للعوامل البشرية الدور الكبير والفعال في زراعة الاشجار النفضية في قضاء الكوفة حيث تعتبر الكثافة السكانية من اهم العوامل البشرية التي لها تأثيرات كبيرة وايجابية على حجم الزراعة ، حيث يعتمد السكان على الاشجار النفضية في الغذاء وكذلك كعلف لحيواناتهم بالاضافة الى استخدامه في الوقود .

ونتيجة لتوفير الاسمدة الكيمياوية والحيوانية وقرب دوائر الزراعة من مركز القضاء ساعد على زيادة الزراعة وخصوصا ان الاشجار النفضية يحتاج الى ايدي عاملة كثيرة لغرض تلقيح الاشجار وجني الثمار.

اما بالنسبة للدولة في لها الدور الكبير في نشاط الزراعة حيث تمد المزارعين بالقروض لغرض الاشجار النفضية وتعتبر سياسة الدولة من اهم العوامل البشرية التي تؤثر تحسين مستوى الزراعة في على الزراعة حيث تقوم دائرة الزراعة باعطاء الاسمدة والمخصبات

وذلك نتيجة لتوفر المتطلبات الطبيعية الملائمة لاستثمار هذا النمط من الزراعة فضلاً عن توفر عامل الخبرة الذي يمتلكه سكان مركز القضاء وتوفر شبكة من طرق النقل والمواصلات التي ترتبط بالسوق الرئيس في القضاء مما شكل مقومات اساسية في تخصص مقاطعات مركز القضاء بنمط زراعة بساتين واشجار الفاكهة.

الاستنتاجات:

1- تحتويه ثمار الفاكهة من قيمة غذائية عالية يعود ذلك الى تركيبها الكيميائي الذي تدخل فيه عناصر كيميائية عديدة وكاربوهيدرات ودهون وبروتينات واحماض عضوية فضلا عن احتوائها بالعناصر المعدنية الضرورية لبناء جسم الإنسان كالكالسيوم والبوتاسيوم والفسفور والمغنيسيوم والكبريت والصوديوم وغيرها من العناصر النادرة الأخرى(فضلا عن مساهمة في سد احتياجات جسم الإنسان من بعض العناصر الغذائية المهمة والحديد والكالسيوم والفسفور والكاربوهيدرات والبروتينات.

2- جاءت اشجار العنب بالمرتبة الاول حيث بلغ عدد أشجاره (**781076**) شجرة من مجموع أشجار الفاكهة النفضية في منطقة الدراسة. نجد ان مركز قضاء الكوفة احتلت المرتبة الأولى اذ استحوذت على نسبة (100%)،فضلا عن ان مركز قضاء الكوفة تصدر المرتبة الأولى في جميع انواع الاشجار النفضية التي تزرع في قضاء الكوفة .

3- اما قلة وانعداماالاشجار النفضية في ناحيتي العباسة والحرية وذلك سيادة زراعة محاصيل اخرى مثل المحاصيل الحقلية المتمثلة بالحبوب وغيرها من المحاصيل الاخرى التي تزرع في ناحيتي العباسة والحرية .

4- من خلال دراسة المقومات الجغرافية في منطقة الدراسة والمتمثلة بالعوامل الطبيعية (السطح والمناخ والتربة والموار المائية) والعوامل البشرية تمتلك منطقة الدراسة كل الامكانات الطبيعية والبشرية اللازمة لزراعة اشجار الفاكهة النفضية .

المصادر:

الكتب

1- اسماعيل ، ليث خليل ،الري والبزل ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، 1988 .

2- حسن، طه الشيخ ،اشجار الفاكهة النفضية(فوائدها ،زراعتها ،خدمتها،اصنافها،افاتها)،ط1،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمه،1996 .

3- المنسي ،فيصل عبد العزيز، الموالح الأسس العلمية لزراعتها ،دار المطبوعات الجديدة ،الاسكندرية ،1975 .

4- النجفي، سالم توفيق ،اسماعيل عبيد حمادي، الأقتصاد الزراعي، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، 1990 .

5- النجفي، سالم توفيق، الاقتصاد الزراعي الاساس والتطبيق، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، 1999 .

الرسائل

1- شمخي فيصل الأسدي ، تحليل جغرافي للأنماط الزراعية في محافظة النجف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة

2- صفاء سالم الخفاف ، خصائص ترب قضاء الكوفة وعلاقتها بالبيئة، رسالة ماجستير، غ.م، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، 1998 .
3- عايد جاسم الزاملي ، تحليل جغرافي لتباين أشكال سطح الأرض في محافظة النجف ، رسالة ماجستير، غ.م ،كلية الآداب، جامعة الكوفة،2001 .
4- مخلف شلال السليماني ،أنتاج الفاكهة في محافظة كربلاء ،رسالة ماجستير .كلية الآداب ،جامعة بغداد،1974 .
5- وفاء كاظم عباس الشمري ، الأستيطان الريفي في قضاء الكوفة ، وسالة ماجستير، غ.م ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 1989 .

الدوائرالحكومية

1- مديرية الموارد المائية في محافظة النجف ، قسم التخطيط والمتابعة ، بيانات غير منشورة ، 2020.
2- **مديرية زراعة محافظة النجف ،شعبة الاحصاء بيانات غير منشورة للعام (2021).**
3- **الهيئة العامة للمساحة ، خريطة النجف الادارية، بمقياس رسم 1: 2000000 ، بغداد ،لعام 2020**
4- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء، المجموعة الأحصائية السنوية،1991، بغداد.

أحكام الفضالة في عقد الايجار – دراسة تحليلية

أ.م. د ايناس مكي عبد نصار

جامعة بابل – كلية القانون - العراق

The provisions of residency in the lease- An analytical study

INAS MAKKI ABED NASAR Dr.

Babylon University - Law Faculty –Iraq

enassmekee@gmail.com

الملخص:

يعد عقد الايجار من العقود الشائعة والمتداولة كثيرًا في حياتنا العملية نظرًا للحاجة إليه ،وعلى مّر العصور فقامت غالبية التشريعات بتحديد مفهومه وتنظيم أحكامه ، فالعلاقة الإيجارية علاقة تبادلية بين المؤجر والمستأجر تفرض على عاتق طرفيها التزامات تمثل حقوق الطرف الاخر لتحصل الفائدة المرجوة من هذا العقد أن يحصل المستأجر على المنفعة المتوخاة من المأجور، ولكي ينتج عقد الايجار أثره بشكل مباشر ينبغي أن يقوم بإبرام عقد الايجار المؤجر وهو الذي يملك الماجور ،ولكن نلاحظ في بعض الاحيان أن يقوم بالإيجار شخص غير المؤجر فيكون فضوليًا ففي هذه الحالة يكون عقد الإيجار موقوفًا على إجازة المالك الحقيقي .

الكلمات المفتاحية : الفضالة – العقد – الايجار .

Abstract

The rental contract is a common and frequent contract in our working life because of the need for it. Over the years, most legislations have defined its concept and its provisions. The rental relationship is a reciprocal relationship between the lessor and the lessee. The two parties have obligations that represent the rights of the other party. The lessee shall be entitled to the benefit derived from the lease. In order to produce the lease directly, the lease contract shall be concluded by the lessor who owns the leased property. However, sometimes we notice that the person renting the lease is not a lessor. Rent is suspended on the real owner's leave

Keywords: Fadala - Contract - Rent.

مقدمة

1-جوهر فكرة البحث

يعد عقد الايجار من العقود الشائعة والمتداولة كثيرًا في حياتنا العملية ،نظرًا للحاجة إليه وعلى مّر العصور فقامت غالبية التشريعات بتحديد مفهومه وتنظيم أحكامه ، فالعلاقة الإيجارية علاقة تبادلية بين المؤجر والمستأجر تفرض على عاتق طرفيها التزامات تمثل حقوق الطرف الاخر لتحصل الفائدة المرجوة من هذا العقد أن يحصل المستأجر على المنفعة المتوخاة من المأجور و يقبض المؤجر الاجرة ،وحتى يتحقق ذلك ينبغي ان يكون المؤجر مالكا للمأجور ملكية تامة ،أو أن يكون له حق منفعة ويتصرف بهذا الحق بالإيجار، الا أنه المؤجر في بعض الصور من العقود الإيجارية يكون فضوليًا يقوم بإيجار المأجور متجاوزًا الحدود المرسومة له ، كما ان المؤجر قد يكون غير حائز للمأجور فيكون الاخير قد اثرى على حساب المالك الحقيقي بسبب عمله غير المشروع ، فاذا تعرض المالك للمستأجر ونازعه في الملكية فيضمن المؤجر هذا التعرض القانوني فيرجع المستأجر بالتعويض ،أو المطالبة بفسخ الايجار وهذه الأحكام تطبق فيما اذا لم يقر المالك هذا العقد من المؤجر فيستطيع المالك ان يسترد المأجور من المستأجر ، واما اذا اقر المالك هذا العقد فيكون عقد الايجار نافذًا بين المتعاقدين والمالك الحقيقي على حد سواء.

2-مشكلة البحث :

تثير الفضالة في أبرام عقد الايجار العديد من الاشكاليات خاصة اذا لم يجز المالك الحقيقي هذا التصرف فتنشأ علائق متعددة من جراء ذلك بين المؤجر والمستأجر والفضولي ،فضلا عن علاقة المالك الحقيقي بالمستأجر ،كما انه نلاحظ أن المؤجرين لايقومون بسداد حقوق المالك الإيجارية فيقوم المالك برفع دعوى إخلاء ضد المستأجر رغم انه قد أوفى الاجرة للمؤجر ، فتلافيًا لذلك ينبغي أن يبرم عقد الايجار من المالك مباشرة ،ومن له الحق في إبرام هذا العقد لأن عقد الايجار ملزم لجانبين يلزم ان تتحدد صفة المؤجر بكونه صاحب ملكية للمأجور حتى يستطيع أن يقوم بإيجاره للغير .

3-نطاق البحث ومنهجه

يتحدد نطاق البحث في الفضالة في عقد الايجار ، ويكون دراسة موضوعية مقارنة بين القانون المدني العراقي والقانون المدني المصري والمدني السوري والفرنسي .

4-خطة البحث :

للإلمام بموضوع البحث سوف نقسمه الى مبحثين نتناول في المبحث الاول مفهوم الفضالة في عقد الايجار ، وفي المبحث الثاني أحكام الفضالة في عقد الايجار، وإذا انتهينا من هذا البحث سوف نصله بخاتمة نسجل فيها ماعرضه البحث من نتائج .

المبحث الاول

مفهوم الفضالة

يتحدد مفهوم الفضالة من خلال التعريفات القانونية من جهة، ومن خلال تمييزها مما يشابهها من النظم القانونية الأخرى كالكسب دون سبب والوكالة والاشتراط لمصلحة الغير، وعليه فسوف نقسم هذا المبحث الى مطلبين سنتناول في المطلب الاول تعريف الفضالة ، وفي المطلب الثاني تمييز الفضالة عما يشتبه بها من مصطلحات قانونية .

المطلب الاول

تعريف الفضالة في عقد الايجار

المراد بالفضول لغة: هو من يشتغل بما لا يعنيه، أو بما ليس له، وعمله يسمى فضالة والفضولي مأخوذ من الفضل، وكلمة الفضل تدل على معنى الزيادة ،الفضل والفضيلة معروف ضد النقص والنقيصة(1).

عرف الجرجاني الفضولي بانه من لم يكن وليا ولا اصيلا ولا وكيلا في العقد(2) ،والفُضَالة هي مافضّل من الشيء وفَضَل منه شيء من باب نصر(3) ،وتعاريف الفقهاء تدور على هذا المعنى، فهو عندهم من يتصرف في حق الغير بغير إذن شرعي، أو ولاية (4) ،وعرفها الفقه القانوني بانها واقعة ارادية قوامها ان يتولى شخص عن قصد القيام بشأن عاجل لحساب شخص آخر ، دون أن يكون ملزما بذلك . (5)، ولم يرد تعريف الفضالة في القانون المدني العراقي لكن عرفها القانون المدني المصري في المادة 188منه الفضالة هي((أن يتولى شخص عن قصد القيام بشأن عاجل لحساب شخص آخر، دون أن يكون ملزماً بذلك)) ، وكذلك عرفها القانون المدني السوري في المادة (189) من القانون المدني السوري بانها ((قيام شخص عن قصد بشأن عاجل لحساب شخص آخر، دون أن يكون ملزماً بذلك». ويمثل شراح القانون للفضالة بالحالة التي يقوم فيها جار بإصلاح جدار جاره الغائب المهدد بالسقوط دون أن يكون ملزماً بذلك. ومعنى قول المشرع السوري (... دون أن يكون ملزماً بذلك) أي إن الفضالة تعدّ تدخلاً في شأن الغير دون وكالة منه، الأمر الذي يؤدي إلى إنشاء التزامات متبادلة على عاتق كل من الفضولي ورب العمل. وقد تمحورت تعاريف الفقه الفرنسي للفضالة بأنها قيام شخص يسمى الفضولي بتنفيذ عمل لحساب الغير ولمصلحته دون أن يكون ملتزماً أصلاً به، ودون أن يكون وكيلاً عنه، وبحسب المادة (1372) من القانون المدني الفرنسي فإن الذي يقوم بالفضالة إنما يعقد في الواقع عقداً ضمنياً يلتزم فيه تجاه رب العمل بمتابعة العمل الذي بدأه وإتمامه إلى أن يتمكن المالك من متابعته بنفسه،وعلى الفضولي أن يتحمل كل الالتزامات التي كانت ستنتج فيما لو كان بحوزته وكالة صريحة من المالك. ومعنى ذلك أن تصرف الفضولي يحظى باعتراف التشريعات الوضعية والشريعة الإسلامية مع اختلاف فيما بينها من حيث النطاق، فتصرف الفضولي يكون نافذا في حق الغير وتترتب عليه كافة النتائج ولجميع الاطراف التي يمسها ذلك التصرف (6)، وعلى أية حال فقد اعترفت

التشريعات كذلك بترتب نتائج قانونية متبادلة تهدف إلى طمأنة الفضولي إلى أنه سيتمكن بقوة القانون من إلزام رب العمل بتعويضه عن النفقات التي يستلزمها تدخله. ويتبرر هذا الالتزام بالتعويض بمبررات أخلاقية، فليس من العدل أن يحظى رب العمل بمنفعة مجانية من جراء تدخل الغير لحسابه الذي افتقرت ذمته. لذلك عدّ المشرع السوري الفضالة من تطبيقات مبدأ الإثراء بلا سبب، لانه من غير العدل أن يثري رب العمل على حساب الفضولي، أما عقد الإيجار فقد عرفه القانون المدني العراقي في المادة (722)بانه ((الايجار تمليك منفعة معلومة بعوض معلوم لمدة معلومة وبه يلتزم المؤجر ان يمكن المستأجر من الانتفاع بالمأجور.)) من خلال هذا التعريف يتضح ان الايجار هو ان يقوم المؤجر بتمليك المنفعة للمستأجر وهذه تعد من اهم التزاماته لأنها الغاية التي يقصد اليها العقد لذا فانه الفضالة في عقد الإيجار أن يقوم شخص غير المؤجر بتمليك هذه المنفعة بعوض معلوم ولمدة معلومة الى شخص اخر.

المطلب الثاني

تمييز الفضالة من غيرها من النظم القانونية المشابهة لها

قد تختلط الفضالة ببعض النظم القانونية فقد يعدها البعض من تطبيقات مبدأ الإثراء بلا سبب، الا انها تتميز منه بالشرائط الواجب توافرها ، الأمر الذي يستلزم تمييزها منه وكذلك الامر لابد من تمييز الفضالة من الوكالة لأنه لما بين النظامين من شبه، وأخيراً تمييزها من الاشتراط لمصلحة الغير على اعتبار أن كلا النظامين يؤدي إلى اغتناء في ذمة الغير دون تدخل منه.وعليه سوف نتناول ذلك في ثلاث فروع متتالية :

الفرع الاول

تمييز الفضالة من الكسب بدون سبب

ذهب بعض الفقه بالقول إلى انه الكسب دون سبب تقوم على أساس الفضالة وهذا من اقدم الاراء وقد تزعمه اصحاب مدرسة الشرح على المتون وقد اقتضى ان الكسب هو فضالة وبالنظر الى اختلاف الفضالة عن الكسب دون السبب من حيث الطبيعة والنتيجة فقد زعموا بانها فضالة ناقصة وذلك لان الفضالة من حيث طبيعتها تتميز بتوفر قصد الفضولي في القيام بشأن عاجل لحساب شخر اخر ، ففي القانون المدني الفرنسي يشترط في العمل أن يكون نافعاً. بيد أنها مع ذلك تتميز منها من حيث أنه لا يشترط في الإثراء بلا سبب أن يتوافر لدى المفتقر قصد إثراء الغير، في حين أنه يشترط في الفضالة ـ بحسب القانون المدني المصري والسوري أن يتولى الفضولي عن قصد القيام بشأن عاجل للغير. وهذا مانصت عليه المادة (189) من القانون المدني المصري :((تتحقق الفضالة ولو كان الفضولي، في أثناء تولّيه شأناً لنفسه، قد تولى شأن غيره، لما بين الشأنين من ارتباط لا يمكن معه القيام بأحدهما منفصلاً عن الآخر)).

ويترتب على ذلك أن مدى التعويض في الفضالة أوسع من مداه في الإثراء بلا سبب. ففي الإثراء يشمل التعويض أقل القيمتين من قيمة الافتقار وقيمة الإثراء. فالمثري يلتزم بتعويض المفتقر عما لحقه من خسارة في حدود ما أثرى به. (1) أما في الفضالة فيشمل التعويض النفقات الضرورية والنافعة ـ مضافاً إليها فوائدها من يوم دفعها ـ التي أنفقها الفضولي في سبيل القيام بذلك الشأن. ويشمل التعويض أيضاً الضرر الذي لحق بالفضولي بسبب قيامه بذلك الشأن. أي إنه في الإثراء بلا سبب لا يشترط فيه أن يقصد المفتقر إثراء الغير، في حين يشترط في الفضالة أن يقصد الفضولي العمل لمصلحة رب العمل؛ بدليل اشتراط القانون المدني السوري في المادة (189) كذلك ان يكون القصد في تولي شأن الغير.

الفرع الثاني

تمييز الفضالة من الوكالة

الوكالة عرفها القانون المدني العراقي في المادة (927) بانها ((الوكالة عقد يقيم به شخص غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم.))(1) ، وبعد تمحيص هذه التعريفات يرى بعض الفقه أن تعريف المشرع المدني العراقي للوكالة جاء مرتبك بعكس التشريعات المدنية الاخرى المقارنة التي عرفت الوكالة فهي تعريفات الاكثر قبولا(2) فيعد كل من الفضالة والوكالة من مصادر النيابة (3)، إلا أنها تتميز بكونها نيابة قانونية في الفضالة ، واتفاقية في الوكالة. ويدق التمييز في حالة إقرار رب العمل ما قام به الفضولي لحسابه، حيث الإجازة اللاحقة كالوكالة السابقة، فقد نصت المادة : (190) من القانون المصري على انه ((تسري قواعد الوكالة إذا أقرّ رب العمل ما قام به الفضولي.)) وكذلك ما نصت عليه المادة (191) من القانون المدني السوري على أنه ((تسري قواعد الوكالة إذا أقر رب العمل ما قام به الفضولي)) وهو الحكم ذاته الذي أخذ به المشرع المدني الفرنسي حين عدّ في المادة (1372) أنه على الفضولي أن يتحمل كل الالتزامات التي كانت ستنتج فيما لو كان بحوزته وكالة صريحة من المالك. ومع ذلك فإن الفضالة تتميز من الوكالة من عدة وجوه، فالوكالة هي عقد بين طرفين يلتزم بموجبه أحدهما ـ وهو الوكيل ـ أن يقوم بعمل لحساب الآخر، وهو الموكل، وبالتالي فمصدر التزام الوكيل هو عقد الوكالة، في حين أنه في الفضالة يقوم الفضولي بالعمل لحساب رب العمل دون إرادة هذا الأخير، ويترتب على ذلك أن مصدر الالتزام لرب العمل ليس إرادته، وإنما هي واقعة التدخل لمصلحته، وهي واقعة مادية. ويترتب على ذلك أن الموكل يلتزم في الوكالة بتعويض الوكيل عن الضرر الذي لحق به نتيجة ما أنفقه في سبيل تنفيذ الوكالة، حتى لو لم يكن العمل الذي قام به نافعاً، في حين أن مدى التعويض في الفضالة يشمل النفقات الضرورية والنافعة مضافاً إليها فوائدها من يوم دفعها، ويشمل الضرر الذي لحق بالفضولي بسبب قيامه بالعمل. إضافة إلى ذلك أن الوكالة لا تكون إلا في التصرفات القانونية، أما الفضالة فيمكن أن تكون في التصرفات القانونية وفي الأعمال المادية.

الفرع الثالث

تمييز الفضالة من الاشتراط لمصلحة الغير

نصت المادة 152 من القانون المدني العراقي على انه((1 – يجوز للشخص ان يتعاقد باسمه الخاص على التزامات يشترطها لمصلحة الغير اذا كان له في تنفيذ هذه الالتزامات مصلحة شخصية مادية كانت او ادبية. 2 – ويترتب على هذا الاشتراط ان يكسب الغير حقاً مباشراً قبل المتعهد يستطيع ان يطالبه بوفائه ما لم يتفق على خلاف ذلك، وللمتعهد ان يتمسك قبل الغير بالدفوع التي تنشأ عن العقد. 3 – ويجوز كذلك للمشترط ان يطالب بتنفيذ ما اشترطه لمصلحة الغير الا اذا تبين من العقد ان الغير وحده الذي يجوز له ان يطالب بتنفيذ هذا الاشتراط.))[1]

عليه فإن الاشتراط لمصلحة الغير يكون عندما يشترط أحد طرفي العقد (المشترط) على الآخر (المتعهد) أن يلتزم هذا تجاه شخص ثالث أجنبي عن العقد (المنتفع)، فيتولد للمنتفع حق مباشر تجاه المتعهد يستطيع مطالبته به، فالاشتراط لمصلحة الغير عمل قانوني يتم بين شخصين ، ولكن تنفيذه يتعلق بثلاثة أشخاص هم العاقدان والشخص الثالث الذي اشترط له الحق ويقال له المنتفع[2] ، ففي هذه النقطة تحصل نقطة الالتقاء بين الفضالة و الاشتراط لمصلحة الغير، إذ في كلا النظامين يكتسب الغير حقوقاً دون تدخل منه. لان المشترط يقوم بدور الفضولي والمنتفع بإعلانه رغبته في الانتفاع من الاشتراط يكون قد أقر عمل الفضولي ويسري هذا الاقرار الى وقت العقد المبرم بين المشترط والمتعهد تطبيقا لقاعدة " الاجازة اللاحقة ، وكالة سابقة " [3] لكن أن الفضالة تقوم على أساس النيابة القانونية، في حين أن المشترط يتعاقد باسمه لا باسم المنتفع، وهذا بخلاف النيابة بصورها المختلفة، ومن بينها الفضالة. كما أنه يجب أن تكون للمشترط مصلحة في الاشتراط، أما في الفضالة فيشترط من حيث المبدأ ألا تكون للفضولي مصلحة شخصية في العمل الذي قام به لحساب الغير. كما أن حق المنتفع في الاشتراط قد لا يتحقق في حال لم يقبل به المنتفع، فلا يستقر هذا الحق إلا بقبوله من المنتفع، أما في الفضالة فإنه إذا تعاقد الفضولي مع الغير لحساب رب العمل؛ فإن حق رب العمل قائم ومتحقق قبل هذا المتعاقد.

المبحث الثاني

أحكام الفضالة في عقد الايجار

تتحقق الفضالة في عقد الايجار في عدة صور لأنه ليس في كل الاحوال يكون الايجار صادر من المؤجر فقد يكون الاخير منتفع او مستأجر من الباطن ، كما ان الفضالة في الايجار ترتب اثار فيما اذا اقر المالك عمل الفضولي سنبحث في هذا المبحث صور الفضالة واثار الفضالة في مطلبين أثنين :

المطلب الاول

صور الفضالة في عقد الايجار

قد يطرح السؤال التالي متى يكون المؤجر فضوليًا ؟ الجواب على ذلك ان المؤجر أن لم يكن مالكا للعين وصاحب حق انتفاع (1)بها وليس له حق الادارة فانه يكون فضوليا ويمكن ان يكون ذلك في الصور الآتية :

1-المالك في الشيوع :اذا قام احد الشركاء بإيجار جزء مفرز من المال الشائع يعادل حصته الشائعة فانه لايستطيع ان يسلم الجزء المفرز الى المستأجر لانه سوف يتعرض الى مزاحمة الشركاء الاخرون (2)، ويكون الايجار معاقًا على شرط حصول القسمة بين الشركاء ووقوع الجزء المفرز في نصيب الشريك المؤجر فاذا وقع الجزء المفرز في نصيب الشريك المؤجر فانه بحسب الراي الغالي فب الفقه فانه ينتقل هذا التصرف بحكم الحلول العيني(3) .

أما في القانون المدني العراقي فاذا لم يقع الجزء المفرز في نصيب الشريك عند القسمة في دعوى ازالة الشيوع وانما وقع في نصيب شريك آخر ، فالأصل أن الاجارة لاتنفذ ولاتنتج اي اثار .واذا كانت الايجارة لكل العين الشائعة بدون موافقة بقية الشركاء ثم اعترض على هذا الايجار بقية الشركاء الذين يملكون اغلبية الحصص فان الايجار لايكون نافذا بالنسبة لهؤلاء الملاك ويسيطيع كل واحد منهم ان يطالب المستاجر بالتخلية .واذا قام احد الشركاء بإدارة المال الشائع دون اعتراض من الشركاء الاخرين وغم علمهم بذلك فانه يعتبر في هذه الحالة وكيلا(4) وهذا مانصت عليه المادة 1064 من القانون المدني العراقي((1 – تكون ادارة المال الشائع من حق الشركاء مجتمعين، ما لم يوجد اتفاق يخالف ذلك.))

2- الوارث الظاهر :هو من يضع يده على أعيان التركة بإعتباره وارثا ثم يتبين خطأ هذا الاعتقاد وأنه غير وارث لوجود من يحجبه في سلم الاستحقاق(5) ،فايجار الوارث نافذ في حق الوارث الحقيقي سواء اكان الوارث الظاهر حسن النية أم سيئها مادام المستأجر حسن النية فالقانون يحمي المستأجر حسن النية اذا كان المؤجر للعين المؤجرة كما هو الشأن الوارث الظاهر فحيازة المؤجر للعين تشفع في حسن نية المستأجر ويترتب فتنفذ اعمال الادارعلى ذلك ان الايجار الصادر من الحائز سواء اكان وارثا ظاهرا ام لم يكن وسواء اكان حسن النية او سئيها يكون صحيحا ونافذا في حق المالك الحقيقي متى كان المستاجر

حسن النية بخلاف الايجار الصادر من غير الحائز فانه لايسري في حق المالك الحقيقي ولو كان المستاجر حسن النية .

3-إيجار غير الحائز (ايجار ملك الغير)

المقصود بايجار ملك الغير فهو الايجار الصادر من شخص لايملك العين المؤجرة وليس له حق الانتفاع بها ، ولاحق ادارتها ، اما بيع ملك الغير فهو البيع الصادر من شخص لايملك الشيء المبيع (1)، اذا قام الغير بالإيجار فانه يكون صحيحا بين الغير والمستأجر وهذا بخلاف بيع ملك الغير فانه يطبق بشأنه المادة (135) من القانون المدني العراقي(2) ،أما في القانون المدني المصري فانه بيع ملك الغير فان المشتري ان يطلب الابطال لا الفسخ وذلك من قبل ان يتعرض له المالك الحقيقي وهنا لايوجد مايمنع المؤجر من ان يلتزم بتسليم عين لايملكها وليس له حق الانتفاع بها ولاحق الادارة الى المستأجر ومن ان يمكنه من الانتفاع بها طوال مدة الايجار ، ومادام المالك لم يتعرض للمستأجر فليس لهذا الاخير ان يطلب ابطال الايجار او فسخه ، فالايجار صحيح غير قابل للنقض والفسخ لايكون الا اذا تعرض المالك هذا فيما يتعلق علاقة المؤجر بالمستأجر ، اما بصدد علاقة المؤجر بالمالك الحقيقي فلهذا الاخير ان يرجع على المؤجر بالتعويض لانه اثرى على حسابه وحرمه من الانتفاع بملكه بسبب عمل المؤجر غير المشروع وهذا يكون اذا ابقى المؤجر الماجور في يد المستاجر ولم يستردها منه .

اما علاقة المستأجر بالمالك الحقيقي فهذه العلاقة لايؤثر فيها عقد الايجار حتى وان كان صحيحا بين المؤجر والمستاجر فانه يكون غير نافذ في حق المالك الحقيقي الذي لم يكن طرفا فيه (3)، ومن ثم يستطيع المالك الحقيقي ان يسترد العين المؤجرة من تحت يد المستأجر وللمستأجر أن يرجع بالضمان على المؤجر ،وأن يطلب فسخ الايجار وقد يقر المالك الحقيقي الايجار فيصبح نافذًا في حقه ويحل محل المؤجر في حقوقه والتزاماته (4).

4- الحائز :

اذا حاز شخص مال معين وكان في اعتقاده انه ماله فهو حائز حسن النية في حين انه في حقيقة الامر لم يكن يكتسب الملكية قانونا كمشتري للعقار الحسن النية من غير مالك متى تسلم المبيع فاذا باشر الحائز حقوق المالك دون ان يكون كذلك فقد اختلفت الاراء :

الاول : ان ايجار الحائز صحيح ونافذ في حق المالك سواء اكان الحائز وارثا ظاهرا ام لم يكن بشرط ان يكون المستاجر حسن النية وحيازة المؤجر قرينة على حسن نية المستاجر ولا اهمية لحسن نية المؤجر وهو الحائز .

الثاني :ينفذ ايجار الحائز بشرط حسن نية الحائز .

الثالث: ان ايجار الحائز لاينفذ في حق المالك لانه لايجوز التوسع في نظرية الاوضاع الظاهرة الى حد حماية التصرفات الصادرة من مجرد واضع اليد (1).

الرابع : فهو الذي يذهب الى انه الايجار ينفذ ايا كان الاساس النظري لهذا الراي لانهل اعذر للمالك في ترك حيازة ماله لغيره وهو لن يضار من ناحية اخرى لانه الايجار لاينفذ في حقه الا اذا كان بحسب المالوف في العقود الاخرى المماثلة له خاصة في ذلك حماية لمستاجر حسن النية (2).

المطلب الثاني

آثارالفضالة في عقد الايجار

تترتب على الفضالة فيما اذا اقرها الملك الحقيقي هذا التصرف وتوافرت شرائطها أنشأت باعتبارها شبه عقد ملزم للجانبين، التزامات على عاتق الفضولي المؤجر وأخرى على المالك الحقيقي .ولبيان ذلك سوف نبين في هذا المطلب التزامات الفضولي ، والتزامات رب العمل (المالك الحقيقي) في فرعين اثنين .

الفرع الاول

التزامات الفضولي

يترتب على عاتق الفضولي الذي قام بالإيجار التزامات أربعة هي:

1- أن يمضي في العمل الذي بدأه إلى أن يتمكن رب العمل من مباشرته بنفسه.ومعنى هذا الالتزام ان من تدخل في شأن غيره من غير ان يدعى لذلك وجب عليه الا يتخلى عن العمل بل يلتزم بالمضي به .

2- اخطار الفضولي رب العمل بتدخل متى استطاع ذلك.ولايكفي المضي بالعمل من قبل الفضولي فلابد من ان يبادر الى اخطار رب العمل بتدخله بمجرد ان يتمكن من ذلك فيسطيع رب العمل بعد هذا الاخطار ان يستعمل حقه من مباشرة العمل بنفسه .3- أن يبذل في القيام بالعمل عناية الشخص المعتاد.ومعنى ذلك ان الفضولي لايلتزم بتحقيق النتيجة المرجوة من ذلك بل عليه ان يبذل عناية الشخص المعتاد للوصول الى ذلك فالتزامه ليس بتحقق نتيجة بل ببذل عناية ومعياره خطأه هو معيار الخطأ العقدي .

4- أن يقدم حساباً لرب العمل عما قام به وأن يرد إليه ما استولى عليه بسبب الفضالة(3).

5-إذا عهد الفضولي إلى غيره بكل العمل أو ببعضه كان مسئولاً عن تصرفات نائبه، دون إخلال بما لرب العمل من الرجوع مباشرةً على هذا النائب. ،وإذا تعدد الفضوليون في القيام بعمل واحد، كانوا متضامنين في المسئولية.

6-يلتزم الفضولي بما يلتزم به الوكيل من رد ما استولى عليه بسبب الفضالة، وتقديم حساب عمّا قام به.إذا مات الفضولي التزم ورثته بما يلتزم به ورثة الوكيل وإذا مات رب العمل بقى الفضولي ملتزماً نحو الورثة بما كان ملتزماً به نحو مورثهم. (1)

الفرع الثاني

التزامات رب العمل

تنص المادة 196 من القانون المدني المصري على أنه:

"يعتبر نائباً عن رب العمل متى كان قد بذل في إدارته عناية الشخص العادي ولو لم تتحقق النتيجة المرجوة، وفي هذه الحالة يكون رب العمل ملزماً بأن ينفذ التعهدات التي عقدها الفضولي لحسابه وأن يعوضه عن التعهدات التي ألزم بها، وأن يرد له النفقات الضرورية والنافعة التي سوغتها الظروف مضافاً إليها فوائدها من يوم دفعها، وأن يعوضه عن الضرر الذي لحقه بسبب قيامه بالعمل، ولا يستحق الفضولي أجراً على عمله إلا أن يكون من أعمال مهنته".

من هذا النص يتضح ان التزامات رب العمل تتخلص بالنقاط الاتية :

1-ان يبذل رب العمل العناية اللازمة التي يبذلها الشخص العادي في تحقيق النتيجة المرجوة .

2- ان يلتزم رب العمل بالتعهدات التي عقدها الفضولي لحسابه وان يعوض الفضولي عن التعهدات التي التزام بها.

3-ان يرد للفضولي النفقات الضرورية والنافعة التي بذلها بالاضافة الى الفوائد من يوم ان قام بالدفع .فاذا قام مثلا الفضولي بترميم منزل لرب العمل فانه ينفق في ترميمه مصروفات ضرورية فيرجع بها على رب العمل وكذلك المصروفات النافعة من وقت الانفاق (2).

4-ان يعوض الفضولي عن الضرر الذي لحقه بسبب اداءه العمل ، على ان الفضولي لايستحق من اجر على العمل الذي يقوم فيه اذا كان خارج اعمال مهنته .

الخاتمة

بعد ان أنتهينا من بحثنا الموسوم بـ" أحكام الفضالة في عقد الايجار - دراسة تحليلية" ندرج أهم النتائج والمقترحات التي استخلصت من هذا البحث وهي كالآتي :

أولا:النتائج

1-الفضالة هي واقعة ارادية قوامها أن يتولى شخص عن قصد القيام بشأن عاجل لحساب شخص آخر ، دون أن يكون ملزمًا و الفضالة في عقد الايجار ان يقوم شخص غير المؤجر بتمليك هذه المنفعة بعوض معلوم ولمدة معلومة .

2- تختلط الفضالة ببعض النظم القانونية منها مبدأ الإثراء بلا سبب والوكالة والاشتراط لمصلحة الغير فقد تختلف من الاثراء بلا سبب في مدى التعويض ففي الإثراء يشمل التعويض أقل القيمتين من قيمة الافتقار وقيمة الإثراء. فالمثري يلتزم بتعويض المفتقر عما لحقه من خسارة في حدود ما أثرى به، أما في الفضالة فيشمل التعويض النفقات الضرورية والنافعة بالاضافة الى الفوائد من يوم الدفع اما اختلافها من الوكالة فالوكالة تكون إلا في التصرفات القانونية، أما الفضالة فيمكن أن تكون في التصرفات القانونية وفي الأعمال المادية، أما في الاشتراط لمصلحة الغير ففي الفضالة لايشترط ان تكون للفضولي مصلحة شخصية في العمل الذي قام به لحساب الغير، أما في الاشتراط لمصلحة الغير أن يكون للمشترط مصلحة شخصية في حصول المنتفع على الحق الذي اشترطه لمصلحته .

3-يكون المؤجر فضوليًا فيما إذا قام بالإيجار المالك على الشيوع ، والحائز، والوارث الظاهر ،والمتصرف في ملك الغير بالايجار وكل من هذه الصور اوضحنا فيها العلائق القانونية التي تنشأ بشأنها .

4- تترتب على الفضالة اذا اقرها الملك الحقيقي هذا التصرف التزامات على الفضولي وعلى رب العمل ومن اهم الالتزامات التي تقع على الفضولي أن يمضي في العمل الذي بدأه إلى أن يتمكن رب العمل من مباشرته بنفسه وان يبذل في انجاز عمله عناية الرجل المعتاد . ويترتب التزامات على عاتق رب العمل منها ان يعوض الفضولي عن الضرر الذي لحقه بسبب اداءه العمل ، على أن الفضولي لايستحق من اجر على العمل الذي يقوم فيه اذا كان خارج اعمال مهنته .

ثانيا:-المقترحات

1-نقترح على المشرع العراقي أن ينص صراحة على الفضالة في عقد الايجار وعدم تركها لحكم القواعد العامة المنصوص عليها في القانون المدني .

2- نقترح على المشرع العراقي فيما اذا كان هناك اتفاق لاحق بين المؤجر والمالك الحقيقي على الايجار للمأجور ، بعد ان كان تصرف المؤجر فضوليا في الايجار ان يكون الاتفاق مكتوب ومصدق عليه خشية التنازع فيما بعد ، فضلا عن استقرار المعاملات في عقود الايجار .

المراجع

أولا : كتب اللغة

1- الأنصاري محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور - لسان العرب - ج10-ط3- دار احياء التراث العربي – بيروت- بدون سنة نشر -ص280.

2-ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني- كتاب التعريفات –بلا سنة ولامكان نشر- ص121.

3-محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح –دار الرسالة – الكويت - 1983- ص506

ثانيا:-الكتب القانونية

1- أسعد دياب-القانون المدني- العقود المسماة – البيع – الايجار – الوكالة – ج1-منشورات زين الحقوقية –لبنان- 2007.

2-د.حميد سلطان علي – الوجيز في عقد الوكالة- دراسة فقهية قانونية مقارنة- مكتبة السنهوري- بيروت-2017- ص24. 9

3-د. رمضان أبو السعود- العقود المسماة – عقد الايجار-الاحكام العامة في الايجار- منشأة المعارف – الاسكندرية- 1996.

2- د. عبد الحي حجازي- النظرية العامة للالتزام – ج1- مصادر الالتزام – دار النهضة – مصر- 1954 .

3- د. عبد المجيد الحكيم وعبد الباقي البكري ومحمد طه البشير – الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي – ج1 – في مصادر الالتزام- المكتبة القانونية- بغداد- ص291.

5-د.عبد المجيد الحكيم – الموجز في شرح القانون المدني- المكتبة القانونية –بغداد- 2007- ص352.

6-عبد العزيز بن محمد الصغير – المعاملات في الشريعة الاسلامية –ط1- المركز القومي للاصدارت القانونية- القاهرة -2016.

7- د. عبد الرزاق السنهوري- الوسيط في شرح القانون المدني الجديد – ج6- مطبعة نهضة مصر - 2011.

8-د. عبد الرزاق السنهوري-الوسيط في شرح القانون المدني الجديد-نظرية الالتزام بوجع عام- مصادر الالتزام- المجلد الثاني -ط3- نهضة مصر- 2011 -

8-د.عصمت عبد المجيد بكر - الوجيز في العقود المدنية المسماة البيع والايجار – ط1-منشورات زين الحقوقية- بيروت –لبنان – 2015.

4-د.محمد حسن قاسم – مضمون التزام الوكيل بتنفيذ الوكالة –دراسة فقهية قضائية مقارنة في ضوء تطور عقد الوكالة- دار الجامعة الجديدة – الاسكندرية -2016.

ثالثا: الرسائل والاطاريح

1-عدنان ابراهيم سرحان – الأوضاع الظاهرة ومدى حمايتها في القانون العراقي والمقارن – رسالة ماجستير – كلية القانون والسياسة –جامعة بغداد- 1986.

رابعا:-مواقع الانترنت

1-د. عبد الله بن مبارك ال سيف- بيع الفضولي وشراؤه –مقال منشور على الانترنت وعلى الموقع الالكتروني https://www.alukah.net–تاريخ المقال /2013/10/2-ص1.

2-أمل عبد الهادي مسعود- الفضالة والفضولي في القانون –مقال منشور على الانترنت وعلى الموقع الالكتروني التالي http://www.sns.sy/home/view_news -تاريخ المقال 2018/1/14 .

3-صفحة بوابة مصر للقانون والقضاء وعلى الموقع الالكتروني التالي : laweg.net.

خامسًا:-القوانين

1-القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951المعدل.

2-القانون المدني المصري رقم 132 لسنة 1948المعدل .

3-القانون المدني الفرنسي الصادر سنة 1804 المعدل .

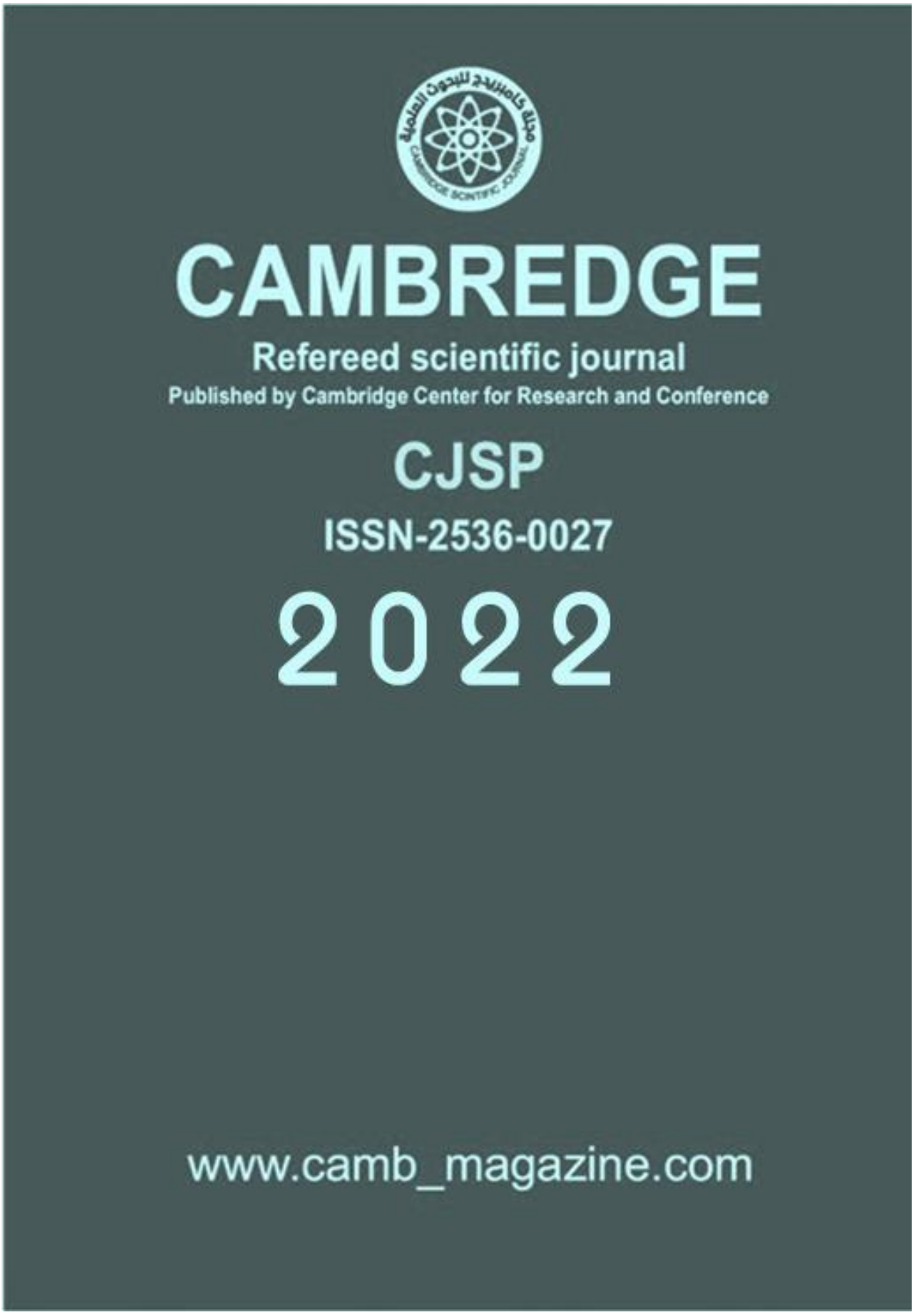
CAMBREDGE
Refereed scientific journal
Published by Cambridge Center for Research and Conference
CJSP
ISSN-2536-0027
2022
www.camb_magazine.com